



من الشرق والغرب



في سنة ١٩١٩

الجزء الأول - المقدمة

من الحروب يسيبنا الى حرب السنين

بقلم

محمد علي الفيت





من الشرق والغرب

الغرب والشرق  
من الحروب الصليبية إلى حرب السويس

ثورات العرب في سنة ١٩١٩  
الجزء الأول : المقدمة

بقلم  
محمد علي الغنيت



# بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيد

هذا المؤلف هو ثمار لأكثر من عرس \* ثمار لدراسات عكمت عليها عشرات السنين ، ثمار لأملات في أحداث التاريخ منذ أن كان للعالم تاريخ معروف ، ثمار للمفارقات الى ابرزها أمامي واقع للتاريخ في مختلف حقبه وصورها الى أحداثه التي مرت بها وأنا أطوف في الماضي البعيد \* والأحداث التي مرت بي في الحاضر الذي أعيشه ، ثم هو أخيراً ثمار لرغبة عمقت في نفسي اتجهت بي في حرارة لخدمته أممي العربية ذات التاريخ الأمدد العريق في أساسه وحضارته ، والحافل بما يشهد بهداله العرب ، وبعظرتهم على الخير والعاطف الانساني . نعم التاريخ شواهد لا يرقى اليها الشك تؤكد أن الأمة العربية قد أمدت العالم بأقوى أسس الحضارة الانسانية في سنى ميادين العلوم والفنون والآداب ، وضربت في الخلق الرفيع ومبادئ المدالة أروع الأمثال ، فكانت في ذلك كله المارة التي شع منها نور العلم والمعرفة وقت أن كانت شعوب الغرب تسخط في دجاجير الظلام ، وكانت بلاد العرب المعين الذي يغترف منه طلاب الحضارة في أنحاء العالم .



وإني لأقدم للأمة العربية هذا المؤلف في وب أشعر فيه بمدى حاجتها الى مثله ، ومدى حاجتها الى تكاتف جهود أبنائها لاعادة بناء كل شيء فيها من جديد ، على ان حبي للأمة العربية لم ينشع عاطفه غير انسانية لأية أمة أخرى ، ولم يحالطه شعور ضد أى جنس غير عربى ، فليس معنى حبي وإخلاصى لأمتي المصرية أنني أكره الأمم غير العربية ، ولا أحسب أن

كفاحي وجهادي من أجل خدمة قضايا العرب واستخلاص العبر والدروس التي نضعهم ، لا أحسب أن هذا اللون من الكفاح فيه ما يشير من قريب أو بعيد الى الاسادة لغير العرب •

على اننى اذ أقدم هذه المرحلة من مراحل مؤلفي ، فانتى أرجو مخلصا أن يقدروا أحداثها وما سبها في جبر كان وأن يقرأها القارئ باعتبارها تاريخا للعبرة لا لاثارة الكراهية ، وأمل أن يمحو الزمن ما علق بالنفوس من روايب سياسه الغرب ووسائله ازاء الشرق ... تلك الوسائل التي دفعت الشرق الى ثورته التي ظلت تتعامل في مكانها بالنفوس فتخبو وقدتها حيناً وتشتعل حيناً ، والغرب وحده هو المسئول عن هذه التورات النائرة ضده في الشرق ، لأن ساسته لم يحاولوا ازالة آثار سياسه طاغية التزمها الغرب ضد الشرق قرابة ألف عام من التاريخ ، اعتمادا من هؤلاء الساسة على برديد شعارات السلام الزائفة من حين لآخر ، دون أن يدركوا أن السلام الحقيقي ، انما هو عمل مادي قبل أن يكون شعارات يتغنى بها مدعوها وتصريحات بذاع من الأقواء .. ثم تتلاشى في الهواء وفاتهم أن السلام لا يحقق الا بزوال آثار الاستعمار والسطرة العدوانية التي فرضت على الشعوب ودانت حقوقهم ، وغاب عنهم أن السلام كعمى انما يتمثل في الشعور العميق الذي يمسود الشرق بالاعلمتان الى نوايا الغرب وخططه ، وان هذا الشعور لأعمق وأبعد أنرا من العمل المادي الذي يقدم عليه الغرب نتيجة لأكراه مادي بحكم الضرورة •

ان ساسة الغرب لم يدركوا أن اليوم الذي سخرني فيه غيوم الشكوك والرب في ساستهم ازاء الشرق وتحل فيه الصداقة المنكافئة محل السيطرة والتسلط والاستغلال ، هو اليوم الذي شهد فيه العالم - حتما - فجرا جديدا لعلاقة الغرب بالشرق •



في المرحلتين الأولى والثانية من مؤلفنا نحدثنا عن الصراع بين الغرب والشرق وعدوان الغرب على الشرق ورأينا كيف نجح الغرب في تكتيل

بواه وتبعيتها ضد الشرق ... وبعد سراع دام ثمانية فرون رايس ليف  
سيطر الغرب على الشرق نحقق بهذه السيطرة وصيه الملك لويس التاسع .  
وبقى أن نبدأ المرحلة الدالة والاحيرة من مؤاقتنا « مرحلة جهاد  
العرب » وبعت قوميتهم وتحقيق وحدتهم وفيها تتناول علاقة الغرب بالشرق  
منذ نهاية الحرب العالمية الأولى الى أن تم للعرب تحقيق الأهداف التي من  
أجلها كافحوا وصابروا وقد رأينا أن نقف بهذه المرحلة عند حرب السويس  
لا باعتبار أن حرب السويس كانت نهاية مرحلة الجهاد والبعث ، بل باعتبارها  
نقطة تحول أساسى فى جهاد العرب وبعث فضاياهم ، وتستقصى فى هذه  
المرحلة علاقة العرب بالاستعمار الغربى ، ولا سيما الاستعمار البريطانى  
والفرنسى باعتبار أن الدولتين قد تألفت منهما وحده متماسكة متحدة لا يسكن  
حصل سياسة احدهما عن الأخرى حينما نتحدث عن سياستها العامة وعن  
الخطوط الرئيسيه لهذه السياسة ، ولكى ننسئ لنا سهولة العرض وإبرار  
المقصد فانا سنفرد للحديث عن الدولتين ومواقفهما من مجموعة الشعوب  
العربية التى سيطرنا عليها فصولا فائمه بذاتها من حيث الترتيب مع قيام  
التلازم والارتباط بينها جميعا والى جانب ذلك سنعالج الاستعمار الايطالى  
والاسبانى فى باب خاص .



لقد درج بعض الكتاب على عرض فضايا العرب بوصفها فضايا  
مستقلة قائمة بذاتها كأما كان العرب يعيشون فى دائرة مغلقة عليهم فلا  
أثر لمواقفهم فى كيف الأحداث العالمية ولا أثر لهذه الأحداث على  
مواقفهم وعلى مواقف الغرب منهم ، وفى ذلك تقصير يلاحظ اذا ما كان  
فصد الكاتب مجرد سرد الوقائع ورواية الأحداث فى صورتها المحلية كما  
أنه يكون شديدا الأثر اذا ما عمد الكاتب الى تحليل الأحداث وتبع المقدمات  
حيثما وجدت وتقصى الحقائق أيا كان مصدرها طالما كان للأحداث أثر  
مباشر فى تكيف سياسة الغرب وتوجه تصرفات سياسته ازاء الشرق  
العربى والاسلامى وما انتهى اليه ذلك كله من نتائج .

لهذا كان لزاما علينا أن تبدأ المرحلة الثالثة من مؤلفنا باستعراض

ما اسمرت عنه الحرب العالمية الاولى من الادر المادي والنفسية بالنسبة  
للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالقدر الذى يتصل بعلاقه  
التسرب بالشرق ثم بالآثر المباشر كذلك على مجريات  
الامور والأحداث فى تلك المرحلة الحاسمة لا بالنسبة لتاريخ  
العرب فحسب بل بالنسبة لتاريخ العالم بأسره . وان لهذا الاستعراض  
أهميه بالعلم لان العالم اذا اذن قد يدر دور اسهام الحرب الى حصر الخسائر  
والمفاسم المادية التى أصابت كلا من المتحاربين ، فانه قد عجز عن حصر  
الآثر النفسى والسياسية والاجتماعية التى ظلت تتفاعل فى الشعوب حتى  
قيام الحرب العالمية الثانية ، فان تلك الآثار قد ازدادت حدة منذ نهائية  
الحرب العالمية الأخيرة ولا تزال تحدثها فى تزايد حتى اليوم ومرد ذلك  
الى أن القيم والمثل والأوضاع التى كان العالم يعيش عليها والتى كانت  
تداعب خيال الشعوب سواء أكانت شعوبا متمتعة باستقلالها أم كانت خاضعة  
للاستعمار قد أصيبت بهزات عنيفة تأثر بها العالم أجمع فطوره وغيروته ،  
وتناول هذا التعديل والتطور تلك القيم وهذه الأوضاع فاستحدثت الى قيم  
وأوضاع ومثل غير تلك التى كانت ملء أذهان الناس من قبل . ويمكن  
القول بأن العالم حتى اليوم لم يستقر على الوضع النهائى لهذه القيم والمثل  
والأوضاع ، لأنها بهتز مع التطور الذى ما زال يحركها ويدفعها من حين  
الى آخر حتى تستقر فى النهاية فوق أرض قوة ثابتة .



لقد واجه العالم طواجر من التطور ، يدعوا الى التفكير والى نقى  
الحقائق وتعرف امكانيات ودرجات الشعوب الى معنى بأمرها المكرون  
والمسؤولون ، كما أنها تحتم علينا التعرف كذلك الى اتجاهات وامكانيات  
الشعوب المترجعة بمصائر الشعوب المهزومة الحق ، فان هذا التقصى وبلك  
المعرفة - هما وحدهما اللذان يدقان ناقوس الخطر فبيل وقوع الخطر  
ويشيران اليه فى بداية ظهوره ، وبمكانياتنا من تحريره ، وبذلك يتسنى  
لنا أن نكيف تصرفاتنا ومسلكتنا ازاء الأخطار التى يحذف بنا من كل ناحية ،  
ولا ريب فى أن أبرز ما يمكن استخلاصه من عبر الحرب العالمية الأولى



و: وسها ، لى العبر والدروس الى تؤكد ان المبادئ الانسانية والمثل العليا كانت الأنسودة الى ينفى بها الاستعمار لبرر العالم ويضعه ؛  
و كانت وما زالت مجرد شعارات زائفة يستخدمها الاستعمار كوسيلة لنميط  
حظله الى تقوم على الفلسفة الاستعمارية الاستغلالية دون سواها .

ان محه الحرب العالمية الأولى علسا أن الاستعمار لم يجد عن  
الهدف من سياسه ، ولكنه يطور هذه السياسة ويبدل من أساليبها حسبما  
تتغى الظروف والأحوال ، كما أننا لا ننسى أن الذى يحكم الصرافات  
الدولية هى المصلحة المادية والصراع الدولى حول أوضاع بدافع عها  
فريق يفد من بفائها ووجودها ، وبهاجمها فريق رغبة فى القضاء عليها  
أو الحلول محل المستفيد منها .

ولقد وضحت هذه الصورة ونسوحا بما فى نهاية الحرب العالمية  
الأولى وفى مؤتمر الصلح الذى عقد فى نهايتها .



حرص الغرب طوال مدة الحرب على بدل الوعود والعهود لجمع  
محوب العالم ، وحرص بنوع خاص ابتداء من سنة ١٩١٦ على كسب  
الدول المحايدة الى جانبه كما عمد الى الدعاية المستمرة لأغراض السلمية  
من الحرب لتحطيم الجبهة الداخلية فى ألمانيا وفى بلاد حلفائها . . . . . لفد  
حرس الحلفاء فى ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩١٦ على الجهر بأهدافهم من  
الحرب ونجديده موقفهم من قضية السلام لأن الشعوب وقتئذ ، المحايدة منها  
، المجاورة ، كانت قد بدأت تتطلع الى قضية السلام وانهاى الحرب وفى ذلك  
الاربع أى فى ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩١٦ وجه المسو أرسيد بران  
Aristide Briand باسم الحلفاء الى السفير الأمريكى فى فرنسا  
، مذكروا شئها وجهة نظر الحلفاء فى قضية السلام فى العالم وكانت هذه  
المذكورة ردا من الحلفاء على مذكروا . ماثلة قدمتها ألمانيا للولايات المتحدة .  
وفد أعلن : « أرسيد بران » رئيس الوزراء الفرنسى باسم الحلفاء ،  
فى هذه المذكورة ، أن الحلفاء يحاربون من أجل حرية الشعوب ، وأكد أنه

لا محل للتفكير في عقد الصلح وتحقيق السلام ؛ ولما أن ألمانيا لم تسلم من جانبها بحق الشعوب في الحرية ونزير المصير ، ولما أنها لا تفر مبدأ احترام الجنسية ولا تسلم بما ضرره الدول المغلقة من حق الدول الصغرى في البقاء ، وما لم يتم الاتفاق على الأسس التي يقوم عليها القضاء على أسباب الحروب بين الأمم والشعوب واقتلاعها من جذورها إلى الأبد ، تلك الأسباب التي ظلت تهدد البشرية والتي لا يتحقق للعالم الأمن والرفاهية إلا بمحوها .

وقال « بريان » ان السلام لن يسود العالم إلا اذا سلم العالم وسلمت الدول المغلقة بحق الشعوب في التمتع بالحرية والاستقلال ؛ وفي البقاء وعملت على إقامة نظام يجمع هذه الشعوب داخل اطار منظم لتقضي في مشكلاتها وخلافاتها دون الالتجاء الى الحروب ، وأخيرا أشار أرميسد بريان الى وجوب تعويض الدول عما أصابها من أضرار نتيجة للحرب .



كان الرئيس ولسون رئيس الجمهورية الأمريكية مستمرا ومحمدا لتحقيق السلام وتحقيقا لهذه الغاية راح يفاوض الحلفاء من جانب وألمانيا من الجانب الآخر ، فبعت بمذكره الى الحلفاء ليبينوا « وفهم » قلقه من أرستيد بريان مذكرة أخرى في ١٥ من يناير سنة ١٩١٧ جاء فيها ان الحلفاء على استعداد لتحقيق السلام وانها الحرب اذا ما جلت القسور الألمانية عن الأراضي التي يحياها في فرنسا وروسيا والبلقان مع دعم التعويضات العادلة ، واعادة تنظيم القارة الأوروبية على أساس احترام الجنسية وكفالة الأمن والحرية للشعوب جميعها كبيرها وصغيرها حيث يمكنها أن تطور نفسها اقتصادا ، ووضع الحدود الإقليمية مما تضمن احترام الجنسية وحماية الأمم من أي عدوان عاثم يقع في المستقبل ، كما سجل في مذكرته حرص الحلفاء على إعادة تنظيم العالم على أساس تقرير المصير واحترام رتب الشعوب وحرير الشعوب الأوروبية التي تخضع لسلطان دول أجنبية عنها ، وكان يقصد بتلك الدول الأخبية روسيا وألمانيا والنمسا ، ويهدف الى سلب جزء من الأراضي الروسية والألمانية

لمصلحة إيطاليا والدول السلافية والرومانية والتشييكوسلوفاكية والبولندية.

وقد تمسك أرمستيد بريان فى مذكرته بتحرير الشعوب الخاضعة لتسلط الأتراك « الدامى » ومنحها الحرية والاستقلال وكان يقصد الشعوب العربية - كما دعا باسم الحلفاء الى ضرورة طرد الأتراك ؛ وقال عنهم فى مذكرته انهم غرباء عن الحضارة الغربية - عن أوروبا - وفى ختام مذكرته أكد أرمستيد بريان أن سياسة الحلفاء لم تهدف يوما ما الى استئصال شأفة الشعب الألماني والقضاء عليه سياسيا ، وأن سياسة الحلفاء كلها عدالة وسلام وحرية لجميع الشعوب .

\*\*\*

وقد أكدت حكومات الحلفاء بعد ذلك فى مجالسها التبايه ولا سيما فرنسا وبريطانيا أنها لا تبني من الحرب غروا أو سيطرة أو اخضاع شعب لشعب أجنبى عنه أو فرض سلطان ما أو حكم بالذات على أى شعب ، وأنه لا هدف للحلفاء من الحرب الا تحقيق السلام والحرية والرفاهية لشعوب العالم كبرها وصغيرها وتنظيم شئونها داخل اطار عصبة تصهيم جميعا .

\*\*\*

وفى ٨ من يناير سنة ١٩١٧ ألقى الرئيس ولسن خطابا فى الكونجرس الأمريكى أعلن فيه برنامجا لتحقيق السلام فى العالم ضمن أربعة عشر مبدأ أساسيا ، وعرف هذا البرنامج فيما بعد - بالنقط الأربع عشرة - وبالإضافة الى تضمنه هذه النقاط من المبادئ التى سلم بها الحلفاء من قبل فى مذكرتهم المؤرخة فى ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩١٦ - فإن ولسون زاد عليها ما رأى أنه مكمل لها . وفى الفظة السابعة نص صراحة على تقيد السيادة الشمانية فى حدود المناطق التركيه البحتة ، وقرر الحكم الذاتى لسائر الجنسيات الأخرى التى كانت خاضعة للدولة الشمانية . وفى القطة العاشرة أعلن ضرورة تسوية المشكلة الاستعمارية تسوية منزهة عن كل غرض .

كما طالب البرنامج بإنشاء جمعية أو عصبة للأمم لتحقيق فيها الضمانات

المتبادلة للاستقلال السياسى للشعوب كبيرها وصغيرها وكفالة السلام لأراضيها •

ولقد حرص الرئيس ولسون فى مختلف خطبه على أن يوضح هدفه من هذا البرنامج فقال انه برنامج أعد لمواجهة الأخطار التى تهدد الحرية السياسية والاستقلال الوطنى لجميع شعوب العالم ، وأكد أن السوالات المتحدة الأمريكية لم تسترك فى القتال ضد ألمانيا الا من أجل أن نقضى على ذلك الخطر الذى يهدد البشرية بالسيطرة السياسية والتسلط العنصرى فى العالم كله •

\*\*\*

ولقد كان لوعود الحلفاء ولا سيما وعود الرئيس ولسون بالذات أثر فعال فى نفسية الشعوب والقادة والساسة فى سائر أنحاء العالم • واعتمادا على هذه الوعود والمواثيق ، وبدافع الأمل فى أن الحرب بين ألمانيا والحلفاء ستنتهى الى شروط فى الاطار الذى أعلنه الحلفاء بادر الجنرال لودندورف قائد الجيش الألمانى بإرسال مذكرة فى الأول من أكتوبر سنة ١٩١٨ الى الحكومة الألمانية طلبها فيها بأن تشرع فى مفاوضات الحلفاء فى شروط الصلح ، وانضم اليه فى هذا الطلب المارشال هيندنبورج ، الا أن الساسة الألمان لم يطمئئوا الى وعود الحلفاء والى موقفهم من ألمانيا فلنكثروا فى الاستجابة الى طلب الجنرال لودندورف ، مما دفعه الى ارسال مذكرة أخرى الى الحكومة من مركز القيادة العامة للجيش الألمانى فى ١٢ نوفمبر ١٩١٨ ، فيها : نحن الآن فى موقف مشرف ، الا أن العدو قد تمكن من اخذنا خطوطنا فى أية لحظة ، فإذا حدث هذا وعرضنا الصلح ، فانما يكون هذا العرض من جانبنا قد جاء فى وقت غير مناسب • وقد نه الجنرال حكومته الى هذه الحقيقة ، لأنه كان مطلعا - تماما - على حالة القوات الألمانية العسكرية وعلمنا بحالة الروح المعنوية فى هذه الجيوش بعد أن بدأت الدعايات الواسعة التى أطلقها الحلفاء تؤثر فيها ولا سيما أن هذه الدعايات أفادت من الهزائم التى منيت بها الجيوش الألمانية أخيرا فى ميادين الجبهة

البله فيه ، وقد كان القادة الألمان يهدفون من وراء مطلبهم هذا الى عقد الصلح مع الحلفاء قبل ان تتغل المعارك الحربية الى داخل ألمانيا .

وفي الثالث من أكتوبر عاد القائد الأعلى للجيش الألمانية وطلب الى حكومته في الحاح الدحول فورا في مفاوضات الصلح . وفي الخامس من أكتوبر سنة ١٩١٨ لم تر حكومة ألمانيا بدا من طلب الصلح فبعثت في ذلك .د. رينج الى الرئيس ولسون عن طريق الحكومة السويسرية تطلب الصلح على أساس شروطه التي أعلنها ، ولكن ولسون رفض الاستجابة لطلب ألمانيا وأصر على الشروط التي ارتضاها الحلفاء جميعا أساسا للصلح .

وعادت ألمانيا تلح في طلب الصلح ولكن الرئيس ولسون أعلن في ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩١٨ باسم الحلفاء أنه يقبل اعلان الهدنة اذا ما أقره جميع الحلفاء على ذلك ، وادا ارتضت ألمانيا الخضوع لتلك الشروط التي أعلنها الحلفاء وفي طليعتها تسهدها والتزامها بما سوف يوضع من شروط وضمانات للحيلولة مسبقا دون وقوع عدوان ألماني جديد . وأن يتأكد العالم أن زمام ألمانيا لن يكون في يوم ما بيد أولئك الساسة الذين تسبوا في الكارثة التي حلت بالعالم وقبلت ألمانيا الشروط المملأة عليها وبهذا انتهت الحرب على الصورة التي أرادها الحلفاء لهايتها بعد أن طخت رحاها ثمانية ملايين زهقت أرواحهم في المعارك وبعد أن خلفت وراءها ثلاثين مليوناً من الجرحى والمسنوئين وخلفت من الكوارث والدمار والخراب ما تنفطر له القلوب وما اكوى بناره المنتصر والمهزوم على السواء وإذا كان الانسار قد خفف من حدة الآثار التي خلفتها الحرب في دول الحلفاء فإن الهزيمة كانت تزيد من حدة هذه الآثار في ألمانيا بحيث كانت ألمانيا تشعر بمرارة المهزوم وخسارة الخاسر ، وكان الحرج في كيانها المادى وفي كيانها المعنوى .



واتقد وقف الى جانب الغرب في تلك الحرب فريق عاونه وضمره وأخلص في موقفه هذا ، وعلى الرغم مما كان يعانيه هذا الفريق من استعمار الغرب ، فإنه لم يتنفض على الغرب أو ينكر له وأبى قاداته وزعماءه أن

يستغلوا ورطة الغرب في تسوية مشكلاتهم والخلص من الاستعداد  
وتحديد موقف العرب منهم قبل أن يقدموا على معاوته ، أثر هؤلاء  
الساسة والقادة الا يستغلوا ورطة الحلفاء وخرج مركز الغرب من أجل  
تسوية مستقبل بلادهم السياسى تسوية واضحة نهائية ، آثروا سياسة  
المسالمة والوفاء ، ومنوا شعوبهم بعهود الحلفاء ووعدوهم ومواثيقهم ، وكانت  
الأمة العربية بين هذا الفريق المخدوع .

\*\*\*

اتجهت أنظار شعوب العالم كلها ، الى مؤتمر فرساي ، اتجهت اب  
وكلهم أمل فى السلام الذى فاضت به دعايات الحلفاء وتصريحاتهم  
وعهودهم ؛ غير أن الذين أنووا نصبا من العطنه وبعد النظر كانوا يدركون  
أنه لن يكون مؤتمرا للصلح سوى فبه المشاكل بين المتصر فى الحرر  
والمهزوم فيها ؛ وانما سيكون مؤتمرا يعقد بين المتصر وأتباع المتصر ،  
سجى فيه المساومات وتوزع المغانم ، مهزوم الحرب لن يكون طرفه  
على مائدة الصلح ، وانما سيكون سلعه على هذه المائدة ، وكان هؤلاء  
البصرون بالأمر يدركون - سلعا - أن الدول التى هزمت فى الحرب لن  
يكون لها دور فى المؤتمر ، اللهم الا دور التسليم والأذعان لما يملأ عليها  
وان جدول أعمال المؤتمر لن يتضمن اقرار حق الشعوب المغلوبة والمهزومه  
فى الحبة وفى الحرية والاستقلال .

## الفصل الأول مؤتمر الصلح

« كليمنصو يتحدث عن الصلح والسلام - نزع السلاح - حلول المؤتمر »  
« كليمنصو والدول القوية - مؤتمر الصلح يحدد مصير أوروبا - المجر - شيكوسلوفاكيا »  
« بوجوسلافيا - يوغوسلافيا - دانتونج - خضوع ألمانيا لشروط الحلفاء - القيود - مؤتمر »  
« الصلح والشرق العربي - نظام الائتلاف - انقسام البشر الى معسكرات - العالم »  
« بعد مؤتمر الصلح - موقف الدول المهزلة والدول القوية على امرها - فلانها الى »  
« الكفاح - الرابطة التي قامت بينهما » .



كان من الطبيعي أن يحرس الحلفاء على غطيه أغراضهم من المؤتمر ويعملوا بآديء ذى بدء أن المؤتمر مؤتمر سلام • ومن أجل هذا الغرض وقف المسيو كليمنصو Clémenceau يعلن في جلسة افتتاح المؤتمر أن غرض الحلفاء من عقده إنما هو تحقيق السلام على أساس من العدل والأمانة والنزاهة • paix de justice et de probité . ويقول بأنه من هذا المؤتمر سيلتبع في شعوب العالم كله بريق الأمل في السلام والحرية وإن العالم قد تحمل عبء أخطار جسيمة واجتاز محنة فاسية وعانى آلاما مبرحة ؛ وذاق مرارة الآمال الخائبة ؛ ولكن هذه المآسى والتكبات قد شكلت في النهاية ذلك الموكب العظيم الذى يتحرك نحو السلام ترمقه من السماء نظرات مقدسة ترسلها أعين الموتى ونظرات الضحايا الذين اقتدوا حق الشعوب في الحرية والاستقلال • وإن العالم كله يتطلع الى مسير هذا الموكب المقدس ويتنظر ظهور الانسان المطهر الذى يخرج من الموكب •

وقف كليمنصو يقول ان هذا السلام الذى أتاحه الله لنا بمعجزة يجب أن تشكله بأيدينا بعد أن رأيناه بأعيننا • • يجب ألا نحول نظرنا عن

طيف هذا السلام ولا بد أن نجعل طيفه ماثلا دائما أمامنا يلازمنا في تفكيرنا ، لكي نستطيع ان نحقق الى جانب معجزة كسب الحرب \* معجزة أعظم وأكبر : معجزة السلام \*

ولقد عاد كليمنصو بعد المؤتمر فحدث عن «وقفه هذا » تحدث عن خطابه الذي افتتح به المؤتمر فدل : أجل لقد ألفت خطابي ، وكلي - اذ ذاك - أمل في تحقيق معجزة السلام ، ولكن الانسان لا يستطيع أن يحقق من المعجزات الا القدر الذي تسمح به طاقته \* على أن ما يمكن تحقيقه من المعجزات لا يتم على الصورة الملى الا اذا تقينا أنفسنا مما يراكم فيها من آثار الماضي فسيطر على تفكيرنا وأثر في غريزتنا ، بحيث لم يكن في إمكاننا ، التقلب على الصعاب التي كانت تواجهنا آنذ ، قبل أن ننخلص من هذه العوامل النسبة العميقة التي تتحكم في تفكيرنا وتوجه آراءنا \*



ولقد كان كليمنصو صادقا في هذا الذي قاله ، لأن الظروف والعوامل كانت كلها تقطع بأن الغرب يواجه في مؤتمر فرساي لحظة من اللحظات الحاسمة في تاريخ البشرية ، لحظة لم يسبق للبشر أن واجه منها \* ولقد كان على الغرب أن يدرك أن مصيره قد أصبح متوفنا على سلوكه وكان على سياسة الغرب اذ ذاك أن يحولوا آثار الحرب البشعة الى دوافع في أنفسهم توجههم صوب التعقل والحكمة ، وتعل كلمة الضمير فمن الخراب والدمار الذي منيت به البشرية بعد الحرب العالمية ، ومن آفات التكاليف ، ومن دموع التماسي ، ومن آلام المشردين بلا مأوى ، من هذه المآسى التي خلقتها الحرب ، كان جديرا بالغرب أن يلتبس منها العظة وأن يدركه الندم ، وأن ينبعث فيه نبل العواطف الانسانية فيخط في سجل التاريخ صفحة انسانية جديدة ، يكتب كلماتها بأحرف من النور . يبدأ عهدا تحفى فيه الآلام والمظالم ، وتسوده حرية الشعوب وينعمو سلام دائم أساسه يقظة الضمير الانساني \*

كان على العالم الغربي « وعلى بريطانيا وفرنسا بنوع خاص » أن يتسامى عن شهوة التسلط والسيطرة والأحقاد وأن يتجرد من نزعاته



الاستغلالية ، وأن يطرد من حياته الفكرية تلك الدواعى التى تأصلت فى أعماق سياسة الغرب وضد على أمل البشريه فيهم ، والنس لم يتناولها كليمنصو الا من حيث كونها دوافع من آثار الماضي فحسب ؛ وأبى أن يتعرض الى أسبابها والى جدورها ومقدماتها ؛ لم يشأ أن يقول ان هذه الدوافع انما هى نتيجة للفلسفة الاستعمارية التى اعتنقها الغرب ، تطبيقا لمبادئ هذه الفلسفة .



استهل مؤتمر الصلح أعماله ببيان وخُطب تناول المبادئ والمثل العليا وتدعو إليها ولكن سرعان ما كشف الحلفاء عن جميع أغراضهم وأهدافهم من هذا المؤتمر وهذه الأهداف التى سبق ان وضحها فى الصريح الذى أدلى به المارشال فوش Foch عند اعلان الهدنة وقول فيه : ان الحلفاء حاربوا من أجل أهداف محدودة ، ثم أشار الى هذه الأهداف فقال : ان النتائج التى سيحققها الحلفاء من الحرب هى التى ستوضح وتعين أهدافهم .

لقد انتهى مؤتمر فرساي الى حلول لم تكن فى اطار الصريح والوعود والمواثيق التى أخذ الحلفاء بها أنفسهم ، بل انتهى الى قرارات تثبت سلطان فرنسا وبريطانيا أساسا على حساب تلك المبادئ التى أعلنها الرئيس ولسن ، وتتنافى وتلك المثل العليا التى طلائها تغنى بها الحلفاء من قبل ، والمهود التى قطعوها على أنفسهم . وقد اتخذ المؤتمر قراراته لبغضى على ألمانيا أولا وقبل كل شئ .

ذلك كله كان موقف المؤتمر من ألمانيا ، أما موقفه من القضايا التى كانت تتعلق بحقوق الشعوب فان تلك الحقوق على حد ما ورد فى محاضر المؤتمر ذاته ، قد عالجهما المؤتمر بنوعين من الحلول : حلول جزئية ، solution partielle وحلول مؤجلة ، solution différée . ويقول كليمنصو انه كان على المؤتمر بعد المقدمات العامة والمبادئ أن يواجه المشاكل القانونية ، مشاكل الحقوق المادية للحلفاء الذين تمكنوا

من استرداد سلطنتهم وسيطروا على أعمال المؤتمر ، تلك الحقوق التي وضعت أمام الحلفاء المنتصرين ، متاعب ومصاعب لا حدود لها وعجزت مختلف القوى عن التغلب عليها •

ويقول كليمنصو : ان هذه الحقوق كانت نرجس بمطالب ، وبالزيد من المطالب ، ثم بالزيد من الضمانات وانه لولا خوف الحلفاء من أن يستعيد ألمانيا فونها ، وتعاود الانفصاض من جديد على أعدائها المنتصرين وتزج بالعالم في أتون حرب أخرى لما اتفق الحلفاء الذين جمعت بينهم الحرب وجمع بينهم النصر ، أولئك الحلفاء الذين كان همهم الأكبر تحقيق توازن القوى على أساس من الحذر والحرص أمام احتمالات المستقبل ومفاجآته التي لم يكن بوسع أحد أن يتكهن بها •

يقول كليمنصو : ان الحلفاء قد تغنوا بشرف الاضطلاع بأعياء تحقيق السلام • ولكن هذه الاعباء التي تلقيناها عن آباءنا سنورثها لأبنائنا وهم بدورهم سيخلفونها لأولادهم وان كانوا سيعجزون جميعا عن وضع حدود لهذه المسؤوليات • •

ثم يستطرد كليمنصو فيقول : كان لا بد للعالم من أن يعيش حتى ولو ظلت مشاكله وأموره معلقة اذ أن شيئا ما لا يمكن أن يتحقق الا نتيجة للتطور ، فان أول ما ينبغي تحقيقه من أجل الحياة هو ان نحدد في حاضرنا كل الأمور المشروعة التي نأمل تحقيقها مستقبلا ، لأن من شأن هذا التحديد ان يرسم في ذات الوقت مصيرنا ، ولقد كان هذا هو واجبنا في مؤتمر الصلح لأن الحرب قد أثبتت لنا أنها أداة للسيطرة بقوة السلاح ، وكان علينا أن نقدر أيضا ان مؤتمر الصلح قد يؤدي الى تسخير الشعوب واستعبادها ، وذلك لأن مشكلة الانسان الأزلية هي الدفاع عن النفس ومقاومة كل تجمع ضدها ، وكل عدوان محتمل يقضي أن يعد الانسان المدة لدفعه ، ويهيئ نفسه للرد عند ما تصارع مختلف القوى بعضها بعضا •

وقال ان أقوى الدول وأفضلها هي التي تثبت يفظتها وحسن

استعدادها للدفاع عن نفسها ضد كل مكروه يوجه إليها ، والى تكون  
قادره على مساوئه صديقتها اذا ما اسلى بمحنه ، لأن ذلك الصديق سيلي  
بداها اذا استجذب به لنجاوب مع شعورها . لقد كان مؤتمر الصلح  
دعوه جديده بدعوه لأن يرد من حمايه أنفسا ، لكى نقيم حراسا  
لا ينامون ولا ينامون ، وسعرون الآخرين بأننا أمه حريه على أن تبادر  
برد العدوان ، وحريره على أن يظل نقطه دائما حتى لا تعاجلها الأحداث  
.ولا تخذعها الشعارات والوعود الى بخدر فيها نزعه الدفاع عن النفس .

تلك كانت فلسفه كليمنسو أقوى شخصيات فرنسا ورئيس مؤتمر  
الصلح ومن أكبر الزعماء فى تاريخ فرنسا الحديث ؛ تلك كانت الروح  
الى سيطرت على مؤتمر الصلح .

حدد مؤتمر الصلح صير الشعوب الأوربيه الى كانت فى حرب  
مع العرب . فانتتهت امبراطوريه النمسا ؛ وهضمت المجر عنها ؛ وأصبحت  
مجرد دولة متحدة اتحادا فدراليا ومؤلفه من ست دويلات ننسج كل  
منها باستقلال ذاتي ؛ ويسطر عليها الحزب الاشتراكي ذو الرعه  
الشيوعيه ، ورأس حكومتها وهنر المستشار « ماير » Mayer ، وبدأت  
النمسا فى الحلل واسولت ايطاليا على جنوبى التبرول الى كانت النمسا  
منبره قلبها النابض فى الجنوب ؛ واسنول ايطاليا عليه وأغلب سكانه  
من الجنس الألماني ؛ وتحللت امبراطوريه النمسا ، وتحللت تلك الدوله  
الى خلقتها معاهدات الصلح وهى النمسا الصغيره الجديده الممزقه والى  
عجزت عن تدبير الغذاء لسكانها وعانت من ومالات الصلح ما لم تمان  
مثله فى تاريخها بأكمله .

\*\*\*

اعترف مؤتمر الصلح باستقلال المجر وانشاد الغرب ببطولة المجر  
التي أحضتها النصر الجرمانى بعد أن تخلفت من السطره الاسلاميه  
فى أوائل القرن الثامن عشر . وأقام مؤتمر الصلح جمهوريه  
شيكوسلوفاكيا فضت عناصر من الشعب السلافى والشعب التشيكى فى  
ولاية بوهمسا ، واعترف مؤتمر الصلح بوجود الأمة التشيكيه وهام

الجمهورية التشيكوسلوفاكية التي أعلنت وجودها في ٢٨ من أكتوبر.  
سنة ١٩١٨ وكان بنش Benesh أول رئيس لها ، كما أنها قامت على  
إنقراض الامراطورية النمساوية والامراطورية الألمانية .

\*\*\*

وبمقتضى معاهدات سان جرمان ، ونويي ، و تريانو ، أقام مؤتمر  
الصلح دولة ثلاثية تجمع الصرب والكروات والسلوفين في دولة جديدة  
أطلق عليها « يوغوسلافيا » ، ووج عليها ملكا من أسرة كاراجورجيتش.  
Karagorjevitch واتطع الحلفاء لهذه الدولة المنطقة الساحلية  
التي كانت جزءا من امراطورية النمسا على بحر الادرياتيک والى شمل  
تريست Trieste وتيومي Fiume وقد أصبحت فيما بعد  
منطقة يدور حولها الصراع بين تلك الدولة الجديدة وبين ايطاليا .

\*\*\*

ولقد حرص مؤتمر الصلح على تقوية نفوذ رومانيا ، فأقام رؤسائ  
الكبرى ، وصب بسارابا وبراسلافيا ، وبلغ تعداد سكان هذه الدولة  
سمة عشر مليوناً من الأنفس ، وأعاد الحلفاء الدولة البولونية الى الوجود؛  
ولكى يدعموا وجودها عقدوا أحلافاً بينها وبين الغرب .

لقد كنت بولونيا من قبل هدفا للمغربين ؛ فتارة كانت تقع في  
فبضه روسيا ؛ ودره مع هي قبضة النمسا ؛ ثم انقسمتها فيما بعد المايسا  
والنمسا وروسيا ، وظلت الأمة البولونية في صراع لا ينتهي ضد الدوله  
التي تقصب أراضيها وتخضعها لحكمها ، وظلت تتشدد الحربه  
والاستقلال أزمانا طويلة الى أن تحقق لها هذا الاستقلال في نهاية الحرب  
العالمية الأولى ؛ غير أن الوضع الجغرافي لتلك الدولة الجديدة صورته  
التي حاصت نتيجة لقرارات مؤتمر الصلح قد ضم إليها حائبا من البلاد  
التي كانت فيما مضى تخضع للحكم الروسي البحت ، كما ضم إليها سلافا  
كانت ألمانيا تعتبرها جزءا لا ينفجراً من الأراضي الألمانية ، بل ان أخطر  
من كل هذا ، ان معرا أرضها أقيم كفاصل يفصل ألمانيا الغربية عن بروسيا  
الشرقية التي أصبحت حبا تحاصره الأراضي البولندية ؛ وانخذ ذلك كله.

من أجل يمكن بولندا من الحصول على منفذ الى بحر البلطيق في مياه دانزيج Dantzig. وقد ترتب على هذا الوضع ونسبب هذا المرفق في وقوع أحداث خطيرة ، وكان من الأسباب الجوهرية التي تذرع بها فيما بعد هتلر فاستباح لنفسه الهجوم على بولندا ، مما كاد الشراة الأولى التي أشعلت نار الحرب العالمية الثانية .

\*\*\*

أما ألمانيا فان مؤتمر الصلح فرض عليها شروطا سياسية الرمها النازل عن اراض لمصلحة كل من فرنسا وبلجيكا ولكسمبورج ، فأقطعت منها مطلقه السار الغني بمناجم الفحم ، وألت عليه هذه المناجم الى فرنسا كجزء من 'مويضات الحرب' ، ووضعت المنطقة تحت الحكم السياسي لحصة الأمم على ان يسمى السكان في مستقبلهم السياسي بعد خمسة عشر عاما على سريطة أنه في حالة ما يسفر الاستفتاء عن رغبة السكان في العودة الى أحضان أهم ألمانيا فان لفرنسا أن تحتفظ بملكه هذه المناجم كما افطعت من ألمانيا أراض ضمت الى الدولة الشيكوسلوفاكية الجديدة وأراض ضمت الى بولونيا . ولقد أجبر مؤتمر الصلح ألمانيا على التنازل عن جميع مستعمراتها في آسيا وأفريقية ، وأرغمها على الاعتراف بالحماية الفرنسية على مراكش وبالحماية البريطانية على مصر والتنازل عن كل ما كان لها من امتيازات في سائر البلاد التي يسيطر عليها الغرب .

ان مؤتمر الصلح نظم مستقبل ألمانيا عسكريا وقيد حريتها في تكوين الجيش وفي اقامة القلاع والحصون ، وحد من حريتها في انشاء الأساطيل البحرية ، ثم فرض عليها تعويضات الحرب لمصلحة الحلفاء .

\*\*\*

أما شعوب الشرق والشعوب المغلوبة على أمرها في سائر العالم والتي أحضعتها الاستعمار لسلطانه ، فلا مؤتمر الصلح ولا ميثاق عصبة الأمم اعترف لها بالسبادة أو أعلن تحريرها وحفها في الاستقلال ، بل ان المؤتمر وميثاق عصبة الأمم قد أبقا الأوضاع القائمة ، وكل ما استحدثه

المؤسر في هذا الشأن هو نظام الانتداب الذي هت عليه المادة الثانية والعشرون والذي اسحدث ليكون اسما جديدا للاستعمار المقع . ولقد سم ميناى عسبة الأمم البلاد المطلوبة على أمرها ، الى بلاد متخله ؛ وأخرى فى طريقها الى التمدد والطور ، ووضع لكل منها نظاما للانتداب بدرجة تحت وصاية الغرب وسيطرته .

\*\*\*

وهكذا لم يرى العرب الى مسوى الانحسار الذى أتبع له ، فلم يدرك تبعات المتصر وفرض نفسه وصيا على العالم يرمى مراحل بطوره وفيما على الشعوب يلزمها أن تأمر بأوامره وفرض الغرب ارادته وسلطانه على الشعوب المهرومة ، وعلى الشعوب التى غررت بها وعوده وانخذعت بعهوده وموائمه .

وغاب عن ساسه ان اغراق المتصر فى ادلال المهزوم ، وان التعرير بالشعوب المغلوبة على أمرها ، بعد أن مناهى الغرب بوعوده خلال سنى الحرب ؛ غاب عن هؤلاء الساسة ان سياستهم هذه تفرس من جديد بدور الحقد وكرهية سائر البشر لهؤلاء المسعرين للغرب .

لم يظن الغرب الى أن هذا العتو والطغيان فى سياسته سيعخلق بينه وبين سائر الشعوب هوة عميقة لا يمكن أن نسلأ فراغها الجهود التى تبذل يوما ما لديها ، هوة تعم الشعوب على جانبيها متقسمة الى مصسكرات متخاصمة متحفزة أبدا الى القتال وإلى الحرب التى تتحول بفعل هذه السياسة العائسة الى وسيلة لا مفر منها لحماية وجودهم وكفالة بقائهم .

\*\*\*

اسهت الحرب ، وطام مؤسر الصلح بم انقض ، وأمكن للدول الاستعمارية وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا أن تمذ خططها ، واطمان فادتها وساستها الى استقرار الأمر لهم . وكانت الاوضاع التى خلقها مؤتمر الصلح من شأنها ان ندعو الشعوب المهزومة ؛ والشعوب المغلوبة على أمرها وقادتها وزعماءها الى اسنراض أو سنع ملادهم على هدى من الوعى

الذى يسه فى هذه الشعوب مكرها وفلاسفها ومؤرورها فاندفعوا الى الكفاح والجهاد ضد النير الذى أعده لهم العرب ، ولكنى نالوا حتمهم الطمى فى العزة والكرامه .

كان لرام على تلك الشعوب والام ان يحرك وان يعمل : فحرك لسور صد حكاهما ، ثم ضد بطنها ، ثم ضد العرب . وهكذا خلق العرب دانه رابطة ضده ضمت الدول الى هربت فى الحرب ولا سيما المانيا والدول التى أصابها حبة الأمل بعد مؤتمر الصلح وسكر لها بريطانيا وفرنسا وأعلنت مطالبها فى المؤتمر ، ومن بين هذه الدول إيطاليا واليابان اللتان لم يسيا موقف الغرب مهما فى مؤتمر الصلح ؛ بل ظلنا نذكره حتى قيام الحرب العالميه الثانية .

كما جمعت هذه الرابطة الأمم المغلوبه على أمرها والخاضعه لسلطان فرنسا وبريطانيا ، تلك الشعوب التى نين لها مدى خداع بريطانيا وفرنسا واستغلالهما ، ثم اصرار الدولتين على تثبيت سلطانهما عليها . ضمت هذه الأمم والشعوب رابطة لم يبلغ مسوى التحالف ولا العهد والمواثيق ولكنها كانت الرابطة التى جمعت أعضاءها وحدة الخصومة ، وألقت بينها عدوها المشترك ، ولم تكن هذه الرابطة سوى أن الشعوب المغلوبه والخاضعه لسلطان الغرب دعت لنفسها ان نسدل سلطانا سلطان آخر بل كان جهادها وسعها فى سبل حرسها واستغلالها . . .

\*\*\*

أعطت فرنسا وبريطانيا الى أن الأمر قد استمر لهما ، واجهما الى التوسع الاستعماري فى اوسع صوره ، وفانى اندفاعهما ما كانت عليه خططهما فى الماضى ، وحرصا على الانفراد بجمع المزايا ، بل ان الدولتين قد تكبرا لحلفتهما الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدولة التى دخلت الحرب الى جانبهما فى أحرع لحظات ماربخهما وفى أدق مراحل الحرب بالنسبة لهما ، بحث لو لم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية الحرب لكانت الحرب قد انتهت بهزيمة بريطانيا وفرنسا واتصاف المانيا . . .

## الفصل الثاني الحرب ومسئوليتها

« المطالبة بإعادة أهيل السحب الإنللى - المطالبة بمحاكمة القادة الإنللى المسئولين من »  
« الحرب وضحاياها - بريطانيا وفرنسا تجاهلتا ضحايا استعمارهما - لم يرتفع صوت »  
« لمعاستيهما - رد الإنللى - بريطانيا وفرنسا لاندركان ان ماقمنا به من خيرات لم يكن »  
« الا على حساب ارواح اهدرت وحقوق المقتبصت - الحديث عن الانتصار لا عن الحرب »  
« لوندورف انتقل المانيا » .

\*\*\*

يسما كان مؤتمر فرسلى معهدا للبحث فى شروط الصلح ، شرع  
الساسة والكتاب فى فرنسا وبريطانيا يطالبون باعادة تأهيل الشعب الألمانى  
واقبالع جذور النمرد والوورة على النظام الأوروبى نفسه ، وحمله على  
اعتناق النظم اللديمقراطية التى يراها الغرب ملائمة له ومحاكمة مجرمى  
الحرب المسئولين عن ضحايا فرنسا وبريطانسا من القتلى والجرحى ،  
وعن الدمار والخسائر التى أصابت الحلفاء .

\*\*\*

كان الساسة فى فرنسا وبريطانيا بطالبون بذلك فى ذات السوقت  
الذى اتسع فيه النعاف بفضنهم الاستعمارية حول أغلب شعوب افريقية  
وآسيا ، وكان الضحايا من الاحرار فى ملك البلاد يستقطور سرعى تحت  
وايل من رصاص جنودهم ؟ وتخرب مدنهم وديارهم دون أن يرتفع  
صوت لتجدة الضحايا أو لمساءلة الدولين عن ملك الجرائم التى دأتا على  
ارتكابها والاسترسال فيها .

ان أحدا من ساسة فرنسا وبريطانيا ومن كتابهما ومفكرهما لم  
يحاسب الدولين عن مئاة الحروب الاستعمارية التى اسلمنا نارها طوال



«الفرين التاسع عشر والعشرين • ومن العريب ان بريطانيا وفرنسا اللتين لم نجدا من يزحزح... بسا افترقا من العطايع الدامية فى معاملة الشعوب كاتنا هما الدولتين اللتين ارتفع صوتهما ليؤاخذا ويحاسبا الشعب الالمانى عن جرائم الحرب وكأنا الحرب لايكون حريمه وعدوانا الا اذا أوقدت نارها المانيا ؟ اما الحرب اذا شنتها بريطانيا وفرنسا فانها خير وبركة •

وطالبت الدولتان بروس الصفوة الممتازة من قادة الجيوش الالمانية والعلماء الذين أعدوا أسلحة الحرب ورجال المال والصناعة الذين موبوا المجهود الحربى الالمانى ؟ ملاب الحلفاء بتلك الروس التى كان القضاء عليها بمثابة القضاء - تماما - على المانيا ؟ فما كانت المانيا فى حقيقتها وفى قوة كانتها غير أصحاب هذه الروس الجبارة •



ابرى الكتاب وأهل الفكر فى المانيا وقشد كما ابرى المصنفون من الكتاب فى بلاد الحلفاء ذاتها ليقولوا للفرنسيين وللانجليز • ارجعوا الى فلاسفة وكتاب فرنسا وبريطانيا ، ارجعوا الى الساسة وأهل الفكر فى الغرب ارجعوا الى داروين Darwin ، الى لامارك Lamarck ، فكلاهما نادى بنظرية التنافس من أجل البقاء ، التنافس الذى يقضى حتما الى الصراع والى الحروب •

تحدى هؤلاء المفكرون بريطانيا وفرنسا وتحدوا دعوتهما الى ماأسمناه محاكمة مجرمى الحرب ، وسألوا الساسة أصحاب هذه الدعوة • ألم ينادى الفيلسوف الفرنسى بسكل Pascal بأرائه التى تقول ان الوجود الانسانى انما يستند الى القوة ، وأنه بالقوة وحدها تحل المشاكل التى نعرض حياة الانسان ؟ ألم يقل الفيلسوف الفرنسى برودون Proudhon ان الانسان انما يلتقى بنظيره فى الوجود ، أى بأخيه الانسان ، لكى يتصارعا على السيطرة على العالم وليتافسا فى سبيل البقاء ؟ ألم يقل الجنرال شيرمان Shermann ان الحرب شر لاد منه وأنها باقية - حتما - مابنى الجنس البشرى ؟ ألم يقل الفيلسوف المؤرخ فرادى Ferrari ان الحرب هى العماد الرئيسى للحضارات التى نوالت عبر التاريخ ؟

أجل ، لقد قال هؤلاء المعكرون المصنوعون الكثير في هذا الصدد ،  
فذكروا فرنسا وبريطانيا بكل ما ندحس حجة الدولين ؛ ذكروهما حتى  
توراة اليهود التي مجدت الحروب فقالت : ان الحروب مقدسة وأن الرب  
يبارك الحرب ؛ وامامنا من اليهود في تمديس الحروب ؛ أطلقوا في بعض  
عهودهم على الرب اسم ( ساباوات ) Sabaoth , وتعربه (اله الحوس) •

لقد قال العادلون الماء من المفكرين ، لسانه بريطانيا وفرنسا ارجعوا  
الى الحروب الصليبيه لروا كيف سهرت فيها الكنسه السيف في وجه العرب  
والاسلام ، وكيف رفعت فيها الكنيسه المخزيين الى مصاف القديسين والى  
مراتب أولياء الله في الارض ، وارجعوا الى مقاله الجنرال الفرنسي باردان  
Bardin من أن الكنسه بمجد السيف كأداة ووسيله مسيحيه ومن  
ان القانون لا يحل الا بعد أن يحل السيف فيجد السيف - وحده - بحرم  
القانون •

وتساءل الكتاب ألم بفل مونتسكيه Montesquieu الفيلسوف  
الفرسي ان الشعوب التي بهرم وضري اراضيها هي تلك الشعوب التي  
انهارت أنظمتها وساد الفساد فيها ولم يعد للقوانين احرامها واسيد حكامها  
بأمرها ؛ وانه لمن الخطأ أن يقال ان غروها والحالة هذه ضد مصالحها ؛  
فان مثل هذه الشعوب لاخضر شيئا نسحه لفزوها مادام أن حكامها فدعجزوا  
عن اصلاح أمورها •

ان الغازي حينما يدخل اراضي شعب -بوسيله أو بأخرى- يبدأ في العمل  
على تخفيف الظلم الذي حاق بالشعب من حاكمه ؛ وأن الغزو من شأنه أن  
يحطم الأنظمة التي نحد من بطور الشعوب ثم انه يضع هذه الشعوب تحت  
وصائه أمه أفضل وأصلح !

ارجعوا الى مقاله ماكيافل Machiavel من أن انهيار وقبام  
"لامبراطوريات عبر التاريخ اما هو سنة الحياه وهو تعبير عن الحقيقه  
الخالده وهي احلال الصالح محل الطالح ، وبما الحكم للقوة وحدها ، وان

الحق في حذمه العود ، وإن تلك هي الحقيقة التي طلب نابه عبر التاريخ .  
وأن الذي يتردد عليها إنما هو أسأل لم يمتلئ إلى آخرها الواقعة إننا ، وإن  
الحرب المقدسة ذات الغايات السامية لدى الحرب التي سبب بين من يملك  
ومن لا يملك ، بين من يمدد حربه ووسائله وبين من يسيطر وأبوي  
الوسيلة . إن مثل هذه الحرب لنجد حرباً من أجل اسروداد الحق التي  
انترعت أصلاً ، وحرباً في سبيل الشرف والاستقلال .

ارجعوا إلى تاريخ فرنسا وبريطانيا البعد ، وإلى ما قام بينهما من  
حروب دامت قروناً واحداً ، ارجعوا إلى حرب المائة عام ، ارجعوا إلى  
حين دارك ، وإلى حروب الملك لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ؛  
ارجعوا إلى حروب الثورة الفرنسية ، وإلى حروب نابليون ، ثم اذكروا  
ذلك الصراع الذي أحدم بين فرنسا وبريطانيا من أجل التسلط  
والسيطرة على موارد العالم في آسيا وإفريقيا وأمريكا ، فإنه على الرغم من  
هذه الحروب لم تدرك فرنسا وبريطانيا أن مجال النشاط السلمي في سائر  
أنحاء العالم فسيح أمام الجنس البشري ، ولكن الاستعمار وحده هو الذي  
حال دون انتفاع البشرية في العالم كله ، هذا العالم الذي مازال في حاجه  
إلى الأبدى لزراعة أراضيه ، ولتصالحه ، ولتصالحه لتوفر لجميع سكانه  
الغذاء والكساء ، ولتحقق لهم الأمن الاقتصادي والاستقرار الساسي ، على  
أساس من العدالة والحرية .

لم تدرك فرنسا وبريطانيا وسائر الدول الاستعمارية أنها بالحرب  
وبقوة السلاح قد حرمتا شعوباً في سائر أنحاء العالم حريتها وفرصتها  
عليها الخضوع لهما بقوة الحديد والنار ، واعتصمنا خراب أراضينا فأناشعنا  
في الشعوب الذل والهوان والجوع ، في حين انعمت خبرات هذه السلاسل  
فرنسا وبريطانيا .

لم تدرك فرنسا وبريطانيا أن مانعتهما لم يكن إلا على حساب الحرية  
والحق التي أهدرت ، وعلى حساب الأرواح التي أزهقت في العالم كله  
ولم نشعر الدولتان بأنهما حينما تحدثتا عن قضية الحرية والسلام وعن

خوف الشعوب فانما كانوا نعيين هذا النصر في الحرب الذي توج رأسيهما  
بأكاليل الغار ، تلك الأكاليل التي سبقتها الدماء ، لادماء أعدائهما فحسب ؛  
بل ودماء الملايين من ابناء الشعوب التي كانت ترزح تحت الحكم البريطاني  
والفرنسي ، من هؤلاء الذين ساقهم الدولان - سوف الانعام - الى ميادين  
الحرب دون أن يكون لهم في خوض معاركها مصلحة ولا ثمن .

من هذه الدماء الركية صمت فرنسا وبريطانيا أكاليل الغار ، وأحرزا  
الانصار ، وفي رهو المتصر ونشوء الظاهر ، راحت الدولتان يتحدثان عن  
عظمه انتصارهما الزائف في الحرب العالمية الأولى .

وليب هؤلاء المتشدين بهذا الانصر ، تذكروا تلك العبارة التي  
قالها الجنرال الأمريكي جرانت Grant فان فيها أعظم وأصدق وصف  
للانصر الحقيقي ، فيقول جرانت ان أمجد الانتصارات لهي تلك التي  
تحقق في سبيل السلام ، وليست الانتصارات التي تحرز في ساحات  
القتال .

لقد تحدثت فرنسا وبريطانيا عن مسؤولية الحرب وعن تعويضات  
الحرب ، وعن مفاة مجرمي الحرب ، تحدثتا لأن الانتصار حالهما وكنت  
ولم تزل حجتهم حجة المتصر أيا كان جنسه أو كان لونه .



ولقد تمكنت فرنسا وبريطانيا من فرض ماشائنا من شروط الصلح  
أما مفاة من أسنهم الدولتان مجرمي الحرب ، فقد عجزت فرنسا  
وبريطانيا عن فرض هذه العقوبة على الرغم من الحملة التي قام بها ساسهما  
وكتابهما من أجل الأخذ بمبدأ المحاكمة ، ولم يحل دون محاكمه الفواد  
اللمان في الحرب العالمية الأولى انصراف انجلترا وفرنسا عن هذه المحاكمة  
واقناعهما بفساد هذا الرأي وانما الذي حال دون ذلك هو مبادرة الجنرال  
لودندورف Luddendorf بطلب الهدنة قبل أن تغزو جيوش الحلفاء  
المانا وتنهل المارك الى اراضها فبم بذلك للحلفاء السيطرة العملية

بالسلطان السياسي على الأراضي الألمانية جميعها ويعوموا بأنفسهم باتخاذ  
أى إجراء من محاكمات أو غيرها • ولولا بعد نظر لودندرووف لما اضطر  
الحلفاء الى ترك محاكمة المسؤولين عن الحرب المقضاء الألماني نفسه الذي  
لم يتخذ أى إجراء من حائبه ، ولشاهدت نهاية الحرب الطويلة الاولى قيام  
الحلفاء بمحاكمة القادة والساسة الألمان الذين اعتبرهم الحلفاء مسؤولين عن  
الحرب •

## الفصل الثالث

### إشوا المينوز ووزو الشعوب المحكومة

« مهزوم اليوم هو عدو القد - النار والانسام - البحث عن مثل جديدة وهاده »  
« جدد - الحرب كانت أزمة كبرى - طبيعتها - العالم يتحدث عن أسباب الحرب »  
« - الأسباب الجديدة - سيطرة فرنسا وبريطانيا على مصادر المواد الأولية واحتكارها »  
« لا كبر جانب من التجارة العالمية - موقف الشعوب المحرومة - الاستعداد للعدوان »  
« يخلق الاستعداد لصد العدوان - الثورة الفكرية - الحرب يلبس القوة مسوح »  
« العلل - الأقوى يفرض قانونه - الثورات الوطنية السياسية والاجتماعية - »  
« الحرب ذاتها كانت ثورة - الساسة والمفكرون يطردون القرب من مصيره وعصره »  
« الاستعمار - سيخوخة القرب - تهدير القرب من وضع المكاتب الجغرافي ومن »  
« حبسها داخل حدودها - وقوع الحرب متى تهيأ لها الأسباب - تعبئة القوى و »  
« الشعوب المهزومة والشعوب المقلوبة على أمرها - أثر تكرر القرب للمبادئ والعهود »  
« والمواثيق - العالم يندفع من مظالم الى مظالم جديدة - قرب انتصار الشعوب »  
« الملونة - اتهاجر سادة الجنس الأبيض » .

\*\*\*

ملك كانت المعلة وذلك كن المكبر الذى سيطر على سياسته  
فرنسا وبريطانيا وكتاب الدولين فى نهايه الحرب العالميه الاولى ، وفانهم  
ان مهزوم اليوم هو عدو القد ، وان الصلح المفروض لا يحل مشكله  
السلام وأنه لس فى مصلحة المنصر ، وليس فى مصلحة المهزوم ، أو  
سائر الشعوب على السواء ان نعرض شروط الصلح على المائنا وحلفائنا  
المهزومين وأن يلزموا بتفنيها على ما فيها من القسوه .

ولقد كان ذلك كله بالاضافه الى سوع الحداث عن مسئولية الحرب  
سببا فى تحفز النفوس منذ نهاية الحرب العالميه الأولى واستعدادها للانتقام  
والنار ، انعام الاعداء المهزومين من أعدائهم من المتصرين ثم انتقام فريق  
من المتصرين من شركائهم فى النصر الذين انفردوا بكل الزايب ، وكذلك

أصبح الشعور بالرعب في النار والانتقام بسود الشعوب المملوكة على أمرها لتقص من حكمائها وزعمائهما الذين بولوا قادتها وأصبحوا رمزا لهريمتها ، وكان في هذه الشعوب سمور جامع الى البورء على النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى أدركوا أنها كانت سر المالحق بهم من قسئل وهريمه .

كان لراما على تلك الشعوب ان يبح عن فاده جدد ، وعلى أنظمه سياسيه واقتصاديه واجتماعيه جديده ، وكان لزاما عليها ان يبحت عن مدل حديده . وفيما كات هذه هي الحال في الدول المتحاربة سواء المهرومه منها أو المنتصره ، فان الحال أيضا لم يكن أقل سوءا واضطرابا في الشعوب التي عدر بها الاستعمار العرسي والبريطاني وسيطر عليها وأحضمها لسلطانه ؛ بعد أن كان قد وعدوا بالحريه والانتقلال ، فان تلك الشعوب ، لم تسكن - بطبعه الحال - راضيه ، ولم تكن أحسن حالا من الشعوب المهزومه ، ومن ثم فقد أخذت تنطلع - بدورها - الى الخلاص ، والى التحرر من بر الظلم .

كل هذه الشعوب - جميعا - تحولت بعد الحرب العالميه الاولى ، الى مراحل تغلي وأصبحت تتلفت حولها لتجد السيل الى الخلاص والى القصاص ، والى الانتقام ، فكان السيل الى ذلك امام الشعوب جميعا ، هو : الثورة .



لعد أدرك العالم أنه كان من الممكن أن يؤدي الحرب الى هلاكه ، وأنه خرج من أزمة كبرى سقط خلالها أبناء ذلك الجيل في ساحات الحروب ودمرت دول بأسرها ، ثم بمحضت الأزمة عن شعور بجرف العالم نحو الحياه التي كان ممكنا أن باد في الحرب الطاحنة لولا معجرو السماء ، وقد كان هذا الشعور الذي يمثل رغه نائرة فلفه مشتركة في العالم كله ساهه وشييه ، الحلفاء فيه والاعداء ، المسخر والمهزوم على السواء ولعل هذا كله كان الظاهره التي سقت التطور في تلك المرحلة من حياة البشره الطويله ، وهي مرحلة نمزت بما وقع خلالها من الأحداث

المظام التي تناولت مختلف أوجه الحياة في سائر المجتمعات من حيث جوهرها ، وإن من عصر احداثها ووعاها ؛ رأى كيف بدأ الطريق الى انتصار المثل العليا والمبادئ القويمة ، وشهد نمو الوعي الانساني في الشعوب فإن اتجاه العالم الى مراجعة نفسه الى الكشف عن الاسباب العميقة التي أدت الى كارثة الحرب العالمية ، هو الاتجاه الذي يكفل البقاء ويجنبه الفناء الذي أوشك أن يتلعه ، ويضع عنه على طريق السلام فيمضي فيها

\*\*\*

اندفع العالم يبحث ويتحرى من جديد اسباب الحرب العالمية الأولى وبدأ الساسة ورجل الفكر في جميع أرجاء العالم يراجعون تلك الاسباب التي حرص ساسة الحلفاء على تسجيلها وتثبيتها في الذاكرة عند عقد الهدنة وتوقيع معاهدة الصلح .

ثم انتهى هؤلاء المكرون والساسة الى اعلان الاسباب الجديدة التي هدامها اليها تفكيرهم والتي عليها قامت الحرب .. فقالوا ان الحرب لا ترجع الى اسبابها الظاهرة التي كانت السند في اعلانها ، بل انها ترجع الى أسباب جوهرية عميقة ظلت تتفاعل ببطء ، خلال سنوات عديدة وأجيال متعددة ، اسباب نبتت من التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في سائر انحاء الارض ولكنها تركزت بنوع خاص في عدد قليل من الدول التي اصبح مصير العالم مرتبطا بارادتها وهرن تصرفاتها ، اذ أنه وضبح ان سيطرة هذه الدول على مصادر المواد الأولية واحتكارها لأكبر جانب من التجارة العالمية قد خلق شعورا بالضييق لدى الدول التي حرمت هذه المخيرات والتي عجزت برغم تفوقها العلمي والصناعي عن الحصول على المصادر التي يمكن أن تقضى صناعاتها ، كما حرمت الاسواق التي تستهلك انتاجها الصناعي .

كما تبين أن الدول التي تسيطر على مصادر المواد الأولية للصناعة وتهمين على التجارة العالمية ، تشتري - بحكم هذه السيطرة - بأقل الأسعار وتبيع بأغلاها فإن بيدها مصادر المواد الأولية ؛ ويدها أسواق الاستهلاك ، فكانت تجارتها تزدهر دون أن تقوى غيرها من



الدول على منافستها فى ميدان التجارة العالمية • وكان من شأن هذا الوضع ان تلبجاً بعض الدول الى الهبوط بمستوى الأجور فيها ومن ثم الهبوط بمستوى المعيشة لكى تقوى على منافسة المنتجات الأجنبية التى تتمتع بالامكانيات والمميزات التى هياها لها الاستعمار •

وعلى ضوء هذه المعرفة والتجارب أدركت الشعوب - تماماً - أن العالم منقسم قسمين ؛ شعوب سيطرة مستقلة ، وشعوب مغلوبة على أمرها نسلب أموالها وخيراتنا لينعم بها المستعمر والمسيطر •

ووضح ان الشعوب التى تمكنت من السيطرة والاستقلال ليست مستعدة اطلاقاً للتفريط فيما ملكت من مقام وخيرات وامتيازات فهى ضئيلة بما فى يدها من ذلك ؛ لاتنزل عن شئ منه ولا لاصحابه الذين سلبتهم اياه ولا لغيرهم من الدول المنافسة من أجل السيطرة والاستغلال ؛ كما أن الدول المسيطرة المتسلطة أغرقت فى اتجاهها وأسرفت ؛ وكان ذلك كله مدعاة لما أصبح يحتمل - اذ ذاك - فى نفوس الشعوب المحرومة من الشعور بالضييق شعوراً متسماً بالنف فى الاتجاهات الفكرية وبالنصف فى العمل •

وبدأ الشعور بالظلم الاقتصادى والظلم الاجتماعى يتقل نفسية الشعوب التى تبين لها أن مشاكلها وقضاياها لايمكن أن تحل داخل حدودها وأن حلها لابد أن يكون خارج حدودها ، لان هذه المشاكل والمظالم ليست الا أحد آثار السياسة الاستعمارية فى العالم وآثار الاحتكارات الدولية التى راحت تفلق الاسواق فى وجه بعض الدول التى باتت تؤمن بأن استسلامها لهذه الأوضاع يعرض مستقبلها ومستقبل أبنائها للهلاك وبأنه مامن سبيل للتفادى من هذا المصير الرهيب سوى الاتجاه الى قوة السلاح • غير ان مجرد الاتجاه من مثل هذه الدول الباحثة عن الحياة الى الاستعداد والتهمسوء لتفرض وجودها بالقوة ؛ مجرد هذا الاتجاه كان من طبيعته ان يقابل فوراً باستعداد مماثل بل باستعداد أعنف وأقوى وأسرع تبادر به الدول المسيطرة المستقلة لتصد الهجوم عليها ولتحجب خطتها منافستها •



تلك كانت أبرز الاسباب التى بدأ العالم يتحدث عنها بوصفها الجذور

الحقيقية العميقة للحرب بنفض النظر عن الأسباب والتعللات التي حرصت الدول على تسجيلها ضمن الوثائق الرسمية السياسية واعتباراتها الأسباب الرسمية للحرب •

اذن فقد كانت النزعة الاستعمارية ، وكان تنافس الدول الكبرى على سلب حقوق الأمم والشعوب المغلوبة على أمرها والتي سيطر عليها الاستعمار هي كل أسباب الحروب •

ولرغم من انصاح هذه الأسباب وكشف هذه النزعة ، ظل حكام الغرب مصريين على تغطيتها وحجبها وراء الأسباب الكاذبة التي تبادوا في الحديث عنها بوصف انها كانت اسباب الحرب العالمية • وفي غمار الحديث عن هذه الأسباب أسرف الحلفاء في اثناء تلك المرحلة في قطع العهود وبنيل الوعود التي تنكروا لها فيما بعد ، وفاتهم ان تصريحاتهم وعهودهم ووعودهم للشعوب ايام الحرب العالمة انما هي سلاح ذو حدين ، فكما يمكن الخداع بها يمكن أيضا أن تؤلب عليهم الشعوب المخدوعة ، ويمكن أن تخلق ثورة فكرية تتجه الى القضاء على هذا النوع من السياسة القائمة على الخداع ، وهذا هو ماحدث بعد نهاية الحرب العالمية الاولى فان هذه الثورة الفكرية انبثت وظلت تتفاعل في النفوس ومضت - على الايام - في مجراها الطبيعي الذي أدى الى تطورات مادية وثيقة الصلة بكل ما ألتى من تصريحات الحلفاء خلال تلك الحرب ، وبكل ما بنى من وعود وعهود ، ثم بالاوضاع المظلمة الكريهة التي آلت اليها مصاير الشعوب بعد الحرب العالمية ، تلك المصاير التي أكدت لأصحابها أن الآمال التي بعثتها تصريحات الحلفاء ووعودهم ، لم تكن الا سرايا ، ومن هنا بدأ العامل النفساني - كقوة - يلعب دوره في مجاهدة العائنين الساخرين من عقول الأمم والشعوب • وما من شك في أن هذا العامل يشكل في الشعوب طاقة روحية تتصل بالى جانبها الطاعة المادية •



ان الحرب العالمية الأولى انتهت بهزيمة المانيا وحلفائها ، ونمضت عن النزعة الاستعمارية ، ومكنت فرنسا وبريطانيا من اقرار القوة والباسما

توب الحق لتفرضها على الشعوب فرضا بحيث أصبحت القوة متى كانت  
فى مصلحتها هى الحق .

وبينما كانت بريطانيا وفرنسا سادتين فى سبيلهما هذه فى نهاية  
الحرب ، كانت هناك دول وضُوعت تتجه الى نزعات سياسية واجتماعية  
واقتصادية فرضتها عليها التجربة ، بعد ان تبين لها ان بريطانيا وفرنسا  
اللتين انتصرتا فى الحروب وسيطرنا على مصير العالم قد داستا كل قانون وكل  
مبدأ أخلاقى ، وبعد أن بدا لهذه الشعوب أنه لأمل فى أن تصبح الأخلاق  
ويصبح الحق أساسا للعلاقات الدولية ، وبحكم التجربة استقر فى يقين  
هذه الامم التى ذابت الأمرين من عدوان الاستعمار ، ان الأقوى يفرض  
قانونه ، ويجعل من مطامعه حقوقا مقررمة ، فان الدول القسوية اندفعت  
فى سبيل التوسع الاستعمارى ، بحيث لا يتوقف توسعها الا حينما تفرض  
سبيلها دولة فى مثل قوتها أو أقوى منها ، فاذا أزالته هذه العقبة وأمنت على  
خطتها التوسعية انقضت على غيرها ملتزمة لعدوانها سندا أو آخر من سند  
القوة أو قانون الغاب ، ثم اتخذت من وضعها المدوانى حقا دوليا تستيع  
به استثمارها لغيرها .

ان الحرب العالمية الأولى تمخضت عن آثار شملت العالم كله ، وعن  
ثورات تبلورت فيها المبادئ السياسية ومختلف النزعات الاجتماعية  
والاقتصادية ، وعن ثورات وطنية ضد العدوان الأجنبى وللتخلص من  
الاحتلال ، ولكن دون أن تمس الثورة الاوضاع السياسية والاجتماعية  
والاقتصادية فى البلد التاثر . لقد خلقت الحرب العالمية الأولى ثورات  
شاملة وخلقت أوضاعا ، وخلقت نظما ، وخلقت دولا جديدة فى أوروبا .

\*\*\*

ويمكن القول بأن الحرب العالمية الأولى كانت فى ذاتها ثورة عالمية  
قامت بها الدول والشعوب بعضها ضد البعض الآخر ، أعنى انها كانت ثورة  
قامت بها دول ضد أخرى ، ولم تقم بها لمجرد الكسب المحلى ، وانما من  
أجل تغيير الأوضاع الدولية فى مختلف أنحاء العالم . وكانت ثورة باعتبار  
ان الدول المتحاربة كانت فى هذه الحرب فريقين ، فريق حمل سلاحهم من

أجل ان يغير اوضاعا يفيد منها الفريق الآخر ومن أجل ان ينزع منه مافى يده وفريق يعتبر ان مافى يده حق له ، وان الأوضاع القائمة حقوق ترقى الى مستوى القانون ، ومن ثم فقد اعتبر المدوان على هذه الحقوق وعلى تلك الاوضاع ، تمردا على القانون وثورة ضد سلطانه قام بهما الفريق المعادى فى صورة حرب •

وكانت الحرب العالمية الاولى ثورة نشبت بسبب ان دولا حاولت ان تنتزع لنفسها من دول أخرى مزايا انفردت بها ، أو على الأقل تشتركها فى هذه المزايا بالرغم من ان هذه المزايا اكتسبها الفريق المعتدى عليه عن طريق المدوان على الآخرين ، فهى ثورة بصرف النظر عن الباعث عليها لأن هذا الباعث لم يكن اذ ذاك محل بحث ، ولأن هذه الدول وقد امتلأت قوة وثقة واعتدادا بالنفس وبالإمكانات ، فان الواقع المادى فى نظرها كان يدفعها صوب التوسع المادى •

ان الحروب فى عهدنا الحديث قد أصبحت ثورات امم ومبادئ ضد أمم ومبادئ أخرى ، لأنها أصبحت حروبا شاملة لا تقتصر على الجيوش المتحاربة ، بل تمتد الى العالم بأسره ، ومن ثم فإن العالم بدأ يدرك ان الصراع بين الاجناس وبين الأنظمة أمر واقع وانه يحتم تككل الاجناس وتككل الأنظمة والمصالح على أوسع صورة ، لأن الدول التى كانت تملك الاموال وتسيطر على مصادر المواد الاولية وتجهد لتحقيق النمو الاقتصادى والصناعى برغم ما بينها من عوامل التنافس تعمل هى ايضا على التكتل لمواجهة الدول المعادية التى تنافسها وتحاول انتزاع ما بيدها من خيرات ، كما أن الدول التى صدمتها الأحداث وخلفت لها خرابا ووبالا ، وعلى الأقل لم تحقق الحرب آمالها المريضة ، هذه الدول خرجت من الأحداث التى منبت بها بالبرة التى دفعتها الى الثورة على أوضاعها الداخلية من أنظمة حكم وقواعد سياسية واقتصادية واجتماعية •



لقد كان العالم فى نهاية الحرب العالمية الاولى يتجه فى معظم البلاد الى الثورة ، تلك الثورة التى سنوضحها للقارئ ولكن مستصدي لها فى نطاق

الدول ذات الصلة بتاريخ الشرق وفي تكيف تصرفاته الغرب ازاء الشرق ، فضلا عما كان لهذه الدول من صلة مباشرة بما وقع من أحداث في الشرق فيما بعد ، وهذه الدول هي روسيا والمانيا وايطاليا وتركيا . منعرض الى الأحداث التي وقعت في هذه الدول ، وتحدثت عن ثورتها على الاوضاع التي كانت قائمة ، ثم نستعرض وضع الولايات المتحدة الامريكية وموقفها من الحرب وحالة بريطانيا وفرنسا بعد الحرب ، ثم نستعرض بعد ذلك ثورة الشرق العربي ضد الاستعمار .

وقبل أن نختم هذا التمهيد يتعين علينا انصافا للحق ان نشير الى أن الغرب لم يحرم وقتئذ الساسة المفكرين الذين نهوه الى المصير الذي ينتظره ويتنظر الاستعمار على المدى القصير او الطويل ، فقد أجمع هؤلاء المفكرون على ان تطور الامور بالنسبة للاستعمار سيحتم على الغرب ان يتنازل عن سيطرته ، وقالوا ان الطريق الحتمي الذي سيتعين على الغرب الخوض فيه هو : أولا ، الاستجابة الى مطالب الشعوب المغلوبة على أمرها بمنحها المزيد من الحكم المحلي . ثم المزيد من الحكم الذاتي . ثم المزيد من الاستقلال ويقول اللورد سيدنهام Lord Sydenham ان الاستعمار يخضع في هذا الشأن الى تطور مرير وحكم قاس ، ولكن هذا امر حتمي بحكم التاريخ . ولقد دفعت الامبراطورية الرومانية وجودها وكيانها ثمنا لهذه الحقيقة ، وربما نقضى هذه الحقيقة على الغرب ذاته . ويختم لورد سيدنهام اعترافه بهذه الحقيقة المريرة فيقول محدثا الغرب . . اذا سلمنا لاي شعب بأي مطلب لم يكافح في سبيل الحصول عليه ولم يدفع من أجله ثمنا باهظا ، فان هذا الشعب سيستخف بنا ويستهيئ بقدرتنا ويصبح هو والاجيال القادمة من ابناؤه اعداء لا يذكرنا الا بالسوء .

لقد سجل الكتاب والمفكرون أن السلام وأن الحرية في موائق الحلفاء ووعودهم لم يتجاوزا مجرد الكلام والحديث عنهما ، وان اخلال الحلفاء بوعودهم ومواريقهم هذه أفقد العالم ايمانه بالقيم الروحية ، وان الغرب ذاته سيكون أول ضحايا المبدأ الذي أقره العالم ، مبدأ القوة التي أصبحت سند الغرب ووسيلته لتحقيق مطامعه في سائر أنحاء الارض .

لقد حذر الكتاب في الغرب دوله ونبهوهم الى أن في تنكرهم للمبادئ  
تحديا لأولئك الذين وثقوا بهم وإطمأنوا الى عهودهم ومواثيقهم ، وان ذلك  
يجعل منهم - حتما - اعداء لمن خدعوا بمواثيقهم ، ويفقد العالم ايمانه  
بالمبادئ ذاتها •

حذر هؤلاء الكتاب الغرب وقالوا لسانته ان سرعة الغاب هي التي  
ستسود ، وان الشعوب المهزومة والمغلوبة على أمرها والمحرومة لن تقف  
عند حد المطالبة بحريتها ، أو تحقيق رخصتها ، ولن تقف عند حد المطالبة  
بالعدالة واحترام الحقوق ، ولكنها ستستخذ ميل الغرب ذاته وتتهج نهجه ،  
وتسمى لا للحصول على حقوقها فحسب ، بل للسيطرة ولكي يتحقق لها  
السلطان على غيرها ، وعلى هذه الصورة فان العالم سيتقل من مظالم الى  
مظالم جديدة ، ومن آلام وكوارث الى آلام وكوارث جديدة •

نبهوا الغرب الى ان الشعوب التي خابت آمالها ستسبح حتما الى قادة  
وزعماء ينادون بالمثل والاهداف التي تتطلع اليها هذه الشعوب ، سيلقون بأزمة  
قيادتهم الى زعماء يشيعون في العاصفة التي تهب في وجه الغرب قسرية  
الخوف والاضطراب ، الخوف الذي يفقد الغرب جل المزايا التي يسمى الى  
تحقيقها والتي تعتبرها تلك الشعوب حقا مسلوبا منها ، في حين يعتبر الغرب  
ان ذلك من الشعوب ما هو الا ظلم يقع عليه لانتزاع مزايا ينعم بها فعلا •

نبهوا الغرب الى انه غريب عن مشاعر أولئك الذين يتطلعون الى  
العدالة والى الحرية والى استرداد الحقوق لأن حريته لم تسلب ولم يعم  
الفقر شعوبه بسبب ان أمما أخرى سلبتها خيراتها ، بصر هؤلاء المفكرون  
مسألة الغرب بالانحلال الذي دب في المجتمع الغربي وبما سيقلبه في  
المسكرات الأخرى من تعبئة للقوى المادية والمعنوية تعبئة تؤدي ان عاجلا  
أو آجلا الى صراع آخر ، وبأنه الى أن يقع ذلك الصراع سيخيم على  
الشعوب شعور الاضطراب وعدم الاستقرار فيحرمها نعمة السلام وراحة  
النفس ، ولن نطمئن الشعوب الى مثل هذا السلام وانما ستعتمد - حتما -  
الى توفير أسباب القوة التي تحميها من العدوان •

وكتب المفكرون يذكرون الغرب بأن المانيا بحكم وضعها الجغرافى مقضى عليها بالتحرك أبداً وبالسعى الى توفير المجال الحيوى لأنبائها شرقاً أو غرباً ، المجال الحيوى لصناعتها ولتجارتها ونشاط شعبها ، والا قضى عليها بالفناء وانها لن ترضى بما أعده الغرب من خطط لتجميدها فى مكانها ، وأن انفجارها كدبركن العنيف سيكون هو الرد على خطط الغرب ، وانها لن تقبل أن تقف مكوفة اليدين فى حين ينقسم الغرب خيرات وثروات العالم ، وان ثورة الشعب الالمنى الدائمة ضد وضعه الجغرافى وموقف الغرب وإصراره على حبس هذا الشعب داخل حدوده هى الاسباب العميقة لهذا العداء المستحكم الذى اشعل نار الحرب العالمية الأولى وسيكون دائماً السبب فى اشعل نار حروب أخرى تدور رحاها فيما بعد متى تهيأت لها الأسباب ، وان المانيا المهزومة ستظل ابداً ذلك المارد الجبار الذى كبله خصومه فى قيد من حديد ، ويوم ان يحطم المارد قيده سينقض عليهم غير مبال بما سينزل به أو يخصصه من دمار وخراب .



ولم يقف جهد الكتاب والمفكرين على تحذير الغرب من تسليح سياسته ازاء المانيا وازاء من خدعهم وتنكر لهم من حلفائه ذاتهم ، بل حذروه ايضا من المصير الذى ينتظر الاستعمار ، بل ينتظر مستقبل الجنس الأبيض ذاته .

بدوا يتحدثون عن حكم التاريخ فى تطور الجماعات والشعوب والأجناس . بدوا يندرون الغرب بأنه وصل الى مرحلة الشيخوخة فى الوقت الذى بدأت تنهض فيه أجناس أخرى من انهيارها الذى أعقب فى مآلف الايمان شيخوخة سابقة لها ، فدار الزمن وعادت من جديد قبة شايه تتطلع الى حقها فى الوجود والبقاء . والى حقها فى النمو والتطور ، وهى حقوق لن تحصل عليها تلك الأجناس الا على حساب الغرب .

وجهاوا نظر الغرب الى ان الثورات الوطنية ستفسح الطريق امام قوميات غلبت على أمرها فى الماضى ، قوميات تضطلع ببحثها وبال دفاع عنها سواعد قبة قوية مستمينة مؤمنة ، شديدة التمسك والان دفاع سيكون لها

خطرها الداهم على مستقبل الغرب الذى يتعين عليه ان يهيئ نفسه ليوواجه مواقف من الذل والهوان ، لم تألفها أجياله الحالية التى رأت سيطرة الغرب على آسيا وافريقية ، وان كان على الغرب الا ينسى أنه سبق أن قامت امبراطوريات فى آسيا وافريقية وسيطرت على أوروبا وعلى أنقاض الامبراطورية الرومانية وبيزنطة . وعليه ألا ينسى أن نجمة لم يتألق الا بعد أن تألق نجم الغرب وعمت حضارتها أوروبا وكانت مصدر نهضتهم ، وذكر المفكرون الغرب بدنو ذلك اليوم الذى يهزم فيه الغرب امام الشعوب الملونة ، وأن الصراع بين الشعوب البيض سيحول الى صراع بين الجنس الأبيض والشعوب الملونة التى أخضعها الغرب لحكمه وسلطانه ، وان الشعوب الملونة فى طريقها الى تحقيق حريتها واستقلالها ، وان نظرية بقاء الاصلح سينعكس تطبيقها ويحول لمصلحة تلك الشعوب ، وعندئذ تنهار بدورها نظرية سيادة الجنس الأبيض وصلاحيته دون سواء لقيادة العالم .

ولقد كتب فى ذلك سلفان ليفى Sylvain Levy العالم الفرنسى يقول ان ما يشاهده الانسان من الشرق هو تحلل اوربا وانهيارها ، أما الكاتب الفرنسى اندريه جيد André Gide فقد كتب يقول : يخيل الى اننا نشاهد نهاية العالم ، نهاية حضارة ، نهاية ثقافة ، علينا أن نصيد تدبر الموقف بأكمله .

ولقد كان - حقا - على الغرب ان يصيد تدبر الموقف لانه كان يواجه ثورة العالم كله ضده .



## الفصل الرابع الثورات

« الثورات ذات طابع شامل - طبيعتها وفوتها وتطورها - ثورة الكنيسة - الثورة »  
« ضد الملوك - الأمة مصدر السلطات - أثر الثورين الإنجليزية والفرنسية في تطور »  
« نظام الحكم - الحق في الحرية والمساواة - الغرب وثورات الشعوب - الشعوب »  
« وانتزاع حقوقها - مراحل الثورات - نجاح الثورات وفشلها - التغيير هو رمز الثورة »  
« - الأساليب الثورية » .

\*\*\*

ان السورات من أحداث التاريخ الكبرى ، ولقد أصبحت في عصرنا هذا تحمل طابع الشمول بما لا يطرأ على طبيعة الشعوب والجماعات من وعى وتطور ، وما تلزمه الهيئات الحاكمة من مبادئ وقوانين .

والثورة حركة تنبعث بين مؤمنين بمبدأ وبمقيدة ، وفوتها تستند الى قوة المقيدة والمبدأ الذي تنادى به . والثورات تحدث تطورات سريعة لامة حتى ولو كان طابعها وقتياً ، فان آثارها تصل الى اعماق الجنور التي تعيش عليها البشرية منذ أقدم العصور ، فالثورة هي التي تمد الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالحوية . ولقد عرف العالم أول ماعرف الخضوع لرب الاسرة ، وعندما تعددت الأسر وتكونت الجماعات وواجهت صورة من الحياة المشتركة ، استقر الأمر الى الاقوى والأشجع والأحكم من بين ارباب لأسر ؟ فكان هذا الاتجاه أول صورة من صور الزعامة . ولقد تعرض ماكياويل لتفسير التطورات السياسية التي حلت بالمجتمع فقل : ان هذا النوع من الزعامة الذي يستند الى التأيد الشعبي ظل قائماً طالما حافظ المسؤولون عنه على تقاليد وسيرة السلف الصالح ، بحيث كان اذا تخلف هؤلاء عن هذه التقاليد وهذه السيرة ، انبرى اليهم رجل جديد ليصادر السلطة التي انحرفت .

ولقد انتقل العالم من هذه الصورة البدائية للحكم الى صورة أكثر وضوحا وأوسع نطاقا عندما اتسعت قاعدة القبيلة ونشأت الامارات والممالك فى التاريخ القديم . ويقول « ماكيفيل » ان الامارات والممالك التى قامت كانت تستند الى نظام حكم يمارس فيه الأمير أو الملك سلطته ويعاونه فى ذلك عبيد وان كانوا يرتدون ثياب الوزراء والحكام ، وكان الحكم فى هذه الحالة للأمير والملك منفردين . اما الصورة الأخرى فقد كان الحكم فيها للأمير أو ملك تناظره الطبقة الأرستقراطية التى استمدت وجودها من ذات المنبت الذى استمد منه الأمير أو الملك وجوده - فينازعونه السلطان - وفى كلتا الحالتين يقول « ماكيفيل » انه كان متعذرا على الملك أو الأمير أن يحتفظ بالحكم طويلا .. بل كان لامناص له من مواجهة الثورة .

وقد تطورت النظم السياسية فى الممالك والامارات ولم تعد كلمة الملك أو الأمير هى القانون الذى يعلو على حقوق الشعب وعلى حق الوطن ، ولم يعد الأمير أو الملك هو الدولة ، فطاعته فرض مقدس على الرعية . غير ان التطور الذى تم لم يكن لمصلحة الشعب بل كان لمصلحة الطبقة التى كانت تنازع الملك أو الأمير السلطان - الطبقة الإقطاعية - ويصفها « ماكيفيل » فىقول : انها تلك الطبقة التى كانت تعيش فى الكسل والخمول ، ويكفل لها ما تحصل عليه من دخل ، ولكى يأمن الأمراء أو الملوك جانبها رفعوها عن مستوى عامة الناس ومنحوها الاراضى والقصور والاموال والرعايا ، رفعها الملوك ليستعينوا بقوة سواعد أفرادها وربطوا مصيرهم بمصيرهم مستغلين جشعهم الدائم ونهمهم للمزيد من الثروة وللمزيد من السلطان وقد انتهى الأمر بهذه الطبقة الى حالة من الخمول والكسل فعاثت عيشة فاجرة دون ان تتكلف مشقة السعى وراء الرزق .

كان من الطبيعى أن تنور تلك الطبقة على الأمراء والملوك كلما تبينت تراخيهم فى الاستجابة لمطالبهم ، فكانت ثورات على حقوق الملك ، ثورات ضد الطاعة والولاء للملوك ، ثورات على حساب الشعوب .

وعندما اعتنق الامبراطور الرومانى قسطنطين الدين المسيحى واستقر

الأمر رأى ان يسيطر على الديانة المسيحية ، فأدمج الكنيسة فى الدولة ووضع لها الانظمة الادارية التى حولت رجالها الى موظفين رسميين ، بل انه ذهب الى أبعد من هذا فجعل لنفسه رئاسة وتوجيه المؤتمرات الكنسية والى هذا الاجراء الذى عمد اليه الامبراطور قسطنطين ترجع اقامة اول كيان للكنيسة ، ثم أخذ فى التوسع فيه على مر الزمن ؛ وقد ازداد هذا الكيان قوة وفاعلية عند انهيار الامبراطورية الرومانية ، اذ رأت الكنيسة ان تتدع نظرية وراثه الباباوات للسلطين الدينية والمدنية عن عيسى عليه السلام .

وكان هذا التخريج الذى ألبسته الكنيسة الطابع الدينى المجرد ، من حيث واقع الامر ، مجرد تقليد للخلافة الاسلامية التى سبقت فى الوجود التاريخى حكم الكنيسة المدنى ومحويتها للسيطرة سياسيا على المسيحيين . كفة ، وحرصت الكنيسة على اقتباس نظام الخلافة برغم افتقارها الى ذات المصادر الدينية التى اعتمد عليها الخلفاء فى ممارسة سلطانهم . فمن هذه الزاوية كانت ثورة الكنيسة على الأمراء والملوك مرحلة من مراحل تطوير المجتمع الأوربى ، ولكن محاولة تحكم الكنيسة فى المسيحيين كافة بالرغم من عدم تجانس جميع الشعوب الاوربية قد يامت بالفشل مما دعا الى تمرد المسيحيين انفسهم على سلطة البابا ، فكانت الثورة الدينية وما تلاها من حروب ظلت تمزق أوروبا حوالى قرن من الزمن ، ولما فقدت الكنيسة سلطانها الدينوى واقتصرت سلطان البابا المدنى على نطاق محدود من الاراضى فى ايطاليا ذاتها ، تحفز الملوك للعمل على تثبيت سلطانهم ضد النبلاء وضد الكنيسة ، فهبت ثورة الملوك ضد النبلاء والاشراف وضد الكنيسة ، وبلغت هذه الثورة القمة فى القرن السادس عشر ، وكان من شأن نجاح الملوك فى ثورتهم ان يقرروا المبادئ التى رأوا انه لاهياة للملكية بدونها فجعلوا الملكية حقا يتوارثونه باعتبار انه حق شخصى ، ذلك الحق الذى شبهه « ارنست رينان » بحق الانسان فى التملك المادى ، وعندما رتب الملوك حقهم على هذه الصورة استقر فى اذهانهم انهم مصدر كل السلطان وأصبح أسامن.

الملك هو حق التاج فى السيطرة على الناس وعلى شئونهم من أموال  
وأرواح •

\*\*\*

وفد كان من شأن هذه الأوضاع ان اندفعت الشعوب بتأثير من انتشار  
الوعى فيها الى الاتجاه المناقض لحق الملوك ، فأدركت انها وحدها ، وليس  
التاج مصدر السلطات ، وقد ساعد على تثبيت هذا الوعى سلك الملوك ذاتهم  
الذين جعلوا الدولة فى اشخاصهم ، فهم يتصرفون فيها دون رقيب أو  
معقب • ولقد عن للشعب الانجليزى ان يثور عندما توافرت فيه عناصر  
الثورة ، فثار وتزعم ثورته كرمويل ، وأدت هذه الثورة الى تطور نظام  
الحكم ، فلم يعد بوجهه القديم ، بل عاد يستند الى أسس جديدة هى  
الاعتراف البطيء المتدرج بأن السلطان للدولة وليس للملك ، وبأن الأمة  
هى مصدر السلطات ، وتبعاً لذلك اصبح مبدأ فصل السلطات حقيقة واقعة  
حقيقة تحركت ببطء ، ولكن بخطا ثابتة حتى استقر الامر عليها •

\*\*\*

ولما هبت الثورة الفرنسية تنادى بمبادئ الحرية والاخاء والمساواة  
، ونقضت على الملكية واجهت فرنسا أبشع صور العنف والصراع الداخلى ،  
ولكنها نجحت بالرغم من ذلك فى تحقيق وحدتها الوطنية قبل ان تحقق  
المبادئ التى قامت عليها ثورتها ونادت بها ، ذلك انه كان متعينا على فرنسا  
وقتش ان تواجه أوروبا المتحدة ضد المبادئ التى كانت تنادى بها الثورة  
الفرنسية ، ولقد أتاح تكتل أوروبا ضدهم هذه الثورة لنابليون فرصة القبض على  
زمام السلطان ، فخضعت فرنسا لحكمه فى حين تولى نقل مبادئ الثورة  
الفرنسية جنود نابليون فحملوها معهم الى سائر البلاد الاوروبية ، وإذا عوها  
حشما تلقوا ، فإذا بها تتحول الى رمز لحقوق الانسان ينادى بها فى كل  
مكان •

\*\*\*

وقد اجمعت كل هذه الثورات على ان اول حقوق الشعوب هو حقها  
فى الاستقلال ، وفى الكرامة ، وفى المزة الوطنية ، وان الثورات فى أوروبا ،

ففي تطبيقها للمبادئ التي نادت بها ، قد مهدت الى تطوير المجتمع الاوربي ،  
لأنها عندما نادت بالحرية كان واضحا للشعوب أنه لاحرية دون مساواة ؛  
لأنه بغير هذه المساواة يكون المجتمع قائما على اساس التبعية ، تبعية بعضه  
للبعض الآخر ، اذ ان معنى هذه التبعية في المجتمع الواحد انه لاحرية  
لافراد .

ولما كان تحقيق المساواة عملا من أعمال الدولة لايمكن ان يقوم به  
غيرها ؛ فان الشعوب اتجهت اليها في ذلك وحملتها الصب لتحقيق المساواة  
وكفالة الحريات وطالتها بالتدخل لحماية الحريات عن طريق المساواة بين  
الأفراد ، بحيث لا تكون مواقف الحكومات مواقف سلبية أمام حرية يظن  
فيها القوى على الضعيف ، لأن الحرية المتروكة لانهى الضعيف من طغيان  
القوى ، وانما الذى يحميه هو القانون .

ولم يكن ممكنا أن تتدخل الدولة على هذا النحو ، ويتم هذا  
التطور الا بالكفاح لأن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها حياة  
ولها بداية ولها مراحل نمو وتطور ولها نهاية ، وهى تخضع فى ذلك لجميع  
القوانين التى تحكم الحياة ، ذلحبة تمر بمراحل نمو وتطور حتمية لأنها  
مراحل ضرورية وأساسية ولاغنى للشعوب عنها . ولهذه المراحل سير  
يتأثر ويتكيف سرعة وبطئا بمختلف العناصر التى يتكون منها الوعى ،  
ومدى ادراك الشعب لحقوقه ازاء النظم القائمة والأوضاع المقررة ، واذا  
لم يساير النظم القائمة تطور الوعى والسرعة التى ينمو بها ، حدث حتما  
رد الفعل الذى هو النتيجة الحتمية مهما طال المدى لتجاهل الحقائق  
المتعلقة بتطور الشعوب ونمو الوعى الوطنى والسياسى والاجتماعى  
والاقتصادى فيها .

ان تجاهل هذه الحقائق ، أو ادعاء القدرة على التغلب عليها أو اضعاف  
اتجاه السير فيها فى الشعوب والأمم هو - وحده - الذى يحدد الخط  
الذى تسير فيه الأحداث .

\*\*\*

لقد تبين لنا فى مختلف مراحل التاريخ ولا سيما فى نهاية الحرب

العالمية الأولى ، أن بريطانيا وفرنسا زعمتا القدرة على التغلب على ثورات الشعوب والأمم ، كما تصور أعضاء الأسر الحاكمة في بعض الدول التي غلبت على أمرها في تلك الحرب أنهم قادرون على معالجة الأوضاع الداخلية بأنصاف الحلول ، ولكن الواقع كان فاطم الدلالة على بطلان هذا الزعم ، فأنصاف الحلول قد أكسبت أصحابها فسحة من الزمن فوهموا أنهم حققوا كسبا في حين أن هذا قد زادهم قلقا على قلق ، ودفع عملية التطور في سرعة أقوى من السرعة التي كانت تسير بها ، سرعة محمومة غير مستقرة ، تمهد لما وادها من عنف الهزات لأن التاريخ لم يسجل لشعب من الشعوب أنه حقق لنفسه الكرامة الوطنية واحتفظ باستقلاله وصانه ، وكسب حقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لم يسجل التاريخ أن شعبا حقق ذلك كله بالوعود ، استنادا إلى قواعد الأخلاق وحدها والسلوك الانساني ، بل ان التاريخ قد أثبت أن هذه الحقوق لا بد أن تنتزع انتزاعا من الأسر الحاكمة التي تتجاهلها ، ومن المستعمر الذي يقتصبها ، فكلاهما حليف ، وكلاهما عدو للشعوب ، وهما يمثلان الأنظمة التي تعمل على الاعتداء على الشعوب وسلبها حقوقها ، وكلاهما يجتذب حوله مصالح ترتبط بوجوده . ومن الطبيعي أن هذا النوع من الأسر الملكية الحاكمة كان يعتبر الشعوب ملكا للأسرة الحاكمة . ومن ثم فلا يمكن القول بأن قيام نظام الحكم الملكي يتفق ومصالح الشعب ، ويبرر عن ارادة الأمة ، أو أنه والشعب يربطهما مصير واحد . وان التاريخ لحافل بما يقطع تماما بأن مثل هذه النظم كانت العدو الطبيعي للشعوب ولحقوق الشعوب لأنها تقوم على أساس هذه الحقوق وفي ظلها ينحرف الحكم ويواجه الشعب حكاما يمارسون السلطة لمصلحتهم ومصلحة أسرهم على حساب حقوقه ، وعلى حساب مصلحته .



ان الشعوب في مجموعها تتميز باتجاهها الى تحقيق مصير أفضل . يحدوها أمل في ان يقودها في سبيلها هذا ذوو الكفاية عقلا وخلقاً من انبائها ليطوروها وفقا لتقاليدها وعاداتها وعقائدها ويسخروا موارد الدولة لخدمة

الشعب متجردين عن الغرض والهوى فى حين ان الانظمة التى كانت قائمة فى نهاية الحرب العالمية الاولى كالنظام القيصرى فى روسيا ونظام الحكم الشمانى فى تركيا والحكام الذين نصبهم الاستعمار فى شتى البلاد كانت كلها أنظمة فاسدة ، فالحاكمون فى ظلها كانوا يحكمهم وضعهم ويحكم اتجاهاتهم ومصالحهم بعيدين عن الشعب لا يرتبط بصيرهم بالشعب بقدر ما يرتبط بالاستعمار ، وكان طبيعيا ان يتحرك وعى الشعوب حيال مبادئ تلك الأنظمة وهذه الأوضاع التى قامت اساسا على تجاهل حقوق الشعوب واغصابها ، وكان من شأن ايمان حكام هذه النظم فى المدوان على الشعوب التى يحكمونها ان انكشف الستار تدريجيا عن مساوئهم ، وكان ذلك من أقوى الدوافع التى تحمل الشعوب على الكفاح من اجل التخلص من هذه النظم فى حكمها ، وهذا واجب على الشعوب لانه يتعين عليها ان تحرص على مستقبلها وازدهارها ؛ وان تجتهد لكى تتجنب كل ما يؤدى الى هلاكها . وعلى أية حال فان الملوك لم يكونوا - يوما ما - رمزا للتعبير الفعلى عن حاجات الشعوب ولا رمزا على أمانيتها ، وحتى تلك النظم التى قامت فيها الملكية نتيجة المبايعة ، تبين انها انتهت بتخطى هؤلاء الملوك عن الرسالة التى ألقيت عليهم ، فاعتصبوا السلطان وتجاهلوا أركان المبايعة التى كانت فى حقيقتها عقدا ربطهم بالشعب ، فلما أخلوا به استحقوا الاقالة ، لانه لا يجوز لواحد أن يتمسك بحقوق له مترتبة على الالتزامات عليه ويتجاهلها أو يتنكر لها أو يعتدى عليها اعتمادا على سلطان القوة الذى وضعه الشعب فى يده ، فحتى مثل هذه الملكية التى قامت على المبايعة قد انحرفت عن رسالتها وأصبحت فى تعداد أعداء الشعوب فى نهاية الحرب العالمية الأولى .



فلما ان لكل ثورة بداية ونهاية ، نهاية لبداية وجدت فى اللحظة التى يبدأ فيها الانحراف والاعتداء على حقوق الشعوب ، وان هناك رابطة منطقية وحمية بين البداية والنهاية ، أما ما يتخلل الفترة التى تنقضى بين البداية والنهاية ، فانه هو ما يحشوه الزمن من التطورات والأحداث التى تغذى التاريخ .

وقلنا ان كل انتقال وكل تطور من وضع الى آخر لا يتم دون التغلب على مقاومة ، وكل دفع الى الأمام ينتج عنه احتكاك ، كما وأن التقدم لا يتم الا بالقضاء على العقبات التي تعترض طريقه ، فما كانت الثورات الا انتفاضة قوية ضد اوضاع يجب ان نزال ، وهى انتفاضة يحدها دائما الأمل فى حياة أفضل ومستقبل أفضل ، والثورة الناجحة هى التى لاتقف عند حد التخلص من الوضع الذى كان قائما قبل ان تقوم ، أى التى لاتقف فى منتصف الطريق ، والا حفرت قبرها بيدها ، ولا بد لكل ثورة من فلسفة ذات عقيدة ونظريات ومبادئ تكون اساسا للعمل ، على ان هذه المبادئ والنظريات لاتشر مالم تجدد من يعمل على تثبيتها وتحويلها الى حقيقة واقعة راسخة فى القلوب ، متأصلة فى اعماق أفراد الشعب ، بحيث نتحول الى عقيدة تسترخص فى سبيل الدفاع عنها النفس والمال والولد .

والثورة تبدأ بعمل ضيف تقوده فئة تكون بمثابة الرأس المفسكر والمدير للأمة ، وتتوقف قوة الثورة على قوة الدفع التى تستمدتها الأمة من قيادتها الثورية ، وبدون هذه القيادة تصبح الأمة جسدا بلا رأس ، وتسير بشكل الحكم واسم الحاكم لايستبر ثورة ، فالثورة هى ذلك التغيير الذى يكون وراءه فلسفة وعقيدة ، كما انها وليدة نقص يحس به المجتمع ويندفع بقوته الى التفكير فى صورة لحياته ونظمه أفضل من تلك التى يعيشها ، ويقدرها تسع دائرة هذا الانجاء الفكرى فى الشعب ، ويقدر شمولها لعامة الأمة وخاصتها يمكن تحديد ما يمكن أن تبلغه الثورة من مراتب السمو فى رسالتها .

ان الثورات هى الحركات العنيفة فى حلقة التطور للأمم والشعوب وتتوقف درجة العنف فى هذه الحركة على السرعة التى يسير بها التطور فكلمما قلت هذه السرعة زادت قوة الثورة ، لأن الفارق بين ماهو قديم من أوضاع وبين ما يرمى من الأوضاع كلما اتسع مداه أصبح العنف والقوة والشدة عناصر هامة من عناصر الثورة ، كما وان عنصر القيادة المؤمنة الواعية عامل اساسى فى حياة الثورات التى تبدأ بها الشعوب ، لأنه بدون هذه القيادة لادوام للثورات ، بالرغم من انه لايتصور قيام ثورة بدون شعب .



فى حين ان فى استطاعة القيادة المؤمنة الواعية ان تحرك الشعب وتقود  
الى الثورة ، وذلك يوضح مهمة القيادة فى الثورات بالرغم من أن مسند  
الثورات هى الأمة ، فانه لا ثورة بدون قيادة • وقد تبين فى العصر الحديث  
ان نجاح الثورات يعوزه دائما تأييد الجيش أو على الأقل تأييد عناصر هامة  
منه ، ويمكن القول بأنه لا أمل لنجاح ثورة ما لم يكن الجيش سندا لنجاح  
الشعب فيها •



ونجاح الثورات مرهون بسلوك الحكومات التى تنحرف عن ادراك  
واجباتها نحو الأمة ، لان هذه الحكومات تتجاهل دائما -الحقائق المحيطة  
بموقفها ، وهى بهذا لاترى دنو النار منها ، ولولا انحرافها هذا الذى يحجب  
عن عينيها الحقائق لرأت النار تقترب منها ، ولفطنت الى ما يوشك ان يقع  
ولتجنبنت التعرض لفضبة الشعب وثورته ، وعالجت موقفها فى الوقت  
المناسب • ولا يختلف وضع الاستعمار بالنسبة للشعوب المغلوبة على امرها  
عن وضع تلك الحكومات ، بل ان وضع الاستعمار فى هذا الشأن أشد  
وضوحا وموقفه أشد خطورة ، لأن دوافع الثورة ضد المستعمر أشد وأقوى  
منها ضد الحكم الداخلى الفاسد • والثورات ضد الاستعمار أدنى الى النجاح  
لأنها تلقى من الشعب تأييدا واستماتة ، فى حين لا يجد المستعمر من يساندته  
غير قوة سلاحه ، وذلك ضرب من القوة لا بد ان يسقط يوما ما ، ويخر على  
الأرض الغريبة عنه التى يمش عليها وسط شعب معاد له وبين اخطار تهدده  
ساعة بساعة ، فاذا وجد المستعمر مساندة من العناصر الرجعية ومن الحكام  
المستبدين الخونة ؟ كان ما وجده من ذلك بمثابة السراب الخادع الذى  
لا ينتهى الى غاية ، وكان هذا المون الرخيص كجسم بلا روح ، وما أسرع  
ما يتخلى أعوان الاستعمار عن المساعدة ، بل ما أسرع ما ينقلبون عليه •  
متى لاحت فى الأفق بوادر نجاح ثورة الشعب ضده ، ومتى تساورت  
أسباب النجاح للتأثرين فى ثورتهم • على ان تهيئة الشعب للثورة ثم قيامه  
بها لا يكتفى لنجاحها مالم تكن الثورة قائمة على أساس مدروس ، وما لم  
تقترب بأعمال قد تبدو فى ذاتها قليلة الأهمية من ناحيتها المادية ، إلا أنها:

ببطئها تخلق الجو المناسب للدفع الثورى المباشر الذى يحرك الثورة ويمدها بأسباب الحياة والقوة • ومع توافر هذه العناصر الضرورية لنجاح الثورة ، فلا بد لها من عنصر الحماية من القوضى ، ومن الانحراف بمسد قيامها ، فهما الثورتان اللتان يحاول - دائما - اعداء الثورة التسلل اليهما منهنما ليقتضيا عليها وعلى المبادئ التى نادت بها • فالرجعية والاستعمار يترصان - دائما - بكل ثورة ولا يكفان عن البحث عن أى من هاتين الثغرتين •

والثورات تحتاج - دائما - الى قيادة قوية حاسمة مبصرة • وتحتاج الى زعامة قوية • وقدرة ما تحتضن الثورات عبقرية العبقرى ، بقدر ما تكفل لوجودها السلامة والبقاء وتكفل لمبدئها النجاح •

وعندما تهب الثورات تبدأ الانظار تترقب ما تحدثه من الانقلابات الالادية التى تعتبرها الشعوب رمزا للثورة والتى تتناول أول ما تتناول شكل الحكم ، أما الانقلابات الأساسية التى تتناول النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، فإن تحقيقها يحتاج الى بعض الوقت والمشقة ، ويحتاج الى ضم الصفوف وتكثف الجهود حول قيادة الثورة ، وهذا التكلل وذلك الضم لا يمكن أن يتحققا الا اذا آمن الشعب تماما بالمبادئ التى تنادى بها الثورة ، وأصبحت لها فى نفسه مكان العقيدة القوية والايمان الراسخ ، وما من شك فى انه بقدر ما يكون قد حاق بالشعب من قسوة المظالم ، وغنت الحكم الفاسد ، والاضطهاد والتصف والاضطهاد والاضطهاد ، يكون استعداد الشعب للايمان بمبادئ الثورة ، وتكون تهيئته لتحمل أعبائها والحفاظ على مبادئها تهيئة صالحة •

ان قسوة المظالم والفساد التى تسبق الثورات تمكن قادة الثورة من قيادتها وتوجيهها متى هبت فى سهولة ويسر ، فسيطاط الظلم كلما كانت قاسية ، كانت أدنى لأن تبيد وتمزق ، ليحل مكانها زمام رفيق فى يد زعيم يقود الشعب فى ثورة ضد الظلم وضد الاستعمار •

\*\*\*

أما الثورات التى سجل التاريخ انحرافها ، فانما سجل أيضا فى

الوقت نفسه أن هذا الانحراف لم يكن إلا لأن قيادتها لم تكن فى مستوى رسالتها ، فلم تدرك أهمية المبادئ فى نجاح الثورات ، ولم تدرك خطر الانحراف عن الأهداف وأثره السىء فى الشعور التائر الذى لا يدوم بطبيعته إلا بدوام أسبابه التى خلقتة وأثارتة ؛ وعلى أية حال فإن ففضل مثل هذه الثورات لا يعنى - إطلاقاً - انها ماتت من حيث كونها ثورة ، بل يعنى انها احتفت لوقت ما ؛ فروح الثورة لا تموت ؛ ولكنها تبقى ما بقيت أسبابها ودوافعها ؛ تلك الأسباب والدوافع التى تكون دائما بمثابة الوقود المدد للاشتعال ستمت فى الوقت المناسب ، ومن المؤكد أن الثورات الفاشلة ضد الاستعباد انما تأخذ من فشلها الغذاء الصالح لتجالحها حينما تعاود الانقضاض على المستبدين وقد زودت نفسها بيزاد من التجربة التى أسفرت عنها فشلها ، وألئت بالأسباب والوسائل التى مرت بها حتى تصل الثورة الى غايتها .



بقى أسلوب من أساليب الثورات لم تتناوله بعد ؛ ذلك هو الأسلوب السلبى لا الأسلوب الإيجابى ، أسلوب القوة الذى أخذت به الثورات اسمه عامة فالثورة السلبية نوع من الثورات نادى به فلاسفة الهند من قديم الزمن وتحدث عنه الفيلسوف الفرنسى « لابوايس » LaBoëce منذ ثلاثة قرون ، ثم نقله عنه الكاتب الفيلسوف الروسى « ليون تولستوى » وهو اضرب الشعب جميعه عن التعاون مع الغازى المعتدى والملك الفاسد الذى يسخر قوى الأمة لاشباع شهواته وملذاته ، بحيث يشمل الاضراب جميع مرافق الحياة فى الدولة ، وعندئذ لا يجد المستعمر أو الملك من سبيل أمامه سوى الرحيل ؛ اذ أن نظام الحكم القائم لابد فى مثل تلك الحال ان ينهار ؛ ولا بد للفوضى بكل مظاهرها من ان تشيع وتضرب أطنابها فى البلاد .

ولقد جرب الزعيم الهندى مهاتما غاندى هذا الأسلوب السلبى فى ثورة الهند كما طبقته مصر تطبيقاً جزئياً ؛ حينما أضرب الموظفون عن العمل فى سنة ١٩١٩ - وجماع القول فى مثل هذا اللون السلبى من الثورات ؛

ان نجاحه يحتاج الى وعى كبير فى الشعب بحيث يشمل الاضرار عناصر  
الأمة ويمم مرافقها جميعا ، وعلى أن يكون الوعي فى الشعب قد بلغ الحد  
الذى يمكنه من تدبير شؤونه ورعاية المضرين خلال فترة الاضرار مهما  
طالت ، حتى يمكن للمضرين ولسائر الأمة الصمود والاستمرار ، وحتى  
لا يتسرب اليأس الى النفوس فتضعف وتتخاذل وتنتهى الثورة بالاختفاق ؛  
وللاختفاق فى الثورات السلبية أثر فى نفسية الشعب يختلف عنه فى الثورات  
الاجابية .



فيما تقدم تحدثنا بايجاز عن مختلف المبادئ التى حكمت وكيف  
وخللت الثورات باعتبارها ظاهرة وطنية وسياسية واجتماعية فى حياة  
الأمة والشعوب ؛ وبقي أن نعرض لما وقع من أحداث فى أوروبا خلال  
الفترة التى أعقبت الحرب العالمية مباشرة ، وهى الفترة التى نعيشها فى هذا  
البحث ، وسنبداها بكلمة موجزة عن الثورة الرومية .

## الفصل الخامس

### الثورة الروسية

« أسباب الثورة الروسية والمهدون لها - ثورة سنة ١٩٠٥ - دور الحركات »  
« العمالية في الإعداد للثورة الدولية الأولى - الدولية الثانية ومؤتمر بازل عام ١٩١٢ - »  
« دور لينين - دخول روسيا الحرب وهزيمتها - حكومة كيرلسكي - المانيا تعيد لينين »  
« الى روسيا وتحول دون نجمة الحلفاء للقيصر - المانيا تهزم بذلك أسباب البقاء »  
« للثورة الروسية - حكومة الثورة في روسيا تلغي اسرار الحلفاء - مبادئ الثورة تهدد »  
« كيان الدول القريبة - الثورة الروسية تعمل على تدمير وجودها » .



ان أحداث الحرب العالمية الأولى قد قدحت شرارة الثورة الروسية ،  
ولكن أسبابها ترجع الى العوامل الأثرية التي فصلناها في الفصل السابق  
والتي تكونت على مر السنين والأجيال .

ولقد مهد لهذه الثورة في روسيا رجال الفكر والقلم أمثال  
«ليون تولستوى» و «جوركى» و «تشيكوف» و «لينين» - فقد ساء هؤلاء  
ماكانت تعانيه بلادهم قبل الحرب من فساد شامل تناول كل مظاهر الحياة فيها ،  
فالشعب كان مؤلفا من طبقتين : الطبقة الحاكمة والطبقة المظلومة ولاوسط  
بين الطبقتين ؟ وكانت الطبقة الحاكمة تعيش في الأرض فسادا ، تبتز أموال  
الشعب وتحتقره وتستعثر بالقيم وتدوس عامة الشعب بأقدامها ؛ وتسوم  
الفلاح والعامل الخسف وسوء العذاب ، فالشعب كله كان بمثابة العبيد  
للحكام والاقطاعيين ، وكانت الهوة واسعة بين الحاكم والمحكوم وبين  
الاجراء والاقطاعيين ، سواء أكان الأجير في الحقل أم في المصنع ، وقد  
ظلت العدالة الاجتماعية تتردى في روسيا مع مرور الزمن على هذه  
الصورة حتى اتهمت العدالة فيها وتحولت روسيا الى شعب من العبيد لقلّة  
من السادة . وقد انتفض الشعب ضد الاستبداد في ثورات تناثرت مع الزمن

اليابانية التي انتهت بهزيمة روسيا ، وكان طبعيا أن تزيد هذه الهزيمة من ولكنها فشلت كلها ولم يكتب لها النجاح . ثم نشبت الحرب الروسية الاضطراب والقلق الذي يعانيه الشعب وأن تضاعف متاعبه وآلامه ومن سدة غليان الثورة في نفسه ، فأضرب العمال عن العمل في عام ١٩٠٥ واتجهت جموعهم الى ساحة القصر الامبراطوري وتنادوا مطالبين بالحرية السياسية ، وبالأجور العادلة ، وبتمليك الأرض للفلاح الذي يزرعها وبإقامة نظام نيابي يمثل البلاد تمثيلا صحيحا ، ورفعوا للامبراطور التماسا بهذه المطالب فما كان من الامبراطور الا أن أمر رجاله فحصدوهم بمدافعهم ، فثار الشعب وانضم الفلاحون الى العمال وعم العصيان وأكثرت الاحداث قيصر روسيا على الخضوع منذ ذلك التاريخ المرة بعد المرة وأجبرته على الاعتراف للشعب الروسي ببعض الحقوق ، الا أن هذا الاعتراف كان يجيء دائما متأخرا بحيث لا يجد له صدى في النفوس ولا يشبع رغبات الشعب وأمانيه . فراح النفور يزداد في نفس الشعب الروسي من حكامه ، وأخذ مناهضوا الحكم القيصري في بث الدعوة ضد نظام الحكم على أوسع نطاق . ويقول لينين ان كل شهر في الفترة التي انقضت بين عام ١٩٠٥ وثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ كان يعادل سنة من التطور العادي من حياة الشعوب .



ولم تقتصر آثار ثورة روسيا عام ١٩٠٥ على النطاق المحلي وقتئذ ؛ بل تعدته الى الطبقات الكادحة والشعوب المغلوبة على أمرها في سائر أنحاء العالم ؛ لا في روسيا وحدها ؛ مما جعل سياسة الدول يعتبرونها نذير شر للحكم القيصري ويدركون أنه من المتوقع أن يمتد أثرها الى سائر البلاد الرأسمالية والى جميع البلاد التي كان حكامها يتجاهلون وجود الشعب ، وبالرغم من المحاولات التي كان يبذلها القيصر فقد فشلت حكومته من التقرب حتى من الطبقات المتوسطة وعجزت عن تهدئة الشعب واستمالة الرأي العام وتبديد مخاوفه ، وبدأ الشعب يدرك بوضوح أن الدولة الروسية بأسرها مسوقة الى الدمار تحت وطأة الظلم والظلم والفساد .

وبينما كانت مساعي حكام روسيا فى تهدئة غلبان الشعب تبوء بالفشل؛ كان زعماء الحركات العمالية ماضين - بنجاح - فى تكتيل جهود الطبقات العاملة والزراع ضد نظام الحكم القائم ، لا يكفون عن العمل فى هذا السيل داخل روسيا ، وقد نشأت صلة بين حركتهم هذه وبين الحركات الاشتراكية المماثلة التى نشطت اذ ذاك فى أغلب الدول الاوربية ولاسيما فرنسا وبريطانيا وألمانيا ؛ تلك الحركة التى وجدت لها مؤيدين فى أوساط العمال وفى الأوساط المثقفة . وبدأ دعتها يشعرون بقوتها وتمكنوا من عقد الاجتماعات الدولية بين حين وآخر ، وكان أول اجتماع من هذا النوع هو الاجتماع الدولى الذى عمل على عقده كل من كارل ماركس وانجلز ، وقد عرف

باسم **مؤتمر الدولية الاولى (First International)** فكان الفاتحة لسلسلة من المؤتمرات التى أعقبته باسم الدولية الثانية فى كل من مدن « ستوتجارت » عام ١٩٠٧ ، « وكوبنهاجن » عام ١٩١٠ ، « وبازل » سنة ١٩١٢ ، وقد كان هذا الاجتماع الأخير من أخطر الاجتماعات لأن القرارات التى اتخذت فيه كانت على أكبر جانب من الخطورة والأهمية اذ أنها حددت واجب الطبقات العاملة حىال الحرب ، وبمقتضاها أصبحت الطبقات العاملة ملزمة بالسعى لتجنب نشوب الحرب ، وملزمة باستغلالها اذا فشلت المساعي وقامت الحرب ، واستغلال الأزمات التى تترتب على نشوبها للتسجيل باسقاط نظم الحكم الرأسمالى أى وفقا لتعبير لينين « تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب أهلية تشنها الطبقات العاملة فى كل بلد ضد نظام الحكم القائم فيها »

ويقول لينين « ان الحروب فقدت طابعها الوطنى ولم تعد تهدف الى حماية استقلال الدول بل أصبح هدفها استقلال وتسخير الآخرين »

وقد أوضح لينين وجهة نظره هذه التى تقول بأن الاستعمار هو أخطر وأعنف مراحل الرأسمالية ، وتكهن بمصيره المحتوم فى مؤلف وضعه وقتئذ عن الاستعمار .



كانت تلك هى الحالة النفسية للطبقات الكادحة واتجاهها العام فى

أوروبا وكانت هذه هي الحال في روسيا لما دخلت الحرب العالمية الأولى ، وكان من الطبيعي ونسب حالته النفسية على هذه الصورة ؛ ان يمتلئ بهزائم منكراً في مختلف ميادين القتال ، وكانت أبرز هذه الهزائم هي موقعه « تاننبرج » تلك الموقعة التي أنزل فيها القائد الألماني لودندورف بالجيوش الروسية هزيمة منكراً ساحقة . وبدا واضحاً أن روسيا بما ابتليت به من حكم فاسد ، وبما أصاب الجبهة الداخلية فيها من الانهيار قد أصبحت عاجزة عن مواصلة الحرب في صف الحلفاء الغربيين الذين أوفدوا اليها في شتاء عام ١٩١٦ اللورد ملنر لدراسة الحالة فيها ، ولقد حسب الغرب ان في استطاعته معالجة الأمور في روسيا وإيقادها من الورء ، غير ان محاولة بياسته لم تفلح ، فخاب ظنهم واندلعت الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ ، وسقط النظام القيصرى سقوط الثمرة التي تمثنت وأصبح لا مناص من سقوطها ، وترك سقوط هذا النظام فراغاً مخيفاً شمل روسيا وما كانت تضمه من بلاد ، وقد عجزت الطبقات التي استغلت النظام القيصرى وتوارثته عن ايجاد بديل له يتولى شئون البلاد ، ولم تفلح الحكومة المؤقتة التي رأسها الأمير « لفوف » والتي كان أبرز أعضائها « كيرسكى » في القبض على زمام الأمور وتجنب الأحداث التي راحت تتوالى ، وكانت هذه الحكومة هي التي مهدت بما أصدرته من قرارات الى بروز الاتجاه الشيوعى في الثورة الروسية وتسلمه عليها وأتاح له السيطرة النهائية على روسيا .



لقد كان الشعب الروسى وكانت الطبقات البروليتارية فيه تتابع جهود ونشاط لينين وأعدائه من المفكرين الروس الذين فروا من المعتقلات في سيبيريا واستوطن بعضهم ألمانيا كما نزح بعضهم الى فرنسا وسويسرا حيث راحوا يباشرون نشاطهم ضد الحكم القائم في بلادهم وضد الرأسمالية ولهذا فانه في مفاوضات الصلح التي جرت بين ألمانيا وبين روسيا عقب هزيمة الجيوش الروسية حرصت ألمانيا على أن يتم الاتفاق فيها مبدئياً على عودة اللاجئين الروس والسياسيين الى بلادهم . وعودة الزعماء الروس الذين كانوا



يعيشون فى المنفى لأوطانهم • وقد بادرت ألمانيا - فعلا بإعادتهم الى روسيا لعلها بذلك النشاط الذى كانوا يباشرونه ضد الرأسمالية ، ولعلها بما سوف نسفر عنه الأحداث من قيام الثورة على أوسع نطاق ، وبما يترتب على قيامها ونجاحها وانتشار المبادئ الشيوعية وسيطرتها على روسيا بأسرها ، وكان ذلك كله فى رأيها بمثابة طعنة نجلاء سندها ألمانيا الى الكتلة الغربية ، فى ذلك الوقت الذى كانت تقوم فيه الجيوش الألمانية بالحيلولة دور نجدة الحلفاء الغربيين لحليفهم بعصر روسيا واتخاذ نظام الحكم الذى كان يمثل القيصر • فكانت جيوشها سدا منيعا أمام الحلفاء ، ولم يكن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب الى جانب بريطانيا وفرنسا ليزحرج الجيوش والسياسة الألمانية عن موقفها لحماية الثورة الشيوعية ، ومن أجل ان تهيم لها أسباب النجاح والبقاء • فتجاح الثورة كان هدفا مرسوما فى السياسة الألمانية ، لأنه كان يعنى فصل روسيا نهائيا عن الدول الرأسمالية التى يتنافى نظامها الرأسمالى والاستعمارى بل التى تمادى سائر نظمها - النظام الشيوعى - الذى تقوم عليه الثورة الروسية •

لقد أعادت ألمانيا • لينين • الى روسيا فى قطار مصفح ، فوصلها فى ١٦ من إبريل عام ١٩١٧ وشرع فور عودته فى تزعم الحركة العمالية وعمل على توجيه الثورة توجيهها بروتارييا بحثا ، وتحويل الحكومة المؤقتة الى حكومة شعبية بروتاريية ، بل انه عمل على عقد صلح مع ألمانيا خلا من الاتجاهات الاستعمارية ومن التطلع الى أى غنى أو تعويض ، فكان ذلك اتجاها واضحا الى تخلى روسيا عن قضية الحلفاء الغربيين وانصرافها عن جميع المزايا والمطامع التى ضمنتها لها الدول الغربية فى حالة انتصار الحلفاء على ألمانيا •

\*\*\*

ولما تم هذا الصلح بين ألمانيا وروسيا ، اذاعت الحكومة الروسية الثورية تلك الاتفاقيات السرية التى سبق عقدها بين الحكومة القيصرية وبين الدول الغربية لتقسيم العالم بينهم بعد أن يتم لهم الانتصار ، وكان

الغرض من نشر هذه الاتفاقيات هو فضح سر الغرب والكشف عن نواياه التي تتعارض الى أبعد حد ومبادئ الحلفاء التي كانوا يعلنونها للتغريب ولخدمة الشعوب ، وكان من بين هذه الوثائق السرية : الوثائق الخاصة باتفاقية « سان جان دى مورين » التي تضمنت تقسيم الدولة العثمانية بين الحلفاء الغربيين وروسيا •

ولقد سرد لينين المراحل التي مرت بها الاحداث والتطورات في روسيا في مؤلف له قل فيه : « ان ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ نجحت بفضل الوسيلة التي رسمت لها » فاحداث هذه الثورة نفذت وفقا للخطة الموضوعة لها تماما ، والتي اتفقت مع تفكيرنا اتفاقا دقيقا « ويمضى لينين فيقول : « كان علينا أن نكثل الشعب ضد الملكية وضد كبار الملاك وضد الاقطاع » لكي تنسم الثورة في أول الأمر بطابع البورجوازية الديمقراطية » ثم لتنتقل بعد ذلك من هذه المرحلة الى تطوير الثورة بمساندة الطبقات الكادحة والفلاحين والفقراء » أى بمساندة الطبقات التي خضعت للسيطرة والاستغلال بتوجيهها ضد ما تبقى من الرأسمالية » أى ضد الطبقة المتوسطة » •



كانت الثورة الروسية ثورة داخلية بكل معنى الكلمة ، غير أننا اذا نظرنا اليها من ناحية المبادئ التي تبنتها وطبقتها « أمكن القول بأنها كانت ثورة عالمية ، لأن العالم لمس فيها أول تطبيق واقعي علمي لمبادئ كانت حتى ذلك التاريخ مجرد معان وأسطر تقرأ في المؤلفات فحسب •

أما عن هذه المبادئ التي اعتنقتها روسيا ، ومدى مطابقتها لتعاليم ماركس وانجلز ومدى تطويرها خلال تلك التجربة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فلا يعنيها التصدى لها في مؤلفنا هذا الا بالقدر الذي يوضح أثر ההج الذي نهجه الاتحاد السوفيتي والسياسة التي اتبعها ازاء دول الشرق في تلك الحقبة من الزمن التي نعرض اليها في هذا المؤلف • لهذا نقول انه بمجرد أن استقر الحكم للثورة بدا من اتجاهات وتصرفات الاتحاد السوفيتي ما أكد صدق وقوة الفراسة في

السياسة الألمانية التي ساندت الثورة الروسية الشيوعية وهأت لها كل أسباب النجاح . فقد بدا واضحا أن نشاط الثورة في روسيا ، يمتد في قوة الى خارج حدودها وان ذلك يؤرق الدول الرأسمالية ولا سيما الحلفاء الغربيون . بدأت التجربة في روسيا تؤكد ان زعماء الثورة يرمون الى نشر مبادئها في سائر أنحاء العالم والى تشجيع الثورات الداخلية لجميع الشعوب التي تخضع للغرب .

بدأ يتضح للغرب أن مبادئ الثورة الشيوعية الروسية تهدد كيان الدول الغربية لأنها لا تهدف الى القضاء على الاستعمار فحسب ، بل الى القضاء على الرأسمالية في جميع صورها . بدأ الغرب يدرك ان تلك المبادئ التي كانت حتى ذلك التاريخ مجرد نظريات قد بدأت تخرج الى التطبيق العملي ، وأن الطبقات الكادحة في دول العالم قد أخذت ترقبها . بدأ الغرب يدرك مدى الخطر الذي يتعرض له ، وبدأ يدرك السر في حماية الجيوش الألمانية للثورة الشيوعية في روسيا ، والحيلولة دون نجدة الحلفاء لروسيا القيصرية وتدخلهم عسكريا في الوقت المناسب لحماية النظام الذي قامت ضده الثورة ، وهكذا قوت ألمانيا على الغرب فرصة القضاء على الثورة الروسية وهي في المهد .

فالأوقع ان ألمانيا كسبت من الحرب العالمية الأولى فصل روسيا كلية عن المسكر الغربي بل جعلت منها مصكرا ضد هذا المسكر . هذا اذا اعتبرنا أن الاضرار بالعدو - هو في ذاته كسب ، حتى وان لم ينفذ منه عدوه نفعا ماديا .



ولقد أدرك القائمون على الأمر في روسيا ، انه أصبح متعينا عليهم أن يعملوا على تأمين مستقبل النظام الذي أقامته الثورة وحمايته ، في ذات الوقت الذي يعملون فيه على نشر المبادئ التي قام عليها هذا النظام ، فكان طبيعيا أن يدرك المسؤولون عن الثورة الروسية انه لا بد من الاحتفاظ لروسيا بكيانها كدولة لها شخصيتها التاريخية ولها تقاليد لها الدولية على الرغم من قيام النظام الشيوعي ، بمعنى ان هذا النظام لا يمحو

من معالم روسيا القديمة الا نظام الحكم فيها ؟ ولا تندثر فيه تماما الا شخصية ومعالم النظام القيصري - ولا تنسى في ظل الشيوعية الا الكلمات والاسماء والألقاب السائدة كالقيصر والامبراطور - الخ + فقادة الثورة الشيوعية عملوا بعد نجاحها على أن يستبقى نظام الحكم الجديد الدولة الروسية والسياسة والأهداف الروسية كما عرفت عبر تاريخها . وكل ما استحدثته بالإضافة الى ذلك هو سياسة الدعوة الدولية للنظام الجديد لأنها متى نجحت في بلد حوثه الى حليف لروسيا ؟ وربطت بينهما برباط المذهب الاجتماعي ونظام الحكم والعقيدة السياسية .



لقد خلقت ثورة روسيا للغرب عدوا رهيا ، لا يخاف الغرب فيسه فوته العسكرية ، وانما يخاف دعوته ومبادئه التي يعمل على نشرها في جميع أنحاء العالم . . . كما خلقت للغرب موقفا بالغ الخطورة ، فبدأ ساسته يدركون تماما أنه لو كتب للشيوعية النجاح واستقر لها الأمر ؛ لقسمت العالم الى فريقين ولجعلت المبادئ الاجتماعية عنصرا بارزا من عناصر الصراع العالمي ، على ان هذا الادراك من جانب الغرب لخطوة الثورة الشيوعية لم يقتصر بقدرتهم على مقاومتها عسكريا - كما اسلفنا القول - لأن جيوش المانيا ظلت تشغل الحلفاء وتقاومهم حتى شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ ؟ فمكنت بهذا للثورة الروسية من النجاح والاستقرار ، وبدأت دعوته في التسلل بين شعوب الدول المتحاربة حاملة في ثناياها روح العطف على الشعوب المهزومة وعلى قضايا الشعوب المغلوبة على أمرها والشعوب التي سيطرت عليها الدول الغربية ، وقد بدأت روسيا الشيوعية اتجاهاها الايجابي في هذا الصدد بمؤازرة ثورة تركيا وانتفاضتها ضد الحلفاء الغربيين ، واذا كان تقدير القادة والساسة الألمان قد صبح بالنسبة للنتائج التي أسفرت عنها الثورة الروسية في روسيا ذاتها ؟ فان آثار هذه الثورة ما لبثت ان انعكست على المانيا ذاتها .

## الفصل السادس

### الثورة في ألمانيا وتعاليم لودندورف

« استسلام ألمانيا استجابة لوعود الحلفاء - الشعب الألماني ينادي بمطالب الحلفاء »  
« وينتقد ضد حكاهم - الحلفاء يتكبرون للشعب الألماني ويحرمونه الأمن والسلام - الدال »  
« الحلفاء للذل - الثورة الألمانية تنهج الى الشرق - الى الثورة الروسية - النفوس »  
« تحالف الثورة - حكومة فيماد - نرى الحلفاء في العمل على القضاء على الوحدة »  
« الألمانية - لويد جيجورج يفسر سبب القرد - كليمتمو والوحدة الألمانية - الحلفاء »  
« وتمويصات الحرب - تحرر العناصر للوطنية رسالة الجنرال لودندورف الى الشعب »  
« الألماني - برناتج لودندورف للتهوف بالثانيا - اودلف هتير ولودندورف - مؤلف الحرب »  
« الوطني الاشتراكي » .



كان لما تحمله الشعب الألماني من تضحيات خلال الحرب ، وما بذله الحلفاء من وعود ، وقطعوه على أنفسهم من عهود ولا سيما ما تضمنته هذه الوعود والعهود والتصريحات المتكررة التي أدلى بها الرئيس ولسن وكات كلها التزام بعدم المساس بالشعب الألماني ؛ أو إلحاق أى ضرر به ، أو التعرض لشؤونه الداخلية ، كان لذلك كله أثر فعال فى تفكك الجبهة الداخلية فى ألمانيا ، وكانت دعاية الحلفاء ترمى الى هذا التفكك ليكون هو وهزيمة الجيش الألماني سبباً يحمل ألمانيا على التسليم وقبول شروط الحلفاء واستجابة لوعود ولدعاية الحلفاء ونظرا لأن الشعب الألماني قد أحس فى أكتوبر سنة ١٩١٨ بأن ألمانيا على أبواب الهزيمة ؛ بل على أبواب الاستسلام ، فقد راح الشعب يتطلع الى قادته ويفكر فى المصير الذى انتهت اليه بلاده ، ويتطلع أيضا الى وعود الحلفاء . قال الحلفاء للشعب الألماني انك لست عدونا واننا لا نحاربك ، ولكن عدونا هو القيصر الألماني وقواده وجيوشه والطبقة الحاكمة ، أولئك الذين ساقوكم الى جمل السلاح ضدنا . واذا تم لألمانيا التخلص من القيصر ومن القواد

ومن الحكام ، واذا أصبحت ديمقراطية على ذلك النمط الغربي ، فإن الشعب الألماني لم يلق من الحلفاء الغربيين الا تلك المعاملة التي سجلوها على أنفسهم في عهودهم ومواثيقهم .

\*\*\*

وكان لهذه العوامل جميعا أثرها العميق في نفسية الشعب الألماني فنار ضد الامبراطور وضد الحكام ، وتوقع الشعب ان يجد من الحلفاء المعاملة العادلة الكريمة ، وأن يجد السلام والأمن والطمأنينة لمستقبله ، ولكنه لم يجد سلاما ولا أمنا ، بل انه عانى الأمرين من الحلفاء فقد فوجئ الشعب بما خيب أمله في عهودهم ووعودهم ، وبدا واضحا أن الحلفاء يصرون على اذلال هذا الشعب ولا يفرقون في نظرهم لألمانيا كدولة وبين الحاكم والمحكوم وبين قادة الجيوش وافراد الأمة ، وتبين أن سياستهم تتجه الى اشعار ألمانيا بمرارة الهزيمة في أقصى صورها من جوع واذلال وحرمان ، وتحميل الشعب الألماني ذاته تبعة الحرب كاملة من ناحيتها المادية والمعنوية . واذا بدا ذلك كله للشعب الألماني وأدرك تماما خديعة الحلفاء له ، فانه اتجه في عنف الى المسكر الشرقي وكانت الثورة الروسية أقوى نبضات هذا المسكر ، فبدأت الأوساط العمالية في ألمانيا تتحدث عنها وتشيد بما حققته من آثار ، وتناولتها أوساط المثقفين وراح الجميع يعملون على مناصرتها ، وشرعت القوات ذاتها في التمرد ، واتسع نطاق الحركات التمردية فشمل الموانئ الألمانية على بحر البلطيق في « هامبورج » وفي « بريمن » و « لوبيك » ، وامتد العصيان الى مدن « هانوفر » و « ليزج » و « كولونيا » .

وبما كانت القيادة الألمانية تتفاوض الحلفاء في شروط التسليم ، أجبرت الثورة في ألمانيا الامبراطور غليوم على التنازل عن العرش في ٨ من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وفي ٩ من نوفمبر أعلن مجلس الريشتاج قيام الجمهورية الألمانية وتم تشكيل حكومة مؤقتة كانت العناصر الاشتراكية والعناصر ذات الميول اليسارية من أبرز أعضائها ، وقد خلع رجال هذه الحكومة على أنفسهم لقب قومسيير على غرار ما فعله رجال الحكومة في

روسيا عند قيام ثورتها ، وشرعت الطبقات البروليتارية فى المانيا فى تكوين مجالس من العمال والجنود على نمط النظام الشيوعى تماما .

بدأت الحركات الثورية سم المانيا ووضع أن الأمة تواجه الانقسام فمن جانب كان هناك اتجاه ثورى فوضوى وكانت هناك قوات كبيرة من العمال انضم اليها عدد لا بأس به من وحدات جنود البحرية الالمانية ومن الجانب الآخر كانت تقف الطبقات الروسية يستندها بقايا الجيش الالماني المهزوم .



وفد عمل الحلفاء على زيادة الثورة الالمانية اشتعالا وعلى تضخيم الصراع بين الاتجاهات المتعارضة فى الشعب بحيث تكون الغلبة أخيرا للاتجاه الملائم لمصلحة الحلفاء ؛ ورحب الحلفاء بزوال الحكم الامبراطورى وقيام النظام الجمهورى ، ولكن ساءهم ان يتولى رئاسة الجمهورية « نيرت » Ebert ذلك العامل الاشتراكى . وكان الحلفاء يرمون الى أن يتولى حكم المانيا هؤلاء الموالون لهم ممن كانوا قد لجئوا الى سويسرا خلال الحرب وأغلبهم كانوا يهودا ، غير أن خطة الحلفاء فى تحقيق هذه الرغبة لم تفلح وزادت الفوضى وازداد الاضطراب ، وراحت العناصر اليهودية توجه الحركات الشيوعية ، فاستولت هذه الحركات على مقبالتد الحكم فى برلين وفى ولاية بافاريا ، وقام كارل ليكنخت Rosa Luxemburg، وروزا لكسمبرج Karl Liebknecht، وروزا لكسمبرج باعلان الحكم البروليتارى فى برلين يوم ٥ من يناير سنة ١٩١٩ وشرعا فى تطبيق النظام السوفيتى ، وشهدت برلين منازيح لم تتوقف الا بعد أن تدخل الجيش الالمانى بقيادة الجنرال نوسك Noske وزال الخطر الشيوعى فى برلين يوم ١٥ من يناير، ولقى ليكنخت وروزا لكسمبرج مصرعهما ، أما الحركة الشيوعية فى ذاتها فقد ظلت مسيطرة على بافاريا حتى مايو سنة ١٩١٩ .



وأدرك الألمان فى النهاية خطورة الموقف وتبين لسااستهم وفادتهم

على اختلاف مذاهبهم ان الموقف يحتم عليهم العمل لانقاذ المانيا من خطر الثورة الداخلية وما سوف يترتب عليها من قيام حرب أهلية تدمر المانيا وتمحو شخصيتها من الوجود .

قد كانت الأحزاب الاشتراكية ضد الحركات العنصرية التي كانت ترمي الى اجتذاب المانيا الى الانصواء تحت لواء القيادة السوفيتية ، ووقف ايرت العامل الاشتراكي ورئيس الجمهورية الالمانية في صف الجيش داعيا للاحتفاظ بالمانيا الكبرى ٠٠٠ وأجريت الانتخابات واجتمع المجلس الوطني الجديد في فيمار Wetmar في ٦ من فبراير سنة ١٩١٩ وأعلن اصراره على بقاء المانيا الكبرى ، كما ثبت المجلس الوطني العامل « ايرت » Ebert في رئاسة الجمهورية وتم تشكيل الحكومة التي تتولى مفاوضة الحلفاء وتوقيع معاهدة الصلح .

أعلن المجلس الوطني ميلاد الرايخ الثالث الذي يشمل دولة المانيا الموحدة بل ان العامل الاشتراكي ايرت الذي أصبح رئيسا للجمهورية وقف يشر بعودة النمسا الى أحضان الأمة الألمانية في وحدة قوية متى سقط النظام الامبراطوري النمساوي .



وبينما كان الألمان يتمسكون بالوحدة ، كانت فرنسا تسعى للمضاء على وحدة المانيا ، تلك الوحدة التي كانت المحور الذي دارت حوله سياسة « بسمارك » والتي تقترن دائما باسمه ، تلك الوحدة التي أصر بسمارك على تحقيقها على الرغم من فداحة التضحيات والمتاعب والاعباء التي تحملتها بروسيا وارتفعتها عن طيب خاطر والتي شرحها بسمارك تفصيلا في مذكراته لأنه آمن بأن الوحدة هي أسمى أهداف الشعب الألماني بل الهدف الوحيد الذي يكفل له البقاء .

وكان بسمارك يذكر الألمان دائما بهذه الحقيقة فيقول : « علينا نحن الألمان الذين يعيشون في قلب أوروبا أن نؤمن بضرورة تماسكنا وارتباطنا أكثر من أي شعب آخر » اذ لا توجد حواجز طبيعية تحميها من أعدائنا واذا أردنا ألا تذهب تضحياتنا عن الأجيال هباء مشورا ، واذا أردنا ألا



يكون مصيرنا الغناء ، فعلينا أن نحدد وإن نقف جميعا متراصين كفا الى .  
كف . .

كان واضحا أن فرنسا وبريطانيا تمانان في القضاء على ألمانيا كدولة .  
عظمى بتسليمها للحركات الانفصالية ؛ أملا في التخلص من كابوسها .  
نجاحهم على صدر الدولتين منذ عام ١٨٧١ . وحرصا من فرنسا على تحقيق .  
هذا الهدف أصرت حكومتها في مؤتمر الصلح على أن تدعى الولايات  
الألمانية التي أعلنت انفصالها عن الدولة الألمانية الى توقيع معاهدة الصلح .  
شخصيتها المنفصلة عن ألمانيا ، وتقدمت بهذا الاقتراح في ٢ من مايو سنة  
١٩١٩ ؛ ولكنه قوبل من الولايات المتحدة بالاعراض وعدم التشجيع .  
غير أن فرنسا مضت في خطتها وأعلنت اعترافها بقيام دولة بافاريا  
وأنشأت لها مفوضية في مدينة ميونيخ وظلت في الوقت نفسه تعترف  
بجمهورية « فيمار »

ولقد تمسكت حكومة الجمهورية الألمانية الاشتراكية بالوحدة .  
الألمانية برغم هزيمة ألمانيا في الحرب ؛ غير أن الحلفاء وضعا في مقدمة .  
معاملة الصلح نصا يخول دول الحلفاء الحق في إقامة علاقات دبلوماسية .  
مع مختلف الدول الأعضاء في الدولة الألمانية ، وقد وضع هذا النص  
للتوفيق بين الموقف الذي التزمته فرنسا لتمزيق ألمانيا وبين مصالح الحلفاء  
المادية .

ويفسر لويد جورج موقف الحلفاء من وحدة ألمانيا ويكشف السر  
الذي من أجله لم يمض في مجازاة فرنسا في موقفها من تمزيق هذه .  
الوحدة فيقول « اتنا اذا سلمنا بالقضاء على وحدة ألمانيا ، وأقمنا بدلا من .  
ألمانيا الموحدة دولا جديدة ، كان لزاما علينا أن نتنازل عن تعويضات الحرب .  
من هذه الدول التي لا يمكن أن تفرض عليها هذه التعويضات الا بوصف  
أنها جزء لا يتجزأ من الدولة الألمانية ؛ وإذا حملنا هذه الدول الجديدة  
صبيها في تعويضات الحرب ؛ فأنها عندئذ تجد أن فصلها عن ألمانيا لم .  
يفدها في قليل أو كثير بل انه لا مصلحة لها في الانفصال عن الوحدة .  
طالما أن ذلك لا يحقق لها أى كسب . »

على أن المسيو كليمنصو رأى أن يعدل عن الرأى القائل بتعزيق الوحدة الألمانية ، وقال فى هذا الشأن انه من السير على الانسان أن تمتد يده الى وحدة تأصلت فى النفوس وأثبتت قدرتها على البقاء . وقال : ان خير أسلوب لتيسير انفصال تلك الدول التى منها تتألف ألمانيا المتحدة هو تركها وشأنها بعد الهزيمة وعدم التدخل فى شئونها لعل وعسى أن يقع من الخلاف بينها ما يؤدى الى تفككها .



لقد خضعت ألمانيا الى الشروط التى أملاها عليها الحلفاء فى معاهدة الصلح . . . . . جردت من مستعمراتها ؛ وحرمت جيشها وأسطولها واقترح الحلفاء فى أول الأمر تحميلها جميع نفقات الحرب ؛ أى أن تدفع ألمانيا جميع ما تكلفه الحلفاء فى خلال مدة الحرب جملة وتفصيلا مضافا اليها قيمة ما لحق الممتلكات والأموال الخاصة من الخسائر وقيمة التعويض المستحق عما لحق أشخاص الأفراد من الأضرار ، ولما انساق الحلفاء وراء هذه النظرية بلغت التقديرات عشرة آلاف مليار فرنك أى ما يعادل أربعمائة مليار من الجنيهات الاسترلينية . وأمام هذا الرقم الخيالى الذى لا يسع أية دولة فى العالم دفعه ، عاد الحلفاء فحفظوا هذا الرقم وجعلوه سبعمائة مليار فرنك أى ما يعادل ٢٨ مليار جنيه استرليني . . . . ثم انهم لما لم يجدوا بعد هذا من الولايات المتحدة الأمريكية ارتياحا للمطالبة بهذه التعويضات على الصورة التى يتم بها تقديرها ، عاد الحلفاء مرة ثالثة الى بحث الأمر ؛ وانهى البحث الى ترك تدبير التعويضات وتحديدها الى لجنة شكلت لهذا الغرض ؛ أطلق عليها « لجنة التعويضات » شريطة أن تدفع ألمانيا فور توقيع معاهدة الصلح عشرين مليارا من الماركات الذهب وترك للجنة التعويضات تحديد قيمة قسط تدفعه ألمانيا سنويا ، لمدة ثلاثين سنة ، على أن تبدأ فوراً باصدار سندات بمبلغ مائة مليار مارك كما تقوم بدفع أى مبلغ اضافى تقرره اللجنة الدولية للتعويضات ليكون تحت طلب الحلفاء فى أى وقت شاءوا .



اطمأنت ألمانيا الى بقاء وحدتها ؛ الا أنها فى ذات الوقت أحست  
بنقسة الشروط والمطالب الباهظة التى فرضت وأملت عليها فى مؤتمر  
الصلح وشعرت بما جلبته عليها هزيمتها فى الحرب من آلام ومتاعب  
فكان أول اتجاه للناصر التى تتجه الى إعادة بناء ألمانيا هو التخلص من  
حكومة ايبيرت ، ومن أجل هذه الغاية قام الجيش الألمانى فى ١٣ من  
مارس سنة ١٩٢٠ بحركة للاستيلاء على الحكم ، فدخلت قواته برلين  
وأكرهت ايبيرت رئيس الجمهورية على الهرب هو ورئيس وزرائه ،  
وأقام الجيش حكومة جديدة .

وكانت هذه الحركة سبباً فى اشتعال نار الثورة من جديد ،  
فأضربت طبقات العمال ووقفوا فى وجه الجيش ثم اتسعت موجة الاضراب  
فممت كل أنحاء ألمانيا ، ولكن الجيش تمكن من القضاء على الحركات  
الفوضوية وإعادة الهدوء الى البلاد ، الا أن الاستقرار لم يتحقق ، والثورة  
فى النفوس لم تخدم ، وقد خاضت المعركة وقتل الناصر الوطنية الى  
كانت حريصة على مستقبل ألمانيا ، تلك الناصر التى كانت الهزيمة قد  
أذهلتها فلم تفق الا على وخزات الألم فى مسألة شروط معاهدة الصلح .



هبت هذه الناصر لتعمل من أجل بث النيرة الوطنية فى نفوس  
الألمان وراحت تذكرهم بأمجادهم ليستعيدوها ؛ وكانت دعوتهم فى هذا  
الصدد تقول بأنه اذا كان الحلفاء قد ابتغوا من الثورة فى ألمانيا تمزيقها  
والقضاء عليها فلن الناصر الوطنية يمكنها أن تحول ثورة ألمانيا على نفسها  
الى ثورة على الحلفاء ، ثورة تمزق معاهدة الصلح التى أملت على بلادهم  
وكان على الغرب وعلى الحلفاء أن يواجهوا هذه الدعوة التى تزعمها  
الجنرال « لودندورف » نائى قواد ألمانيا بعد المارشال هندنبورج ؛  
تزعمها بقلمه وبعبئه وقادها وهو اذ ذاك شيخ تقدمت به السن ، ولولا  
حكم الشيخوخة ، ما كان لألمانيا زعيم غير هذا الزعيم .

لقد كان هذا الشيخ « لودندورف » لا يفتأ يستحث الشعب  
الألمانى من أجل استعادة مجده ، ويذكره بوصية بسمارك ويقول للشعب

« : لاتعدوا روح العززية تسرب اليكم وتسيطر عليكم وتدفغ الامة الى الانحراف فتعظم يديها كيانه الوطنى . وانى اشهد الله واشهد التاريخ على أن الصراع بين الاحزاب يعظم فى الشعب هذا العمل الوطنى المجيد الذى أتبع لنا أن نعمله خلال تاريخنا العظيم ... »

كان يقول للالمان « ان تضحياتنا فى هذه الحرب العظمى لم تنته بالانتصار ولم تحقق لنا السلام والأمن ولم تكفل لنا الحرية وان ذبوع النظريات المولية التى تنادى بالاستسلام والتخاذل وسيطرنها على اللانبا هى التى ستقضى عليها فى ذلك العالم الذى تقف فيه الدول متاهية . للكفاح والصراع والتى لا يسمع فيها تقارع الأسلحة » . ناشد الالمان أن يصرروا بحقائق التاريخ وينظروا حولهم ليتبينوا ما ينتصهم على ضوء الواقع فى بلادهم وخارج بلادهم .

قال للشعب الألمانى أنه فى حاجة الى اعادة تاهيله سياسيا وان عليه واجبا وطنيا جسيما وان على رؤسائه ولادته عينا باعظا فكى يستعيد الشعب الألمانى الفضل صفاته . كان لودندورف يقول للالمان : ان حياة الشعوب قوامها الكفاح والصراع ، وان الصراع سواء كان بين الافراد او بين الشعوب والدول سيقطع حده الوسيلة القاطعة فى حسم المشاكل . وان حياة الفرد اليومية لا تمدو ان تكون الصورة الصغيرة من الصراع الكبير . بين الدول ، وانه اذا كانت الافراد تتصارع فى سبيل الوجود ، وانه اذا كانت الاحزاب تتناحر من اجل الحكم والسلطان فلان الشعوب ستظل تتصارع فى سبيل البقاء والوجود . وان ما حققه الانسان لنفسه من رفى وثقافة لن يؤدي الا لجرد تطوير اسلحة الصراع ولن يقضى عليها لان الحكم النهائى انما يتكيف تبعا لطبيعة الانسان ، وطبيعة الانسان هى الكفاح . وهى الصراع ابدا ، وان زهو العناصر الشريفة بانتصارها وعجزها وخيانتها حينما يتاح لها النصر لها يحشد القوى على الوقوف فى وجه هؤلاء المنتصرين المتألهين لمساندة اعمالهم الذين ليسوا على شاكلتهم . على أن العناصر الطيبة الغيرة لا يتسنى لها البقاء والحياة ما لم تتحقق لها القوة التى تميناها على البقاء والحياة .

لقد ذكر الجنرال لودندورف الشعب الألمانى بما قاله افيلد . ماريشال « مولتك » Molthe من أن السلام الابدى حلم من الاحلام ، وليس حلما جميلا ، لان الصراع والكفاح والحرب جزء من النظام الأزل الذى وجد بوجود العالم ، وفى الكفاح والصراع تتطهر النفوس وتتطور الصفات النبيلة فى الانسان ، تتطور الشجاعة والفداء والتضحية والتجرد والولاء والخضوع للواجب وتكران الذات الى حد التضحية باغلى ما فى الوجود وهو الحياة ، وأن الجهاد والكفاح وحدهما لهما الكفيلان بالبقاء . على وجود واستقلال وشرى الامم والدول .

قال الجنرال لودندورف للشعب الألماني ، بأن عليه أن يستعد من مغيلته ومن نفسه تلك الأمان والاحلام التي يريد أعداؤه أن يشوها في نفسه ، ويلغوه اياها ويشتوها في وحيه ، من أجل أن يقتنع في النهاية بأن العالم مصيره إلى سلام أبدي ، وأن الجنس البشري مآله في النهاية إلى وئام دائم ، وأن أعداء الأمت سيصبحون يوما ما أصدقاء أحب ، يوم أن يتجرد العالم من النوايا العدوانية ، وينصرف تفكيره عن الأخذ بأسباب القوة . وحذر لودندورف الشعب الألماني من الانسياق وراء هذه الاحلام حتى لا يعجز عن النهوض بمعركة التحرير والخصاص من الدل الذي فرضته عليه معاهدة الصلح التي جردت ألمانيا من كل وسيلة للدفاع عن نفسها ضد أي عنوان ليتمكن الحلفاء من املاء شروطهم عليها دون أية مقاومة ودون أن يجدوا من المانيا غير التسليم والاستسلام . كان لودندورف يؤكد للشعب الألماني أن الحرب ستظل أبدا وسيلة القوى الوحيدة لفرض ارادته وتنفيذ سياسته ، كما أنها ستظل دائما الوسيلة التي لا وسيلة غيرها للشعوب التي لا تريد الخضوع للذل والخنوع للمبودية . وأن على الأمة الألمانية أن تستهدف اول ما تستهدف تحقيق حريتها واستقلالها ورفاهيتها وتطوير صناعيتها واقتصادها وأن تلك الاهداف لا بد أن يحول الحلفاء دون تحقيقها . وكان يذكر الألمان بغديرة الحلفاء لهم ويذكرهم بتلك الوعود والمواثيق الكاذبة التي غرر بها الحلفاء الشعب . كان يحذر الشعب من الآراء والمذاهب الانسانية التي ينادى بها الحلفاء ويمتدحونها ويدعون اليها في الشعب الألماني ، ويسمى هذا الاتجاه بنظريات لا يؤمن الحلفاء بها ، مع أنهم يريدون من الشعب الألماني أن يعتنقها ويؤمن بها ، لأن ايمانه بها في مصلحة الحلفاء وحدهم ، وليس في مصلحة المانيا أبدا .

كان يقول في هذا الصدد : أن الحلفاء ، يخلون عنا خير صلواتنا وعلومنا وآرائنا ونظمتنا ثم هم يحاولون أن يقدموا لنا بدلا منها ما ليس في مصلحتنا ، وما لا خير لنا فيه من الآراء والمبادئ والنصح والتوجيه . أن دعايتهم لى شر يقيم وسعكم ، وأنهم سيتهموننى بالعمل على الاثارة والاستفزاز ، لأننى أبين لكم هذه الحقائق ولكنهم - على أية حال - لن يتمكنوا من الحيولة دون أن تؤكد لكم بانهم ، يؤمنون بتلك الحقائق التي أنادى بها وبأن قادتهم أكثر خبرة بالطبيعة البشرية ولذلك كانوا افضل منا .

وكان لودندورف يسأل الشعب الألماني، عما حققه منذ الهدنة وعما اخذه من تملقه الحلفاء وعما عاد عليه من الوقوف من الحلفاء موقف الخنوع والخضوع والاستسلام ، ودأب على مناشدة الشعب الألماني من أجل أن يمضى في حياته وفي خطته غير مبسال باعدائه . ولكي يواجه الموقف

بنيات ورباطة جاش وتحصيل المزيد من المذاب والالام التي تمهد له الطريق الى الخلاص والحرية .

لقد نبه لودندورف الشعب الى أن هزيمة ألمانيا ترجع الى أن الألمان لم جانبهم التوفيق في تقدير قوة وامكانيات خصمهم ، والى أنهم لم يدبروا امورهم على الصورة التي كانت تحتها الظروف . وفي هذا كان يقول في خطابه للشعب : ان النجاح لا يمكن أن يكتب للشعب لم يحدث - سلفا - اهدافه ووسائله ، كما نبه الألمان الى ضرورة دعم وتقوية الجبهة الداخلية وتكريس الجهد من أجل البناء الداخلي ، وفي هذا كان يقول للشعب : ان هدفنا الاساسي يحتم أن تتركز جهودنا الى أبعد حد من أجل إعادة بناء الدولة ومن أجل كفاءة أمنها وتثبيت وجودها وتجديد قواها وبعث روحها الوطنية ، وهو جهد يتطلب تركيز كل القوى وتوحيد جهود الشعب الألماني بجميع طبقاته وحرله ومهته في جبهة موحدة يسودها شعور عميق بحب للوطن يسمو ويرتفع الى حد التضحية والفداء ، وبحيث تحرك هذه الجبهة فينا الوعي بواجباتنا نحو بلدنا وامتنا قبل التسور بعقوبتنا قبل وطننا ، وبحيث تغلق فينا رغبة عميقة في الانتصار بعزم واصرار ، جبهة تؤمن بالله ، وجبهة هي الآن مجردة من كل سلاح ولكنها كانت - دائما - ذلك الجيش الذي قامت عليه ألمانيا ، جبهة يغتلي فيها الصراع بين الطبقات ، بين طبقة البرجوازية والطبقة العاملة ، ويغتنى فيها الصراع بين اهل المدن وأهل الريف ، جبهة تزول فيها الفوارق ، وتندعم الريب والتسكوك التي تضغط من ايمان وقوة الشعوب ، جبهة يعرف فيها قدر المجاهدين والمكافحين ، ولا تسمح للمستغل أن يثرى على حساب غيره في ميدان الجهاد ، جبهة بها ، وبقوتها يسود الشعب الألماني في كل الميادين التسور بالبطولة والتسور بالنظام والتسور بالواجب ، جبهة تقوم على أساس التجرد من المظاهر الكاذبة ، وعلى الوعي الاقتصادي والاحساس النابعين بالوفاء والاخلاص للواجب ، جبهة اذا تحققت لها كل هذا كانت عماد عظمة ألمانيا مستقبلا .

وناشد الجنرال لودندورف الألمان أن يسيدوا تسعيم الاسرة الألمانية ، وأن ينموا في نفوس ابنائهم صفات التواضع وشعور الثقة بالنفس والقدرة على مواجهة الصعاب لكي يعتمد الشباب عن التسور والكسل والاندفاع الى الملدات والشهوات فلا يقع الشاب أسرها ويصبح عبدا لها . ناشد لودندورف الشعب الألماني أن يحول الكارثة الى نصر ، وأن يحول أمجاد الماضي الى حقائق المستقبل وينسى الحاضر ، وخطر الشعب من الاندفاع وراء النزعات الشيوعية ، ومن التسور في بلل كل جهوده من أجل احياء الصناعة الألمانية التي وصفها بأنها عماد العظمة الألمانية والوجود الألماني . كما طالب بأن تكون الصناعة الألمانية مسخرة لخدمة القومية الألمانية ، لا

ان يكون هو المسخر لخدمة صنعة ليس فيها نبض قومي وطنى ولا هم لها الا الريح المادى فحسب . ناشد لودندورف الشعب ان يجعل التطور الصناعى فى المانيا جزءا من الكفاح الوطنى المرتبط بوجود المانيا وبكفالة عظمتها ، وطالب الامة باعادة النظر فى نظمها الدستورية بحيث تجعلها نظما لا تسمح للسياسة الذين خلقتهم الاحزاب ان يحكموا الشعب الالمانى ، بل تجعل من الشعب حاكما للشعب ، حاكما يستند الى قوته والى نظم تتيق من صميمه وتستند الى تمثيل جميع طوائفه وحرفه ، وفى ذلك قال لودندورف : نحن فى حاجة الى حكومة تقود الشعب لا الى حكومة تحكم وتمارس سلطان الحكم من أجل التسلط على الشعب ، نريد حكومة تكون هى قائد الامة حكومة لا تقيم وزنا الا لمصلحة الامة ولو عن طريق القوة ، حكومة تقوى على تادية واجبها والزام تلك الطوائف المنشقة على اجماع الشعب والتي لا تسمى الا لمصلحتها الخاصة واجبارها على ان تؤدى واجبها فى خدمة الامة بأسرها ، حكومة تعرف كيف تسخر قواها لخدمة الامة سياسيا فى الداخل وفى الخارج وتحقق لها الخلاص ولو أدى هذا للدخول فى صراع من أجل الحرية كوسيلة لا مناص منها لتحقيق اهدافنا فى السياسة الخارجية .

\*\*\*

ولقد اعلن لودندورف برنامجه السياسى هذا ونشره فى مؤلف له عالج فيه أسباب الحرب ومقدمات وأسباب الهزيمة التى منيت بها المانيا ، وقد ترجم المؤلف الى مختلف اللغات ليحذر الغرب شعوبه من تلك الدعوة الجديده التى كان ينادى بها لودندورف الذى كان قد عاد وقتئذ الى المانيا والتفت حوله العناصر الوطنية ومن بينها تلك العناصر التى تزعمها جندى سابق فى الجيش الالمانى يدعى « اودلف هتلر » الذى رأى وسط هذه الزوينة وفى هذا الجو المضطرب الذى كانت تعيش فيه المانيا ان يستجيب الى دعوة الجنرال لودندورف ، فألف حزبا اطلق عليه حزب العمال الالمانى ونظم هتلر حربه على نمط عسكري ؛ واشتمل الحزب فرقا للهجوم وظل يعمل على كسب الاتباع حتى تمكن من عقد مؤتمر له فى يناير سنة ١٩٣٣ ، وفيه ظهر اول استعراض عسكري لتلك الوحدات التى شكلها هتلر .

ولما كانت العناصر الشيوعية قد تمسكت من التسرب الى بعض الحكومات المحلية فى المانيا ، فان العناصر الرأسمالية رأت ان تتكلم مع

الطبقات المتوسطة ، ووقف الجميع في وجه الحركات المتطرفة ، وعملوا على مقاومة كل من تمكن من الوصول الى الحكم من الشيوعيين أو المتطرفين الذين يعطفون على الحركات العنيفة ، وتجاوب هذا الاتجاه مع دعوة الجنرال لودندورف ، وما لبث الحزب النازي ألفه هتلر أن استجاب الى هذه الدعوة ؟ فحاول بتأييد من لودندورف القيام بحركة ثورية للاستيلاء على مقاليد الحكم في ولاية بافريا ، وقد سقط في هذه المحاولة الكثيرون من الضحايا وانتهت بالقبض على هتلر وقضت المحاكم عليه بالسجن خمس سنوات ويحل الحزب الهتلري وتحريم كل نشاط له ، تلك كانت الحالة التي انتهى اليها الامر في ألمانيا بعد الحرب العالمية الاولى .



ولقد واجه الشعب الألماني حالة صراع بين الطبقات الكادحة من جانب وبين الرأسمالية والطبقات العسكرية من الجانب الآخر ، وشهد الشعب الألماني الحركة الشيوعية التي تنظم نفسها وتوطد مركزها وتزداد اتساعا وشهد الجيش حالة من القلق الدائم والخوف على مستقبل البلاد ، وخشي الشعب الألماني من سيطرة الشيوعيين على البلاد بمسد ان ظلت الحركة الشيوعية في توسعها .

وتفاقمت حالة التوتر والقلق القائمة بعد أن تصدت للشيوعية الحركات المضادة لها ولا سيما بعد ان نجح موسوليني في اقامة النظام الفاشستي في ايطاليا وجعل من الشيوعية العدو الرئيسي له ، واستمرت الحالة في ألمانيا على هذه الصورة : الاخطار تهددها والحلفاء الغربيون يتابعون سير الاحداث فيها بقلق واضطراب ويحاولون معالجة الاضطراب فيها بالزيدين المعونات المالية . لألمانيا ، وكانت الحركة التي بدأها هتلر والتي توقفت باعتقاله وسجنه فد عادت الى الظهور بعد العفو عنه في ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، حيث ألف حزبا جديدا حاول أن يضم اليه العناصر اليسارية الى جانب العناصر التي كانت تمثل الاحزاب التي تؤمن باعادة بناء ألمانيا من جديد ، ونشطت حركة هتلر من جديد حتى بلغت الاصوات الانتخابية التي حصل عليها هو وحزبه في انتخابات عام ١٩٢٨ عدد ٨٠٩ آلاف صوت ، ولكنه كان مازال



بعيدا عن الوصول الى مقاليد الحكم ، اما الاحزاب الشيوعية فقد حصلت على ما يقرب من ستة ملايين صوت ، ولما سادت الازمة المالية فى الصالح كله عام ١٩٣٠ ؛ بدأ سادة المانيا من الرأسماليين والعسكريين يدركون ان الازمة الاقتصادية التى لازمتها البطالة على أوسع صورة فى البلاد ستندى بالحركة الشيوعية وتمكنها من السيطرة نهائيا على المانيا ، ولم يجد هؤلاء جميعا من منقذ لهم سوى الحركة التى كان يترعها هتلر ، ومن اجل هذا فقد فُلم حلف نهائى بين الاحزاب الرأسمالية والاسواط الصناعية والطبقات المتوسطة وبين الحركة الوطنية الاشتراكية التى كان يقودها هتلر ، وكان هذا الحلف هو الاسس الذى استندت اليه تلك الحركة للوصول بهتلر الى مقاليد الحكم فيما بعد .



هذه نظرية سريعه الى ماحل بالمانيا من تطورات فى نهاية الحرب العالمية الاولى تلك التطورات التى هزت كيان الدولة وغيرت من اوضاعها السياسية . وجدير بالذكر ان الفلسفة التى نادى بها هتلر فيما بعد كانت قد بدأت ترسخ فى مخيلته منذ اللحظة التى بدأ يعمل فيها لاجلاء مجد المانيا ، منذ اللحظة التى جمع فيها هذا الهدف بين القائد الكبير لودندورف وبين الجاويش البسيط أودلف هتلر ، منذ اللحظة التى وقف فيها هتلر أمام المحكمة فى ميونيخ عندما حوكم عن محاولته الفاشلة والتى ذهب ضحية لها الكثيرون من القتل والجرحى . فقد وقف هتلر اذ ذاك يقول : انه يأبى أن يقف موقف العداء من جيش المانيا الوطنى ، لأن هذا الجيش هو جيش الشعب ، وانه سوف يأتى اليوم الذى يندمج فيه هذا الجيش بالشعب ويتحد فيه فئات الأمة المختلفة لتكون جيشا واحدا عظيما تحت علم الوطنية الاشتراكية .

ان الفترة التى قضاها هتلر فى السجن ، قد أتاحت له الفرصة للتفكير فيما انتهى اليه أمر المانيا ، وقد خلص من تفكيره الى نتيجة واضحة تتلخص فى قوله : اننى أشكر القدر الذى حرمنى الانتصار فى محاولتى الماضية للاستيلاء على الحكم ، تلك المحاولة التى فشلت ، لانى لسو نجحت فى

محاولتى تلك ، لكنت مضطرا الى الاعتماد على الطبقة البورجوازية بدلا من  
اعادة اقامة الرايخ الالماني من جديد وكما سنكتفى بتغيير لافته الاجتماعية .  
أعنى مجرد تغيير فى العناوين والمظاهر لا التغيير الجذرى الذى آمله .  
وبالرغم من هذا ... فان الاحداث قد اضطرت هتلر الى التعديل  
والتبديل فى نظريته وفى آرائه ليخرج فى نهاية الامر بتلك الفلسفة التى  
اعلنها فى كتابه « كفاحى » تلك الفلسفة التى رسم فيها مستقبل المانيا حسبما  
كان يتصوره ومن هذه الناحية تعتبر تلك المرحلة التى وقعت بين فشل  
هتلر فى محاولته الاولى للاستيلاء على السلطة ، وبين المرحلة التى وصل  
فيها الى السلطان والحكم ، مرحلة اعداد للثورة التى قام بها فيما بعد  
تلك الثورة التى كانت وليدة هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الاولى .

## الفضل السابع

### الثورة الإيطالية

« إيطاليا تواجه الأزمات قبل الحرب العالمية الأولى - فشل إيطاليا في تحقيق »  
« مطامعها الاستعمارية يدفعها إلى أحضان الحلف الثلاثي - إيطاليا تتحرك لندمير »  
« الحلف الثلاثي - نتائج الحملة الليبية - إيطاليا تتغلب على ألمانيا حليفتها - إيطاليا »  
« تساويم الحلفاء الغربيين وتدخل الحرب إلى جانبهم - النعم - تنكر الحلفاء لإيطاليا »  
« ثورة الشعب الإيطالي - دانونزو وموسوليني - أزمة مدينة فيومي - الحركة »  
« الفاشستية - موسوليني وأهداف الثورة - موسوليني والحركة اليسارية - موسوليني »  
« يلحظ على روما » .



حينما حققت إيطاليا استقلالها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؟ كان عليها ان تواجه حقيقة مرة ؟ وهي انها بلد برغم تحقيقه للوحدة الإقليمية والسياسية ، فقد كانت بلدا فقيرا يزدحم بالسكان ويهاجر منهم خارج إيطاليا نصف مليون سنويا ، فان عدد السكان ارتفع من ٢٥ مليونا عند تحقيق الوحدة الإيطالية الى مايقرب من ٣٨ مليونا عند وقوع الحرب العالمية الأولى .

كانت إيطاليا تحاول ان تنمي صناعيتها ، وتتوسع في زراعتها ، ولكن تبين لها على الرغم من جهودها ، أنها عاجزة عن تحقيق الكفاية الصناعية بل عاجزة عن توفير العمل والغذاء للفاقر من سكانها ، وكان من الطبيعي أن يعنى المسئولون في إيطاليا بذلك الوضع السياسي الذي كان قد قسم أوروبا على نفسها فجعل منها مصكرين ، الاول يضم فرنسا وبريطانيا وروسيا ، والآخر يضم ألمانيا والنمسا لثقتار لنفسها فيه مكانا ، فاختار ساسة إيطاليا لبلدهم المسكر الاخير الذي كان يمثل دول أوروبا الوسطى المتخلفة في ذلك السباق الدولي في ميدان السيطرة الاستعمارية واستغلال خيرات العالم

وموارده ، وكان ميل إيطاليا الى ألمانيا أشد منه الى النمسا ، وذلك لما كان متخلفا من آثار العداء التقليدى بين البلدين ، فالإيطاليون لم يكونوا قد نسوا للنموسيين قسوتهم وغنهم خلال الفترة التى احتلت فيها الجيوش النموسية بلادهم وأذافت الشعب الإيطالى الأمرين .

ومى هذا الصدد يقول المؤرخ الإيطالى فريرو Ferrero ان الإيطاليين كانوا ممجيين بألمانيا لتفوقها فى العلوم والصناعة ، فاتجه اليها اساتذة الجامعات ورجال الصناعة ، واتجهت اليها الأحزاب المحافظة ، والأحزاب الاشتراكية والأحرار ورجال الكنيسة والفلاسفة ورجال الفن ، ورأت إيطاليا فى ألمانيا مثلاً الأعلى ، لأن الأخيرة كانت الصورة المثلى للتطور والتقدم العلمى كما انها كانت قد نجحت الى حد بعيد فى تنمية وتدير ثروتها وتنمية تجارتها وتنظيم جيشها واسطولها وزيادتهما بصورة تسترعى اليها الانظار . وهكذا طبعت إيطاليا بالطابع الألمانى واصبح الإيطالى يرى فى ألمانيا القدوة التى يقتدى بها فى كل اتجاه ، والمثل الذى يحتذى به دائما ، وكانت إيطاليا تأمل ان تعينها ألمانيا على تحقيق مطالبها الإقليمية فى النمسا ذاتها خليفة ألمانيا - اذ ذاك - تلك المطالب التى شملت منطقة تريستا Trieste ومقاطعة الترتو Trento والساحل الشرقى لبحر الادرياتيک ، وكلها مناطق كانت إيطاليا ترى انها حيوية لها كدولة ، واتجهت إيطاليا الى ألمانيا لكى يتساندا مما فى مواجهة الاستعمار الفرنسى البريطانى فى افريقية وآسيا ، ولكى يشاركا فرنسا وبريطانيا الاستعماريين الأسلاب والمغانم ، فقد كان لإيطاليا مطامع خاصة فى تونس ومراكش وفى الحبشة فشلت فى تحقيقها ، فاضطرت مكرهة الى القناعة بما ارتضته لها فى هذا الشأن كل من فرنسا وبريطانيا ، مما لم يشبع مطامعها الاستعمارية ، وقد رأت السياسة البريطانية ان تستغل تحرك هذه المطامع فى نفسية إيطاليا استغلالا وان كان فى ظاهره يرمى الى اثباع النزعة الاستعمارية فى سياسة إيطاليا ، الا انه فى حقيقته يهدف الى تدمير الحلف الثلاثى القائم بين إيطاليا وألمانيا والنمسا ، وتحركت السياسة البريطانية لتعمل فى هذا الاتجاه ، فدفعت إيطاليا الى غزو ليبيا على الصورة التى شرحناها فى الجزء الثانى من مؤلفنا الذى عالجنا فيه

مرحلة عدوان الغرب ، ولقد نجحت بريطانيا فى خطتها ضد هذا الحلف الثلاثى ، وان كان نجاحها لم يصل الى حد تدمير الحلف نهائيا ، غير انه اصبح حلفا ضعيفا قد تصدع بنيانه .

لقد كان الغرض من الحملة الايطالية التى قادها السنيور جيولونى ضد ليبيا ارضاء كبرياء ايطاليا وتغذية الشعور بالعظمة فى الشعب والهيب حملته ، كما كان جانب من هذا الغرض يرمى الى تحقيق منفعة لاطاليا ولكنها كانت فى رأى الشعب الايطالى حملة فاشلة لم تحقق كسبا مهنيا او اقتصاديا او سياسيا ، وقد شن الرأى العام هجوما على سياسة الحكومة بالنسبة لغزو ليبيا ، وتولت الأحزاب الاشتراكية قيادة وزعامة الحملات ضد هذه السياسة ، وظهر - آثند - فوضوى يدعى « بيتو موسولنى » كان فى طليعة من شهوروا بحكومة « جيوفانى جيلوتى » وأمنوا فى نقد مسلكها ، وتدوا بحملتها على ليبيا .



نجحت بريطانيا فى اضعاف الحلف الثلاثى وزعزت ثقة الماتيا فى ايطاليا فلما اعلنت الحرب العالمية الأولى ودخلتها الماتيا والنمسا ، كان الحلف الذى يربط الدولتين بايطاليا يمين على هذه ان تخوض الحرب الى جانبها ولكن الدور الخطير الذى لعبته كل من بريطانيا وفرنسا للتأثير على المتاصر الموالية لهما فى ايطاليا ، كان من شأنه أن يجنب ايطاليا الدخول فى الحرب فى صف الماتيا ، والتزمت موقف الحياد ، وكانت حجة ايطاليا فى مسلكها هذا تنكر النمسا لمطالبها المشروعة فى بلاد كانت تعتبرها ايطاليا من صميم بلادها .

وعلى هذه الصورة تخلت ايطاليا عن حلفائها ، ولم يكن باقيا امام بريطانيا وفرنسا الا أن تعمل بعد ذلك على استدراج ايطاليا لسكى تنكر لحليفها الماتيا . وتقلب عدوا لها ، وتدخل الحرب مهنما ضدها ، ونجحت خطة الحلفاء فى هذا السيل ، فوقمت ايطاليا فى ٢٦ من ابريل سنة ١٩١٥ معاهدة لندن التى عقدت بين ايطاليا وفرنسا وبريطانيا ، وبموجب هذه المعاهدة السرية تمهدت ايطاليا بدخول الحرب فى جانب الدولتين مقابل

الاعتراف بضم أفليم الترتسو حتى مر « برنر » Bremer وهو جزء من منطقة التيرول التمسوى ، التي أصبحت حتى اليوم مصدر نزاع بين النمسا وإيطاليا ، كما اعترف الحلفاء لإيطاليا بحقها فى ضم ميناء تريستا والمنطقة المحيطة به ، وبحقها فى الاستيلاء على ساحل دالماسيا ومعظم الجزر الدالماسية وجزر الدودوكاتيز ؟ وقالوا والمناطق المجاورة لها وجزيرة سانزو وكذلك اباحت بريطانيا وفرنسا لإيطاليا فرض حمايتها على دولة « البانيا الجديدة » التى قامت اذ داك فى البلقان ؟ وسلمت لها بالحق فى تملك ولاية أضايا فى الأناضول كما ان اتفاقية سان جان دى مورين السرية التى وقعت فى ٢١ من ابريل سنة ١٩١٧ اضافت الى وجود الحلفاء السابقة لإيطاليا وعودا جديدة تمنحها جنوب غربى الاناضول بأسره .



لقد كانت هذه هى وعود بريطانيا وفرنسا لإيطاليا ، وقد بذلت هذه الوعود على حساب النمسا تارة ، وعلى حساب السودان أو على حساب الحبشة تارة أخرى ، ثم على حساب الدولة العثمانية .

ولما وقت الهدنة واتمعد مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ ، كانت إيطاليا تأمل ان تقاضى ثمن انضمامها لبريطانيا وفرنسا وتنكرها وغدرها لحليفيتها ألمانيا والنمسا ، فاذا بها تفاجأ من بريطانيا وفرنسا بالتكر والجحود ، اذ خذلتها الدولتان فى المؤتمر ولم توافقا على اغلب مطالبها الاقليمية فى النمسا على سواحل بحر الادرياتيک ولا سيما ميناء فيومى Fiume ومقاطعة دالماسيا ، مما أدى الى انسحاب الوفد الايطالى من مؤتمر الصلح فى ٢٣ من أبريل سنة ١٩١٩ ، وكان على رأس الوفد السينيور اورلاندو رئيس الوزراء .



عاد رئيس الوزراء الايطالى الى بلاده ليجد الشعب فى انتظار ثمن دخوله الحرب فى جانب فرنسا وبريطانيا ، ثمن ٦٥٤ الف قتيل و٤٠٠ ألف مشوه وملبون من الجرحى ، ثمن الخسائر والخراب الذى عم شمالي إيطاليا حيث دارت المعارك الحربية فى أوسع وأفظع صورها ، ومن بينها

معركة كابورتو التي منيت فيها ايطاليا بهزيمة منكرة ، وطالب الشعب الايطالى بنمويضه عن خسائره فى اسطوله البحرى وتبلغ ٩٠٠ ألف طن من مجموع الاسطول الذى كانت حمولته تبلغ مليون ونصف مليون من الاطنان ، وكانت الى جانب هذه الخسائر ، خسائر أخرى لم يغفلها الشعب هى مائة مليار ليرة تحملتها ايطاليا كدين وطنى .

وكان أمرا حتما أن تؤدي هذه العوامل جميعا الى تحول الشعب الايطالى عن مناصرته لبريطانيا وفرنسا وأن تجعله يقف منهما موقف العداء وهكذا أتاحت الظروف الملائمة للعناصر اليسارية لكى تعمل من أجل التنديد بشد الحلفاء وتكرهم لاطاليا ، فتحركت هذه العناصر ونشطت دعايتها ، واتسمت حركة الاضراب ، وتمكنت العناصر الشيوعية من السيطرة على مدن ومناطق بأسرها فى ايطاليا ، بل ان الأمر قد وصل الى حد أن أعلنت الجمهورية فى بعض المقاطعات الايطالية وعمت ايطاليا الفوضى فى جميع أرجائها ، فتحركت الكنيسة ، وأصدر البابا بنوا الخامس عشر أمرا للقس ستورزو فى ١٧ من يناير سنة ١٩١٩ بإنشاء حزب شعبى لمقاومة الحركة الشيوعية ، وتحرك فوضوى سابق واشتراكى كان يصدر جريدة فى ميلانو اسمها « بوبولوديتاليا » أى شعب ايطاليا ، واسمها « بنتو موسلينى » ، ذلك الصحفي الذى سبق أن اشترك فى الحملة على الحكومة لقيامها بغزو ليبيا ، وتحرك فى ذات الوقت الشاعر « دانتيو » الذى كان له أثر كبير فى تحويل عطف الجمهور فى ايطاليا لصلحة الحلفاء وضد ألمانيا ، تحرك هذا الشاعر أيضا ليعمل ضد الحلفاء ، فوجد « دانتيو » حيشا قوامه ثلاثة آلاف رجل ، وضم فيما ضم قداماء المحاربين وأصهار موسولينى واتجه بهذا الجيش الى مدينة فيومى التى رفض الحلفاء منحها لاطاليا فاحتلها وأعلن ضمها الى ايطاليا فى ١٨ من سبتمبر سنة ١٩١٩ . كان رئيس وزراء ايطاليا وقتئذ ويدعى نيتى nitti يصارع هذه الحركة فاعتبر « دانتيو » متردا وأرسلت الحكومة الايطالية قوات لاجلاء دانتيو عن « فيومى » فنشبت معركة بين الجانبين ، آثر « دانتيو » على أثرها الانسحاب حقنا لدماء الايطاليين وتجنبا لاشتعال نار الحرب

الأهلية على أوسع نطاق بين الحكومة والشعب ، ولكن هذه الحركة كان لها أثر بالغ في الرأي العام الايطالى فاستغلتها العناصر اليسارية لكسب أصار جدد ، مما دفع موسوليني الاشتراكي الى التحرك والعمل لحسابه والمناذرة بمبادئ تعصم ايطاليا من الفوضى التي كانت العناصر اليسارية تعمل من أجل أن تضرب أطنابها في البلاد في حين كانت العناصر الوطنية تدعو الى العمل لانقاذ ايطاليا ، وكان السنور « جيوفاني جليوني » ، الذي عاد وقتئذ الى رئاسة الحكومة يشهد تلك العناصر المتطرفة تلتهج في معادركها دون أن يتدخل أملا في أن ينتهي أمرها بنفور الأمة منها وباقبال الشعب على العناصر المعتدلة التي كانت تهدف الى تمسك ايطاليا بالسياسة التقليدية التي تربطها بفرنسا وبريطانيا على الرغم من موقف الدولتين من ايطاليا .

وأدرك موسوليني بناقب نظره ما يمكن أن يفيد منه في هذه الظروف فازداد انفصالا عن الطبقات اليسارية حتى أصبح في نظر الطبقة المتوسطة وأرباب الصناعات معقد أملمهم في استقرار الوضع بايطاليا ، ثم اتجه موسوليني الى الشاعر « دانزيو » ، أملا في الانتفاع بما للشاعر من شعبية فأغراه باعادة الكرة للاستيلاء على مدينة فيومي ؟ فقام دانزيو بهذه المحاولة من جديد في ١٢ من نوفمبر عام ١٩٢٠ ، وكان موسوليني وراء هذه المحاولة يشيد ويدعو لأهدافها ، في صحيفته ، ويجمع الاكتابات لتمويلها ولملها بالمؤن والذخائر ، ولكن كل هذه الجهود التي بذلت من أجل الاستيلاء على المدينة ذهبت هباء أمام اصرار الحكومة على تلبية رغبة فرنسا وبريطانيا في اخلاء فيومي مرة ثانية ، ممن استولوا عليها ، وتمكنت قسوات « جيوفاني جليوني » من طرد الشاعر ورجاله من المدينة مرة ثانية .



وعلى الرغم من أن هذه المحاولة كان لها أثرها الذي أدى الى المزيد من الفوضى ، الا أنها أفضت الى مزيد من النفوذ لموسوليني ولحركته الناشئة فلم يبعث عام واحد حتى أصبح لموسوليني قوة يعتد بها ، ففي ٧ نوفمبر عام ١٩٢١ عقد مؤتمرا في روما ضم ممثلي ألفين ومائتي شعبة لحركته وأعلن فيه أن عدد الأعضاء العاملين في حركته قد بلغ ثلثمائة وعشرة آلاف



عضو ، وكان لزاما على موسوليني وتشد أن يوضح موقفه وأهداف حركته؛ وفي هذا قال موسوليني : ان حركته ثورة على الفقر الشديد الذى كانت تعانيه الطبقة العاملة ، وثورة ضد الاضطهاد السياسى الذى كان يعانيه دعة الاصلاح فى ايطاليا ، وأنها كانت أمل أبناء ايطاليا الذين آمنوا بمستقبلها وحاربوا من أجل بلادهم ، أملهم بعد ان خاب أملهم فى حلفاء ايطاليا الدين خدعوا وغرروا بها واستدرجوها بوعودهم الى حرب خرجت منها بخسائر أكثر مما خرجت بنائهم .

ويستطرد موسوليني ليصف تطور التفكير الثورى فى أعماقه خلال حديث له مع المؤرخ الألماني أميل لودفيج Emil Ludwig فيقول : ان الجوع كان المدرسة الأولى التى تلقى فيها تعاليم الثورة وأنه عندما سجن والده بسبب ثورته من قبل على الظلم الاجتماعى ، أدرك هو ان الثورة لا بد لها من كفاح ونضال وتضحية ، وقال موسوليني انه أدرك - بحكم أن منته من صميم الشعب - أنه لا يحس بالمسئولية نحو الشعب ؛ الا ان شارك الأمة آلامها - وأنه قد شارك والديه آلامها وشارك الشعب آلامه ففتح فى أول الأمر اتجاهها يساريا فترك مهنة التدريس وأثر عليها العمل يديديه فى المصانع وبين الجماهير ، وفى سبيل رسالته هذه من أجل الشعب دخل السجن أربع مرات وتعلم كيف يدافع عن نفسه ، وكيف يهاجم خصومه وقال موسوليني : انه أدرك أن الساسة الذين عالجوا من قبله شئون بلاده كانوا أقزاما أمام ضخامة الأحداث ، فرأى أن يتصل بالرأى السامع عن طريق الصحافة فكان صحفيا عنيقا وثوريا ، ولما سأله اميل لودفيج فى أثناء حديثهما عن مدى تقديره للظروف ، وهل ماعاناه وما احتطه لنفسه من أسلوب وسلوك كان هدفا فى ذاته أو وسيلة أجاب قائلا : انى كنت أشعر فى قرارة نفسى بأنها كانت مرحلة تأهيل وتمهيد لأمر جسيم أقدم عليه فيما بعد ، وكان احساسى فى هذا الشأن واضحا تماما ، ويقول موسوليني انه أعجب بكتاب « الأمير » لماكيافيل ذلك الكتاب الذى كان والده يقرؤه على أبنائه يوميا ، وأنه أدرك ان لحياة الشعوب فصولا كفصول السنة ، فصولا تتجدد عبر التاريخ ، ولذلك فان الشتاء لا يفزعه لأنه يعلم أن ورامه

الربيع وفى الربيع له أمل ، وأنه يوحى من هذا الأمل أصدر جريدته سرية  
ليبيب فيها بالشباب الثورى أن يندفع لتحقيق ثورة اجتماعية وثورة  
سياسية وثورة وطنية . ويقول : ان الثورة فى تلك المرحلة كانت مجرد  
أمل ، وكان البون شاسعا بينها وبين الحقيقة ، وأنه أدرك ان الأمة الإيطالية  
على الرغم من مشاركتها للحلفاء فى النصر ، كانت تتجه الى الانحدار .  
كان موسوليني - على حد قوله - يدرك أن إيطاليا كانت فى طريقها الى  
فقدان كل ثمن للنصر الذى تحقق ، وأنه لهذا كان الشعب يتطلع الى ثورة  
تسهم بطابع العنف .

ويقول : ان اللبنة فى بناء هذا الشعب كانت ذلك الفرد المتغير المتبدل  
.. للفرد الخاضع لجميع الاحتمالات والظروف والمؤثرات : مؤثرات  
الأحياء ومؤثرات الموتى ، ومؤثرات الزوات .

ثم يستطرد فيقول : انه كان عليه ان يدخل هذا كله فى اعتباره  
عندما انتهت قراراته التى اتخذها يوحى من شعوره العميق الذى تملك  
نفسه ولم يستطع له تعللا ولا تفسيراً ، ذلك الشعور الذى جعله يدرك  
الخطر ، ذلك الشعور المقرون بالخيال وبالأمل ، ذلك الشعور الذى يعين  
عليه أيضا ألا يصطدم بالحقائق وألا يسرح وراء الخيال والآمال الا بالقدرة  
الذى يكفل له الأمن .

وقال موسوليني : ان الحكم لم يكن فى ذاته غاية له بل انه وسيلة  
لتحقيق أهداف ثورته التى كانت تعتمد أول ما تعتمد على الجهاد والكفاح  
وان لم يكتب لها النصر عندئذ ، تلك الثورة التى وصفها بقوله انها كانت  
رغبة فى أن يشترك الجميع فى قسوة الحياة وشظف العيش وآلامه ، تلك  
الحياة التى أراد أن يجعل منها رمزا تلتف حوله النفوس ويلقنه لابناء  
أمتة وهو حب الوطن وأراد أن يحول هذا الحب من عاطفة الى فضيلة  
تتأصل فى النفس ويزيدها الكفاح والجهاد على مر الزمن قوة وصلابة

وقال موسوليني انه يريد أن يدرّب الشعب على الاصرار وعلى  
مواصلة الاصرار ، لأنه مالم تتوافر فى الشعب هذه الصفة فانه لن يوفق فى  
تحقيق أى هدف من أهدافه . وأنه يريد أن يمزج الاصرار بالصبر

لتحقيق الأهداف ، لذلك فقد كان حريصا على أن يعلم أخصاره الاصرار والصبر فى تنفيذ خططه الثورية التى كان يصر على القيام بها ويمد لها فى صبر وأناة •

أما الثورة التى كان يعدلها فلم تكن ثورة سياسية أى مجرد تغيير فى نظام الحكم ؛ ولا ثورة سيوعية كالتى قامت فى روسيا ، ولكنه كان يمد لثورة عقائدية منبثقة من صميم احساس وشعور امته •

ويقول موسولنى : ان الفكر الاشتراكى فى ذاته كان ثورة على الأوضاع القائمة فحاربه الاقطاع ورأس المال ولكنه استهوى المحسارين القدماء واستهوى كل من خدع فى آماله ، لذلك فانه أسس ثورته على الفكر الاشتراكى لا على المبادئ اليسارية التى كانت العناصر المتطرفة تريد أن تطبقها نقلا عن روسيا •

كان موسولنى يهدف الى ثورة مبنية على عقيدة تتأصل فى النفوس وتؤمن بتغيير الأوضاع القائمة ، ثورة على الأحزاب لا مع الأحزاب ، ثورة بوجه ضد رأس المال المسيطر وضد الرجعية فى شتى صورها • كان موسولنى يهدف بثورته الى أن يجعل الحكم وسيلته لتطبيق مبادئه ، وقال فى هذا الشأن : انه كان عليه متى بدت دلائل قرب نهاية النظام القائم أن يركض ويمدو ليتلقى تركه ، لأن المبادئ التى آمن بها كفيلة باحياء مجدد بلاده •

ويقول : كنا نأثرين ضد السلام لأننا لم نؤمن بأن فى الامكان تحقيق السلام ولم نؤمن بجذوى وفائدة أى سلام دائم ، لأن الدعوة الى السلام متى صدرت من الشعوب المحرومة كانت هروبا وجنا أمام واجب التضحية والفداء ، والحرب وحدها هى الكفيلة برفع طاقات الشعوب الى أقصى الدرجات ، كما أنها تخلق فى الشعوب الاحساس بالكرامة والنبل ، وأنه ما من اختبار يطلو على ذلك الاختبار الذى يضع الانسان فى مواجهة نفسه ليختار الحياة أو الموت ، لأن الحرب وحدها هى الكفيلة بصيانة الحقوق تلك الحقوق التى لا تساوى شيئا اذا ماترك أمرها الى عواطف وأشعارات أو مصالح تتأثر بالهوى والأثرة والأنانية • وقال موسولنى : انه لهذا درب

أنصاره على أساليب الجهاد وعلى أساليب القتال ، درب أنصاره على أن ينظروا لحياتهم باعتبارها واجبا مقدسا يضمن تسخيرها لتحقيق أمجاد الوطن. وأن يعيشوا لا من أجل الحياة ذاتها ، بل من أجل إحياء مجد وذكرى الأسلاف ومستقبل الأبناء والأحفاد .

طالب أنصاره بأن يشاطروا البشرية عواطفها ومشاعرها كأعضاء في المجتمع الأوروبي المتحضر ، على أن تكون مشاركة حذرة تدقق في وجهه غيرها بحرص وحذر وتابع هذا الغير لتحقيق من انفعالاته وترصد تطوره مصالحه حتى لاتخدعهم المظاهر المتقلبة الكاذبة .

وطالب أنصاره بالأ يقفوا عند التفرقات المادية مهما بلغت أهمية الأحداث الاقتصادية لأن تاريخ البشرية يستند أيضا الى مبادئ ومشاعر ذات قدسية أساسها البطولة وحذرهم تلك الوعود التي تحويها المبادئ المادية والتي تبشر بعالم تسوده « السعادة » ألبا بتوافر عناصر اقتصادية معينة ، وكأن العالم وفقا لهذه النظرية سيحول البشرية الى مجرد حياة مادية .

حذر أنصاره من المبادئ الديمقراطية التقليدية التي تترك لأغلبية برلمانية القضاء في مصير الجماعة ومصالحها ، ونادى بنظام يحقق الأمانى القومية للأمة الإيطالية تلك الأمانى التي برزت وتطورت بحسبكم تاريخ الشعب الإيطالى وتقاليد وشعوره النفسانى العميق .

قال : ان حكم الشعب لمصلحة الشعب بطريق الانتخاب التقليدى ما هو الا خرافة لأنه نظام لا يحقق المساواة السياسية . دعا الى توجيه الاقتصاد وتسخير لمصلحة الأمة ولمصلحة المجتمع ، ونادى بأن تحكم الأمة على أساس المبادئ التى تعتبر خير ما فى النظم المختلفة ، لتكفل للأمة الحياة والبقاء ، وقال انه لا توجد أنظمة ثابتة مستقرة صالحة للبشرية فى كل مكان وفى كل زمان ، ونادى باقامة دولة قوية ترعى الحقوق والحريات وتذوب فيها الطبقات وتصبح العنوان الحقيقى للأمة ولا تكون مجرد حارس أو منظم للحقوق ، أو مجرد عنوان سياسى ، بل تكون واقعا منويا وأخلاقا.

يدعم الكيان والتنظيم السياسى والقانونى والاقتصادى للدولة ، بحيث تكون الدولة هى الأمانة على مصالح الأمة التى نلتقتها من الأجيال السابقة كوديعة تدافع عنها وتدعم وجودها فى الداخل وفى الخارج ، وبذلك لا يتمثل فى الدولة الحاضر فحسب ، بل يتمثل فيها أيضا ماضى الأمة ومستقبلها ، وتكون هى الضمير الحى للأمة ، وهى التى تتولى توعية الشعب ورفع شعوره القومى الى مستوى الرسالة وتزيل الفوارق بين الطبقات ، وتنسق بين المصالح وترعى غزوات الفكر فى ميادين العلوم والفن والحق وفى تفهم التضامن البشرى ، وترفع البشر من الحياة البدائية الى أرفع مستويات السلطة والوجود وتنقل عبر الأجيال سيرة من استشهد فى سبيل استقلالها ووحدة وسلامة أراضيها ، ومن أجل عزتها ورفعة شأنها وقال: ان الدولة وحدها هى التى تستطيع حسم الصراع والتنافس الذى خلفه النظام الرأسمالى وهى وحدها القادرة على حل الأزمات وتدارك نتائجها .

وعلى هذا نادى موسولينى بضرورة الايمان بمبدأ قيام دولة قوية منظمة تستند الى أوسع القواعد الشعبية ، دولة تسيطر على الميدان الاقتصادى عن طريق الأنظمة التى تحكم المهن المختلفة وتوجه السياسة التعليمية وتطور الأوضاع الاجتماعية وتباشر الدولة نشاطها واشرافها الى أقصى البلاد وتتغلغل فى أعماق الطبقات ، دولة تستند الى تأييد ملايين من أبناء الأمة يعترفون بفضل نظمها هذه ويحسون بها ويحرصون على بقائها ويتصدون لمن يعمل على حرمانهم من مكاسبهم فى ظلها ، دولة لاستند الى السيطرة والاستبداد ، بل تستند الى شعب تنظمه دون حجب على الحريات فيه ، حرية الشعب ضرورية لاشعاره بأدبيته ، دولة تحارب الحريات التى تفيد منها قلة وتحارب تلك الأوضاع التى تمكن قلة من استغلال المجموع تحت شعار المزيف للحريات .



وهكذا نادى موسولينى بقيام دولة فاشستية تكون تعبرا لارادة الشعب الايطالى وانعكاسا لمجده السالف وتمهيدا لسلطان ولسيطرة وعظمة مقبلة ولامبراطورية رومانية جديدة . ولقد زاد موسولينى دعوته إيضاحا فقال:

ان الامبراطورية ليست مجرد توسع فى الاراضى أو فى التجارة أو فى تحقيق المجد العسكرية ، بل هى أولا امبراطورية معنوية وأخلاقية ، امبراطورية تقود شعوبا وأمما أخرى دون أن تزيد رقعة أراضيها شبرا واحدا •

وقال موسولنى : انه اذا انعدمت تلك الحوافز التى تمد رمزا للحوية فان مآل الدولة الى التراجع والانهار •

\*\*\*

نادى موسولنى بمبادئه معلنا أنها السبيل الوحيد لحياء الأمة الايطالية بعد العديد من القرون التى عانت خلالها اهمال الدول لها وتخليها عنها ، بل عانت خلالها ذل الحكم الأجنبى ، وأعلن أنه ما من سبيل لتحقيق هذا الأمل وبناء تلك الدولة وتحويلها الى امبراطورية الا اذا آمنت الأمة الايطالية بالنظام وتنسيق الجهود ، واعتبرت ذلك أملا تؤمن بضرورة تحقيقه كواجب مفروض عليها يحتم عليها أولا وقبل كل شئ البذل والتضحية والكفاح من أجله ، واذا نجحت الأمة الايطالية فى ذلك كتب لها الوجود على صفحات التاريخ •

\*\*\*

تلك كانت أهداف موسولنى ، وقد أدرك أن عليه أن يسعى للسيطرة على نقابات العمال لتحل المبادئ التى كان ينادى بها محل مبادئ الحزب الشيوعى ، وأدرك أن عليه أن يكسب - فى ذات الوقت - تأييد الطبقة المتوسطة التى كانت تتطلع فى خوف ولهفة الى منقذ يحميها من الحركة الشيوعية التى بدأت تم البلاد وتشل مراقفها •

وهكذا شرع موسولنى يقدم للشعب الايطالى فلسفته الجديدة ودعوته الجديدة لتحقيق أمانيه ليحول دون وقوع تلك الفوضى التى بدأت تعم البلاد والتى كانت تستمد القدوة والتوجيه من روسيا السوفيتية ، وبدأت الحركة الشيوعية تجد فى موسولنى خصما قويا عنيدا يقدم للشعب الايطالى فلسفة جديدة ودعوة جديدة تحقق أمانيه وتحول دون وقوع

الفوضى • فكان من الطبيعي والأمر على هذه الصورة أن تتجه انظار البلاد الى موسوليني ، وطن موسوليني أن الوقت قد حان ليصل ، ولكنه صدم في أول محاولة قام بها في يونيو عام ١٩٢١ عندما تصدى لرجال حزبه خصومه في معارك سقطت في أولها خمسمائة من رجاله ، وبدأ الشعب الايطالى يشعر أن في دعوة موسوليني وفي حلفه مع « داتنزو » ؛ ما يرضى كبرياءه كشعب ، وما يبعث في نفسه الأمل ، فاتجهت الأنظار الى موسوليني ، وبدأ حزبه يتسع ، وانضمت اليه أفواج من العمال والمفكرين وعدد كبير من الطبقة المتوسطة ، ونجح موسوليني في كسب الرأى العام الايطالى الى جانبه ، ولكنه كان حريصا كل الحرص على اجتذاب الطبقة العاملة الى دعوته ، ولهذا فإن أوفر جهوده كانت مركزة في الأوساط العمالية ، وبدأت هذه الجهود تثمر فبلغ عدد العمال المنصرين له في عام ١٩٢٢ نصف مليون عامل . . . وعندئذ رأى موسوليني ؛ بعد أن اكتملت له أسباب القوة أن يوجه ضربه الى نظام الحكم القائم في إيطاليا .

ان موسوليني يعتبر في علم الثورة ، صاحب مدرسة ، فقد ابتكرها أسلوبا تفرد به ، لقد بدأ العمل من أجل الثورة ، بشخصه وباليداء الى أعلنها وكسب لها الأنصار والمؤيدين ، وحول اليه تأييد الرأى العام الايطالى ، وتجلت براعته في أنه نجح في ذلك كله دون أن يعرض نفسه لمخاطر شديدة أو هزة عنيفة تعصف بذلك البناء الذى كان موسوليني يضع لبناته الصغيرة في رفق وحذر ووسط الزوابع والأعاصير التى كانت تحتاج إيطاليا ؛ والتي كان ممكنا أن تدك هذا البناء قبل أن يقوى ويكتمل •

\*\*\*

وقد أحسن موسوليني اختيار أعوانه ، وأحسن اختيار وقت العمل وعرف كيف ينتظر حتى يشعر الشعب الايطالى بفراغ سياسى يعوزه من يملؤه ، فحينما دقت الساعة كان موسوليني رجلها . . بدأ موسوليني ثورته في ١٥ من مارس سنة ١٩٢٢ في مدينة « فيومى » حيث قام أنصاره

بالاستيلاء على مقاليد الحكم ؛ ثم امتدت الحركة الى التبرول الذى كانت  
إيطاليا قد ضمته لاراضيتها بعد سلبه من النمسا وأحل أنصار موسوليني  
أخوانهم الايطاليين محل الألمان فى مراكز الادارة بتلك المنطقة .

ولم يدرك الحزب الشيوعى وأنصاره براعة موسوليني فى تدبير  
الأحداث واستغلالها ، فأعلن هذا الحزب عن قيام حركة اضراب شاملة  
فى البلاد فى أول أغسطس عام ١٩٢٢ ، ولم تقم الحكومة اذ ذاك بأى  
عمل ايجابى لمقاومة هذه الحركة ، بل انه وضح للكافة عجزها عن مقاومتها  
وشرع العمال فى الاضراب وعمت الفوضى البلاد ، وكانت تلك هى اللحظة  
التي ينتظرها موسوليني فدبر حركة الزحف على روما ، وزحف أنصاره  
عليها ونجح الزحف ، وأكره الملك على استدعاء موسوليني لتشكيل حكومة  
جديدة .

وفى ٣٠ من أغسطس عام ١٩٢٢ وصل موسوليني الى روما ، دخلها  
بمبادئه ، وفرض نفسه بقوة أنصاره ، دخلها بقوة الثورة على الأوضاع التي  
كانت قائمة - اذ ذاك - ودانت له الأمور وألقيت اليه مقاليد الحكم فحكم  
إيطاليا على الصورة التي ستعرض لها بالقدر الذى يتصل بموقف الغرب  
من الشرق خلال المدة التي حكم فيها موسوليني .



## الفصل الثامن

### الولايات المتحدة الأمريكية

### والحرب العالمية الأولى

« موقف الشعوب من التغيرات السياسية التي ظهرت خلال الحرب - الثورة الأمريكية - واشنطن وجون آدمز - وليقة الاستقلال الأمريكي - الرئيس ولسن يعمل »  
« على تخفيف ويلات الحرب - رسالته الى الدول المتحاربة - رسالته الى الكونجرس »  
« في ٢٢ من يناير سنة ١٩١٧ - المبادئ التي نادى بها - نظرية الصلح بدون نصر - »  
« الرد الإلأى - الولايات المتحدة تقطع العلاقات السياسية مع ألمانيا - دخول الولايات المتحدة الحرب - خطاب ولسن في ١٦ من يوليو سنة ١٩١٧ - الجهود الحرسى »  
« الأمريكي - ولسن ومؤتمر الصلح - بريطانيا وفرنسا وإيطاليا تواجه الرئيس ولسن »  
« - الدول الغربية تعمل على إيجاد فراغ حول ولسن - الأسباب - موقف الرئيس »  
« ولسن - نصالح الكولونيل هاوس - ولسن ومساعدة الصلح - ولسن يواجه البرلمان »  
« الأمريكي ويواجه الشعب الأمريكي - ولسن وحلفاء الامس - خطاب للرئيس ولسن في »  
« ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩١٧ وعقبه عليه - ولسن الفيلسوف - نهاية ولسن » .



مادما قد استعرضنا الثورات التي قامت في أوروبا في نهاية الحرب العالمية الأولى واستعرضنا أوضاع وحالات الدول الأوروبية التي هزمت أو خرجت من الحرب مجروحة الكرامة ؟ فانه يتعين علينا أن نعطي صورة سريعة لمختلف التيارات السياسية الكبرى التي ظهرت بشكل واضح خلال تلك الحرب وأصبح لها كيان ودور رئيسى تلعبه في نهايتها ، وكانت هى بحكم شعائراتها التي ظهرت بها بمثابة منارات أو مراكز اشعاعات تطلعت اليها جميع الشعوب المغلوبة على أمرها التي وجدت فيها صدى لأمانها ، كما وجدت فيما أدلى به الساسة من التصريحات ، ومن عزمهم على تحويل تصريحاتهم الى أعمال وحقائق ، وجدت هذه الشعوب ومضات أمل قوية تلوح فى أفق حياتهم ، أمل قوى يساند انتفاضاتهم ضد الاستعمار ، ولكن

الى أى مدى تحقق هذا الأمل ؟ هل كان الساسة صادقين فيما أدلوا به من تصريحات ؟ هل تجاوزت هذه التيارات الفكرية والسياسية وأمانى الشعوب المهضومة الحق والأمم المغلوبة على أمرها كما كانت تأمل هذه الشعوب وتلك الأمم ؟

ليبدأ حديثنا فى هذا الشأن بالولايات المتحدة الأمريكية ولادة الثورة ووليدة انتفاضة كبرى قام بها شعب جمعه تصميم أكيد ووجد بين أبنائه العزم الأكيد للتخلص من التسلط الاستعماري من أجل الحرية والعدل والمساواة ، انتفاضة كبرى قام بها ضد انجلترا أقوى الدول الاستعمارية آنذ ، فقد قاوم الشعب الأمريكى تلك القوانين الجائرة التى فرضها عليه البرلمان الانكليزى فى ابريل سنة ١٧٧٤ والتى عرفت بالقوانين الخمسة الجائرة التى صدرت اثر الحوادث المعادية لانجلترا التى وقعت فى بوسطن ، وظهر فى امريكا وقتئذ نوار وقادة ، والتاريخ الأمريكى سجل لأشغال « جون آدمز » و « جورج واشنطن » وغيرهما من مواقف البطولة ما يقنى عن كل تعليق ، ومضت امريكا فى صراعها ضد الاستعمار البريطانى الى أن كتب لها النصر وحصلت على استقلالها ، وقد تضمنت وثيقة استقلال امريكا الاعتراف بالحرية والمساواة والاخوة والمساواة بين الكافة ، تلك المبادئ التى نادى بها من قبل الفلاسفة ودعت اليها رسالات الأنبياء والرسول .

وإذا كنا قد قدمنا فى هذا الباب بتلك الأسطر القليلة عن ثورة الولايات المتحدة ، فاتنا أردنا بذلك أن نشير الى أن هذه الدولة الكبرى إنما كانت ولادة ثورة على ظلم ، ثورة شعب ذاق مرارة الاستعمار واكتوى بناره ، ومن ثم فقد كان حريا بهذا الشعب وقادته ، وحرى بهذه الدولة أن تقدر تماما ، وتشعر بما كانت تعانيه الشعوب المغلوبة على أمرها والأمم التى جثم على صدرها كابوس الاستعمار الترى . كان جديرا بشعب الولايات المتحدة الأمريكية وبقادته ان يستعيدوا ذكريات آلامهم وقسوة استعمارهم قبل ثورتهم من صرخات الشعوب التى تعاني هذه الآلام .

\*\*\*

أعلنت الحرب العالمية الأولى في أثنائه أن كان الرئيس توماس. وودر ويلسن Thomas Woodrow Wilson استنذ القناتون يرأس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان يرقب أحداث هذه الحرب وتطوراتها ، ويعمل جاهدا على انتهائها ، بل كان يعمل على فرض السلام متى تهيأت له الوسائل لن يقدم الرئيس ولسن على اتخاذ مواقف إيجابية شديدة للحد من ويلات الحرب وتأثيرها في الدول المحايدة ولا سيما الحد من حرب الغواصات بالذات ، أكثر من حصوله على وعد من المانيا في عام ١٩١٦ للحد من هذا النوع من الحرب ، وكان الموقف السياسي يحتم آثنا على الرئيس ولسن التزام جانب الحذر والحرص لأن مدة رئاسته كانت تنتهي في ذلك العام ، ومن أجل هذا ، فقد قصر دعوته في عام ١٩١٦ على السلام ، ثم تقدم ولسن الى الانتخابات الامريكية عن الحزب الديمقراطي لتجديد رئاسته وكتب له الفوز على منافسه مرشح الحزب الجمهوري وأصبحت مقاليد الحكم بيد ولسن حيث امتدت رئاسته للجمهوريه لمدة أربع سنوات أخرى ، وأطمأن بذلك الى امكانياته والى حريته في مواجهة الموقف العالمي بمبادئه وفلسفته التي اعتنقها ونادى بها وكانت مبادئه وفلسفته ترمي الى أن تسود الاخوة ويعم السلام العالم بأسره .

وعلى هذا الاساس شرع في اتخاذ الخطوات الايجابية لفرض السلام في العالم كله ، فوجه في ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٦ رسالة الى الدول المتحاربة دعاها فيها الى السلام ؛ وكانت دعوته في هذه الرسالة باسم الدول المحايدة التي كانت مصالحها تتعرض لخطر الحرب على الرغم من كونها لم تتورط فيها . وقد ردت الدول المتحاربة على رسالة ولسن وفقا لمطلق كل منها ولأسلوبها السياسي ، وكان أسلم هذه الردود وأقربها الى دعوة ولسن من حيث الشكل رسالتى فرنسا وبريطانيا ، وعاد الرئيس ولسن في ٨ من يناير سنة ١٩١٧ وبعث الى الدول المتحاربة رسالة أخرى ضمنها النقاط الأربع عشرة لتحقيق السلام في العالم ، ثم عاد فوجه رسالة الى الكونجرس الأمريكي في ٢٢ من يناير سنة ١٩١٧ ، تلك الرسالة التي اشتهرت وتقتد بدعوة « الصلح بدون نصر » والتي كانت صـورة من

اتكاسات وانفعالات واطلباعات الرئيس ولسن ، ذلك السياسى الذى دون تاريخ الأمة الامريكية ، وسجل ما مرت به من تطورات خلال مراحل كفاحها ، وأرض فى شرح ثوره هذا الشعب وموقف امريكا من الاستعمار البريطانى ، ذلك السياسى الذى رأى أن القدر اذ مكته من رئاسة الولايات المتحدة ، فانما هيا له الفرصة ليحول العالم المتخاصم الى عالم أفضل ، فأفرغ فى رسالته هذه كل ما كان يجيش فى نفسه من مبادئ وأحاسيس ، أعلن فيها ان الاتفاقيات التى تعقد بين الدول المتحاربة لا يمكن أن نحقق السلام وأن العالم فى حاجة الى هيئة عليا تتمتع بالقسوة التى تمكنها من فرض السلام فرضاً ، تتمتع بقوة دونها سائر قوى الدول المتحاربة اذ ذاك ، بل تتمتع بقوة لا يمكن أن يتمتع بها أى حلف من الدول يمكن أن يتألف ضد هذه الهيئة المرجوة ، وقال فى رسالته : ان قوة الهيئة التى يدعو الى قيامها يجب أن يتكفل بتوفيرها المجتمعات الاسانية حتى يصبح السلام سلاما دائما وحقيقة واقعة .

وقالت رسالته : انه لكى يسود السلام العالم يتعين ان تنتهى الحرب دون ان تحرز أية دولة من الدول المتحاربة النصر ، أى أن يتحقق السلام بغير انتصار ، وهى ولسن رأيه هذا فقال : ان معنى النصر فى الحرب هو فرض شروط الصلح على الجانب المهزوم ، شروط الغالب على المفلوب ، وهى شروط يقبلها المهزوم مكرها وفى خضوع ومع تضحيات من جانبه ترهقه ، وذلك هو صلح يترك جرحا لا يلتئم ويخلف مرارة وكرهية فى النفوس ، وذكرى أليمة لا تمحى ، مع أن الصلح فى حقيقته يعرض ولا يفرض ، والصلح الدائم السليم هو الذى ينقذ بين طرفين متكاثرين متساويين فى الخير الذى يعود على الجميع وتسوى به المشكلات الاقليمية والجنسية والوطنية على أساس من العدالة ، فالمساواة التى يقوم عليها السلام يجب أن تكون مساواة فى الحقوق لكى تبقى وتدوم ، والضمانات التى يحتاج بها لأنفسهم المتصالحون يجب ألا تكون سبيلا للتفرقة بين الشعوب كبرها وصغيرها ، قويا وضعيفا . وقال : ان السلام لن يقوم الا على الحق الاجتماعى ، لا على القوة الفردية لأية دولة من الدول ، وان

العالم يتطلع الى حياة حرة كريمه لا تستند الى السياسة التي تقوم على توازن القوى بين الدول ، والسلام لن يسود العالم ما لم يترك العالم لكل شعب الحق في اختيار نوع الحكم الذي يرضاه والحكومة التي تحكمه ، وبأنه لا توجد أية سلطة تسمح بنقل الشعوب من يد حاكم الى يد حاكم آخر ، كما لو كانت الشعوب سلعة متداولة . وطالب ولسن بحرية الشعوب وباستقلالها وبتطويرها اجتماعيا وصناعيا في حرية تامة ، وبه الى ما يمكن وراء تجاهل عواطف الشعوب واغفالها من الخطر ، ثم استطرد ولسن يمرض آراءه وبرنامجه في رسالته ، فدعا الى الاعتراف بحق الشعوب جميعا في تقرير مصيرها بنفسها ، ودون ان تقام أمامها في هذا السبيل عقبات أو يوجه اليها تهديد أو ارهاب ، كما دعا الى افصاح السبيل أمام الأمم الصغيرة لتسير مع الأمم القوية والعظيمة ؛ جنبا الى جنب .

لقد كانت رسالة ولسن هذه عرضا شاملا للمبادئ الأربعة عشر التي جعلها دستوراً لسياسته الخارجية ، ودستورا للصلح الذي كان اذ ذاك ينوي عقده أو فرضه على الدول المتحاربة ، وانبثقت منه هذه الرسالة كمحاولة لتحديد موقفه من الحرب على أساس مثالي وفلسفي .



وفي ٣١ من يناير عام ١٩١٧ تلقى ولسن رسالة من الحكومة الألمانية تقول فيها : انها على الرغم من حرصها على تحقيق السلام الذي يدعو اليه ، واستعدادها لاستجابة رغبة ولسن في هذا الصدد ، الا انها أمام اصرار بريطانيا وفرنسا على مواصلة الحرب الى النهاية ، وحيال ما تستخدمه الدولتان من جميع الوسائل لقمعها ، فانها لهذه الأسباب لا تستطيع أن تتحمل عبء الامتناع والكف عن استخدام أية وسيلة من وسائل الحرب تمكنها من انهاءها على أسرع وجه . وقالت رسالة الحكومة الألمانية : انها كانت تعتمد على الرئيس الاميركي لتحقيق السلام وانهاء الحرب ولكنه لما لم تنجح مساعيه من أجل هذه النهاية ، فانها تجد نفسها مضطرة - خدمة للإنسانية الى العمل على سرعة إنهاء الحرب واستعمال كل الوسائل الكفيلة لتحقيق هذا الغرض ، وان ألمانيا لهذه الأسباب لتعلن

بأنها غير مقيدة بالتعهدات التي سبق لها الارتباط بها بالنسبة للحكومة الأمريكية في شأن عدم اللجوء الى حرب الفواصات . وفي ختام الرسالة أبدت الحكومة الألمانية أملها في تقدير الرئيس ولسن لموقفها وللضرورة التي حتمت عليها هذا الموقف . وكانت هذه الرسالة سقطة من المانيا سقطة عسكرية وسياسية ، اذ انه بمجرد ان قرأها ولسن بادر بدعوة مجلس البرلمان في ٣ من فبراير سنة ١٩١٧ ثم بدعوة أعضاء المحكمة العليا في ذات اليوم وأعلن ولسن الهيتين بتكر المانيا لمواقفها ولتعهداتها للولايات المتحدة ، وقرر قطع العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا ، وكانت هذه بداية لاتجاه الولايات المتحدة في طريق الحرب . وقد أعلن الرئيس الأمريكي أنه في حالة تعرض البواخر الأمريكية وأرواح الأمريكيين للتهديد والاعتداء الذي يعتبر خرقا للقوانين واهدارا للحقوق المعترف بها لسائر البشر ، فانه سيعود الى الكونجرس الأمريكي ليطالب اليه ان يأذن له باستخدام الوسائل التي تحمي أرواح أبناء أمريكا وبحارتها في أثناء تنقلهم عبر البحار . وهكذا بدأت مرحلة من التحدي بين الرئيس ولسن والمانيا وقد أوضح ولسن هذا التحدي في الكونجرس في السابع من مارس سنة ١٩١٧ فقال : انني لأتوسل الى الله ان يمنحني الحكمة والحذر لكي أؤدي واجبي بما يتفق ومصلحة هذا الشعب العظيم الذي أنا خادمه والذي لا أستطيع أن أنجح ما لم أحظ بتأييده وثقته ، وما لم يرشدني بنصحه .

وفي هذه الكلمة التي ألقاها ولسن في الكونجرس طالب الشعب الأمريكي بالانحد وحذره العناصر المخربة .

وفي ٢ من ابريل سنة ١٩١٧ دعا الرئيس ولسن الكونجرس الى الاجتماع في دورة استثنائية وطلب التصريح بدخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب بجانب الحلفاء واستند في طلبه هذا الى استحالة الحاد المسلح ، كما اقترح على الكونجرس أن يبادر فيعلن أن الأساليب التي لجأت اليها المانيا ، هي بمثابة حرب ضد شعب وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية. ودعا ولسن الكونجرس الى اعلان قبوله الحرب التي فرضت عليه والى اتخاذ الاجراءات العاجلة التي من شأنها ان تصبح البلاد في حالة دفاع.

تماما والتي يتسنى بها تطوير قوة البلاد وتسخير مواردها لكي توقف  
الحكومة الألمانية عند حد وتنتهي الحرب •

أعلن الرئيس ولسن خطته وهدفه في الدخول في الحرب • وفي  
السادس من يوليو سنة ١٩١٧ زاد موقفه تحديدا في خطاب ألقاه على  
الشعب الأمريكي قال فيه • انه على استعداد تام لأن يدعو الآلاف بل مئات  
الآلاف بل الملايين من أبناء أمريكا ومن شباب أمريكا ذوى السواعد القوية  
لكى يواجهوا الموت دفاعا عن العلم الأمريكي • وان هذا الشباب سيذهب  
عبر البحار لينزل دمه في سبيل غاية لم يألّفها • في سبيل ما لم يسبق  
له التفكير فيه • في سبيل السلام • من أجل انقاذ البشر وتحقيق السلام  
بين الأمم • وانه على استعداد للدفاع عنه وتبرير دفاعنا أمام محكمة التاريخ  
انه هدف سيضيف الى علمنا مجدا سندفع ثمنه من أموالنا وحياتنا ومن  
دماء أبنائنا • ومتى انتصرت عقيدتنا التي نشأنا عليها فسنعكس مجدها على  
سعيها بأسره • والويل لمن يقف في طريق هذه العقيدة • ولقد نجح الرئيس  
الأمريكي ولسن في حمل أمته على الدخول في الحرب • وتجلت زعامته على  
الولايات المتحدة وعلى الشعب الأمريكي تلك الزعامة التي فرضها على مجلس  
الكونجرس الذي نازع الرئيس ولسن السلطات التي طلبها لنفسه ليتولى  
قيادة الحرب • تلك الزعامة التي فرضها ولسن فيما بعد على حلفائه وعلى  
أعدائهم عند الانتصار •



ولقد أخذ المعلقون السياسيون على ولسن ما وصفوه بأنه تخبط في  
سياسته هذه بين السلام والحرب • وقالوا ان هذا التخبط كان من شأنه  
أن جعل الأمريكي العادى لا يدرك لماذا دخلت أمريكا الحرب • وعزوا  
السّر في دخوله الحرب الى ما كانت تعانيه أمريكا من متاعب نتيجة لقطع  
مواصلاتها بأوروبا بفعل حرب الفواصات التي شنتها ألمانيا على السفن عبر  
الاطلنطى • واتهموه كذلك باضحاامه أمريكا في الحرب لا بسبب غير خوفه  
من انتصار ألمانيا على الحليقتين الغربيتين : بريطانيا وفرنسا ومخاوفه من  
تمكن ألمانيا من بسط سلطاتها ونوسيع نفوذها بحيث ينتهى هذا الى تهديد

الولايات المتحدة الامريكية ذاتها . غير أنه على الرغم من هذا النقد الذى وجه الي الرئيس ولسن ، وبنض النظر عن هذه الاتهامات ، فإن الذى أثبتته الواقع الظاهر ، هو أن ولسن التزم مبادئه تلك ولم يتحلل عنها حتى نهاية الحرب وعقد مؤتمر الصلح .



دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب وأدت فى غمارها ضريبة الدم ، ويكفى لكى ندرك فداحة العبء الذى تحملته الولايات المتحدة فى هذه الحرب أن نعلم بأن القوات الامريكية المحاربة كان عددها فى مارس سنة ١٩١٧ مائتى ألف جندي فوصل هذا العدد خلال الثمانية عشر شهرا التالية أربعة ملايين وثمانمائة ألف رجل ، من بينهم مليونان و ٨٦ ألف جندي يقاتلون داخل الأراضى الفرنسية وحدها كما كان بين هذا العدد مليون وثلثمائة وسبعين الف جندي امريكى فى خطوط القتال ؛ وان التبعة فى امريكا شملت أربعة وعشرين مليونا من الرجال ونقلت امريكا الى فرنسا خلال هذه الفترة سبعة ملايين وخمسمائة ألف طن من البضائع والأسلحة والمهمات ، وقتل من الجنود الامريكيين خمسون ألفا فى المعارك الحربية وحدها وجرح وشوه مائتان وستة آلاف ؛ وبلغت خسائر الجيش الامريكى فى فرنسا وحدها مائة وخمسة عشر ألفا من الموتى ؛ ولكى ندرك أيضا فداحة العبء العسكري الذى تحملته امريكا - نقول ان الجيش الامريكى وحده ، فقد فى معركة «الارجون» مائة وعشرين ألف جندي بين قتل وجريح . فالحرب العالمية الأولى كلفت الولايات المتحدة الامريكية خلال الفترة القصيرة التى خاضتها اثنين وعشرين مليارا من الدولارات ، علاوة على القروض التى أمدت بها فرنسا وبريطانيا وحلفاؤها ؛ وبلغ قدرها عشرة مليارات من الدولارات ؛ كما أنها أقرضت فرنسا وحدها فيما بين ابريل عام ١٩١٧ ونوفمبر عام ١٩١٨ ثلاثة عشر مليارا من الفرنسكات الذهب ؛ وأمدتها بخمسة ملايين طن من المواد الغذائية ؛ وبما زنته خمسة ملايين طن من المعدات مضافا الى ما زنته مليون ونصف مليون طن من الصلب .



ولقد وصف اندريه تاردييه Andre Tardieu الوزير الفرنسى هذه المونة فقال : ان امريكا تكلفت بتقديم الغذاء لاثنى عشر مليوناً من الشعب الفرنسى .



وفد كان طبعيا أن تنتظر امريكا الى أن يتم تسليم المانيا استجابة لشروط الرئيس ولسن ، وتعلن ايمانها بالمبادئ التى نادى بها الرئيس الأمريكى ، ثم بعد هذا تعلن الهدنة وينعقد مؤتمر الصلح ، لكى تبين حقيقة موقف بريطانيا وفرنسا وإيطاليا منها .

وانعقد مؤتمر الصلح واشتركت فيه الدول المتحالفة ودعى اليها مندوبون عن المانيا وحضره الرئيس ولسن تحفه دعوته الى السلام وتحيط به حالة من تلك المبادئ التى أعلنها ونادى بها وقطع على نفسه عهداً أمام العالم باحترامها . حضر الرئيس ولسن مؤتمر الصلح كصاحب دعوة ، وحامل رسالة وحضرت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا المؤتمر مثقلة بما بذلته من تصريحات ووعدود ، مثقلة بالوائيق الخفية والمعاهدات السرية التى عقدت بينها لاقسام تركة أعدائهم المتهورين المهزومين .



وكان الرئيس ولسن يأمل بحكم المبادئ التى أعلنها والرسالة التى حملها أن يجلس على مقعد القاضى فى المؤتمر ليكون الحكم بين المتصرين والمهزومين وليجبر الفريقين على احترام المبادئ التى أعلنها ؛ غير أن هذا الأمل لم يكن الا سرايا ، وفوجيء ولسن بتكر حليفته لما كان يهدف اليه فى مؤتمر الصلح ، فوجيء بمقعد عادى وتبين أن المطلوب منه هو أن يجلس على مائدة الصلح باعتباره واحداً من أفراد الفريق المتصر فى الحرب ، ثم لا شئ أكثر من هذا . فلا دور ولا رسالة ولا مثل ولا امامة له ولا قيادة ، فقد انتهت امامته وقيادته بانتهاء الحرب وانتصار الحلفاء فيها ، وبهت الرئيس ولسن وأحصى حرج الموقف ودقته ، وأدرك - تماماً - أن الدول الغربية بعد أن استماتت برجال امريكا وبمعداتها وأموالها لتحقق لنفسها الانتصار ، قد أحدثت حول الولايات المتحدة الأمريكية

فراغا واسعا عزلتها فيه بحيث لم تعد لها الكلمة ، أية كلمة في المصير التي كانت تنتظره وترقبه لنفسها كل الشعوب التي خرجت من الحرب مهزومة ، أو الشعوب التي سيطر عليها الاستعمار .



فقد تركت بريطانيا وفرنسا الرئيس ولسن يدلي بتصريحاته ووعدوه وعهوده وترهصتا له حتى انتهت الحرب بهزيمة ألمانيا ؛ وحتى انعقد مؤتمر الصلح ، وعلى باب المؤتمر وأدت الدولتان تصريحات ولسن وعهوده ووعدوه ؛ ودفنت رسالته الاسانية .. وأدرك ولسن أن الدولتين الغربيتين نعمتان في العمل على توسيع الفراغ الذي أحدثته حولته لأنه أراد أن يطبق مبادئه التي نادى بها في اساء الحرب نطيفا عمليا رأت فيه كل من بريطانيا وفرنسا محاولة من امريكا لتثبيت قدمها في آسيا وافريقية ومنافستها في هذه المناطق ، بل ومن أجل انتزاع السلطان منهما فيها . وتنفيذا لخطة خلق الفراغ حول امريكا قاطعت الدولتان الغربيتان اللجنة الدولية التي شكلها مؤتمر الصلح للتعرف على رغبات الأمة العربية في فلسطين وفي سورية والأردن ، واصطدمت امريكا بالسياسة البريطانية الفرنسية في تركيا حينما بدا أن الولايات المتحدة الامريكية تتجه سياستها الى الإبقاء على الدولة العثمانية على شريطة أن تتولى الانتداب عليها دولة تعمل على تحقيق العدالة والمساواة بين جميع رعايا هذه الدولة ، وخيل للدولتين ان امريكا اتما تهدف من ذلك الى حرمانها من تنفيذ ما سبق ان تأمرتا عليه في معاهدة « سان جان دي موريين » من اقتسام الشرق بينهما ، الشرق بما حوى من كنوز أهمها البترول .



ونجحت بريطانيا وفرنسا في إيجاد فراغ حول السياسة الامريكية في أوروبا وفي الشرق ؛ وأصبح الرئيس ولسن في موقف بالغ الدقة والخرج ، فهل يتخلل عن المبادئ التي أعلنها والتي عاهد الشعب الامريكي على تحويلها الى حقيقة واقعة ونافذة ، والتي في سبيلها بذلت امريكا ما بذلت من دماء أبنائها ومن أموالها ؟ أو يتمسك بذلك كله ؟

لقد كان على الرئيس ولسن أن يوازن بين تنفيذ هذا العهد الذي  
قطعه على نفسه لأتمه لتنفيذ مبادئه ، وبين مساندة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا  
في مطالبها التوسعية الاستعمارية على حساب هذه المبادئ ، ولم  
يكن أمام ولسن في مؤتمر الصلح إلا أن يختار أحد السيلين ، فاما أن  
يتسكك في مؤتمر الصلح بمبادئه ؛ ومعنى هذا أن يصطدم بحلفائه صداما  
ينتهى بمودته الى بلاده يجر أذيال الفشل ، ومعناه أيضا أن يتبدد ذلك الحلم  
الذي دأبه وهو انشاء عصبة تضم أمم العالم وتهيمن على شؤنه وتفصل  
في مختلف قضاياها وتحقق فيها المساواة بين جميع الشعوب صغيرها وكبيرها  
واما أن يجارى في المؤتمر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا بض المجازاة في سيل  
سحق ذلك الحلم الكبير بل تحقيق أمله الوحيد ليتوج به حياته السياسية .

ولعل الرئيس ولسن في موقفه هذا قد تذكر نصيحة مستشاره  
الكولونيل هاوس الذي كان قد أشار عليه بتجنب الاشتراك بشخصه في  
مؤتمر الصلح حتى يظل بعيدا ويبقى سيدا للموقف دون أن يعرض نفسه  
لمواقف يقع له فيها من الحرج ما وقع فعلا . وعلى أية حال فإنه لم يكن  
يوسع ولسن أن يراجع أو ينسحب ، وأدركت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا  
ما وقع فيه الرئيس الأمريكي من حيرة وتردد فعملت على استغلال الموقف  
الى أبعد الحدود ، وانتهى الامر بتوقيع معاهدة الصلح على تلك الصورة التي  
أشرنا اليها ، تلك الصورة التي كانت تنكرا ساخرا لحقوق الشعوب والتي أحنقت  
الدول المهزومة والدول المغلوبة على أمرها ، كما أفضت الحلفاء المتصرين  
فيما بينهم ، وعلى المضض والتألم رضى الرئيس ولسن بما انتهى اليه  
المؤتمر من نتائج ، لأن احداها كانت موافقة المؤتمر على ميثاق عصبة الأمم  
.... حلمه .... وأمله من أجل السلام ....



لقد كان لسلوك الرئيس ولسن وموقفه في تلك المرحلة الحاسمة  
في تاريخ العالم ، أثر عكسي يرجع الى المبادئ التي كان ينادى بها ،  
وفي هذا قال الرئيس الأمريكي « تيودور » روزفلت ان الرئيس ولسن  
لا يتصل بالاهلية التي تجعله يتحدث باسم الشعب الأمريكي ، وبدأ

الحزب الجمهورى يناوئ سياسة ولسن ويتناصبه الصداه ، وتلك كانت  
احدى النتائج التى انتهت اليها الرئيس ولسن وكان أسوأها أثرا فى نفسه.  
خذلان برلانه لمعاهدة الصلح التى أبرمها اذ رفض البرلمان التصديق عليها .



أما فرنسا وبريطانيا وإيطاليا حلفاء الأمس الذين اتصروا بفضل  
الدعوة التى نادى بها الرئيس ولسن والمبادئ التى أعلنها ، أما هؤلاء  
فانهم تنكروا فى النهاية للرئيس ولسن ، بل تنكروا للولايات المتحدة  
الامريكية ذاتها وهى التى خاضت معارك الحرب الى جانبهم وقت أن انهدات  
الجبهة الرومانية وانسحبت روسيا وهزمت إيطاليا فى أعنف وأشد المواقع  
الحربية ، وقت أن كانت فرنسا قد أصبحت عاجزة عن تجنيد المزيد من  
أبنائها ، فى حين كان الاسطول البريطانى قد هوت معظم قطعه الى قاع  
المحيط بفعل الغواصات الألمانية . لقد تنكر الحلفاء للولايات المتحدة  
بعد انتصارهم ، وهم الذين وقفوا أمامها فى أثناء الحرب وفى ظلام محبتهم  
يستجدونها ويتوسلون اليها من أجل أن تقف الى جانبهم وتأخذ بتأمرهم .

ان سياسة ومبادئ ولسن لم يخذلها حلفاء الأمس فى مؤتمر الصلح  
فحسب ، بل انها تعرضت للتجريح وللقند العنيف من جانب المساندة ،  
ومن جانب العناصر الاستعمارية فى الدول الغربية ، وأصبح ولسن هدفا  
تناولته الاتهامات المخرجة لموقفه الانسانى فى الحرب العالمية الأولى ، فقال  
منهموه ومهاجموه بأنه أراد أن يجعل من المبادئ التى نادى بها انجيلا  
جديدا يفرضه على الشعوب التى هزمت فى الحرب وعلى الشعوب التى  
شاركت فى النصر ، كما يفرضه على الاستعمار ونسبوا اليه الجهل بحقائق  
التاريخ وواقعه ، وتناصبوا دعوته الصداه الى حد أن الرئيس الفرنسى  
« بول باتليفيه » حذر الفرنسيين اياها باعتبار أنها تنادى بالأخوة والمحبة  
بين سائر البشر ، لأن هذا الاتجاه فى رأى باتليفيه يمحو من نفوس الشعب  
حبه للوطن ، ونموا على ولسن دعوته الى حرية الشعوب والى جمعها  
تحت لواء هيئة واحدة تنظم أمورها وتحكمها ، واعتبر الحلفاء أن هذا  
الاتجاه لا يعدو أن يكون ضربا من الوهم فى خيال رجل لا يفهم الواقع

وتدودوا بما كان قد ألقاه من الخطاب وركزوا تقديم في خطبة كان قد ألقاها ولسن في ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩١٨ بمسرح التروبوليتان أوبرا في نيويورك ، وقال فيها : انه لا يمكن السكوت أمام دولة أو مجموعة من الدول تعتمد على قوتها العسكرية لتقرير مصير الشعوب دون أن يكون لها حق تستند إليه في ذلك سوى قوتها المادية ؛ كما تسأل في تلك الخطبة عما اذا كان العالم سيتبرك للشعوب القوية الحق في الاضرار بالشعوب الضعيفة وفرض ارادتها عليها وتسخيرها وفقا لهواها ومصالحها ، وما اذا كانت ستوضع قواعد قانونية عامة تنظم علاقة الدول بعضها ببعض ، وتساوى جميع الشعوب أمام هذه القواعد .

والجدير بالذكر أن ولسن كان يدرك يوم أن ألقى هذا الخطاب أن خلفاءه لم يرتاحوا لما تضمنه من حقائق وبأنه قد خلق لنفسه بما قال فيه أعداء ، وقد صرح ولسن بهذا المعنى لأحد خلفائه عقب ان ألقى الخطاب ، فقال : ان الحلفاء لن يرحبوا بخطابي هذا لأنه تضمن الحقائق التي تفضي الطبقة الاستعمارية في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا غير أن المسالم لابد أن يدرك بأنه ليس للولايات الأمريكية محاسيب تستبينهم من تطبيق مبادئها .



واصفا للحق نقول : انه عندما كرر مستشارو ولسن الجاهلهم غلبه من أجل أن يتجنب الاشتراك بشخصه في مؤتمر الصلح والسفر إلى أوروبا ، صاح ولسن في مستشاريه قائلا : اني أستطيع أن أعمل وأنا في مكاني هنا بأمريكا ؛ غير أنني في هذه الحالة لن أتمكن من تحقيق المستحيلات التي تنتظرها الشعوب الأوروبية مني ، واني لأعلم - ناعما - بأنه ستحدث هناك « مؤامرات ( مقابل ) وسأكون أنا ضحيتها » وأعرف أنه لا مفر من ذلك كله ، ولكن على الرغم من هذا فالقضية التي آمنت بها أيمانا ملك على نفسي لتفرض على أن أواجه الموقف بنفسى وبشخصى ثم لا قيمة بعد ذلك لما سيقع لي .



لقد وصف كتاب الغرب وساسته موقف وتصرفات ولسن كما فهموها  
فقالوا : ان الرئيس ولسن أراد أن يحقق الخير للعالم ؛ فأساء الى نفسه  
وأساء الى العالم ، وكأنما يرى هؤلاء المسألة أن كل عمل يناهى الاستعمار  
ويناصر الحق والحرية ، إنما هو إساءة الى العالم .

ولا شك أنه كان لضف خيرة الرئيس ولسن بعمق الاساليب  
للاستعمارية دور مكن حلفاء الأسس من تدبير تلك الخطوة ( أو المقلب )  
التي تحدث عنها الرئيس ولسن والتي انتهت باستدراجه الى النزول على  
أرادتهم وبالإعتراف ببقاء الاستعمار الغربي ؛ بل وبتشديد قبضة الاستعمار  
وتعزيزه في البلاد التي كانت جزءا من الدولة العثمانية في الشرق العربي  
ويمكن الحلفاء من الاستيلاء على مستعمرات ألمانيا .

ولقد كان للخطط التي دبرتها فرنسا وبريطانيا وإيطاليا في المؤتمر  
أثر واتمكس واضحان على البرلمان الأمريكي الذي رفض التصديق على  
معاهدة الصلح .

وهكذا نجحت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في تحطيم كل ما شاده  
ولسن من آمال كانت الشعوب قد تطلعت بها ، فحضر ولسن بهذا  
الشعوب التي اجتذبتها مبادئه ، وخسر أيضا البرلمان الأمريكي ، وكان  
لهذه الصدمة السياسية في نفس ولسن أثر بارز ظل يلزمه حتى فارق  
الحياة ، وعادت الولايات المتحدة الأمريكية الى سياسة العزلة من جديد  
وعلى هذه الصورة تمكنت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا من فرض إرادتهما  
على الشعوب المملوكة على أمرها دون أن يكون لهذه الشعوب من وسيلة  
للخلاص الا الالتجاء الى الثورات .

## الفصل التاسع

### التيارات السياسية في بريطانيا

#### وفرنسا في نهاية الحرب العالمية الأولى

« الحركة الاشتراكية - رواد الحركة - الحركة الاشتراكية البريطانية - حزب »  
« العمال البريطاني والحرب - الحرب الهجومية والحرب الدفاعية - ماركسوند - »  
« حزب العمال البريطاني يؤيد الاستعمار ويؤيد الصهيونية العنصرية - حزب العمال يملن »  
« أن الحضي ماعطع فيه الدول العربية هو نظام الوصاية - الحزب يطالب بوضع السودان »  
« والبلاد الواقعة جنوبي مراكش ووسط افريقيا تحت الإدارة المشتركة للدول الغربية »  
« حزب العمال البريطاني يخلف الاستعمار البريطاني بفلاف أكثر دهاء وخطراً من »  
« الاستعمار المسافر الباطش - حقائق التيارات السياسية البريطانية كانت معروفة »  
« لتلكالة - عوامل اللومفي والارتباك والفساد تسيطر على فرنسا - اساع حركات »  
« الاضراب واقتصاب العمال - تكتل الاحزاب ضد الحركة الاشتراكية - تدهور الاقتصاد »  
« الفرنسي - الشعب الفرنسي يقدد لثته بنفسه - فرنسا وسياسة العنف في جميع »  
« مستعمراتها .. »



ان الاعتبارات التي أملت علينا استعراض وضع امريكا وموقفها في نهاية الحرب العالمية الأولى ، هي ذات الاعتبارات التي نمل علينا استعراض وضع بريطانيا وفرنسا في نهاية هذه الحرب والتحدث عن مختلف التيارات السياسية البارزة وقتئذ وعلى رأسها الحركة الاشتراكية وموقف زعماء تلك الحركة من الشرق العربي والاسلام في افريقية وفي آسيا ، ولهذا التحديد أهميته في تكييف تصرفات قادة وساسة الشرق العربي والاسلامي في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى وفي التعرف على مبلغ الوهم أو الصدق في تلك الآمال التي علقها قادة وساسة الشرق على تلك الحركات ، وهل كان في استطاعتهم أن يدركوا على ضوء الحقائق التي وضحت في أثناء الحرب وفي نهايتها مباشرة عن اتجاهات الحركة الاشتراكية في الدول الغربية ازاء الشرق ، ما كان يبرر التعلق بهذه

الآمال التي بعث التفاؤل في قلوب الساسة في الشرق ؟ وهل كان ماعمد الى التبشير به هؤلاء الساسة من آمال تبشيرا صادرا عن اقتناع به في نفوسهم ، سواء أكان اقتناعا خاطئا أم صحيحا اعتمادا على تلك الحركات الاشتراكية أم أن غايتهم من التبشير بهذه الآمال في الأمة العربية لم تكن تتصل بتحقيق أهداف هذه الأمة ، ولم تكن من أجل دفع الحركة الوطنية الى الأمام .



ان الذي يقفز في الذهن عند ذكر كلمة ( الاشتراكية ) اسم ماركس Marx وانجليز Engels في حين ان المبادئ التي نادت بها الاشتراكية قديمة ، فهي مبادئ تناولتها ونزلت بها الأديان السماوية ، كما نادى بها في مختلف بلاد العالم طائفة من المفكرين الذين تنزهوا عن الهوى ؟ غير أن الاشتراكية كحركة سياسية قد مهد لها أول ما مهد الفيلسوف الفرنسي « سان سمون » Saint Simon ، بما دونه في مؤلفه الذي نشر عام ١٨١٧ عن الصناعة « مناقشات سياسية وأخلاقية وفلسفية لصلحة الرجال الأحرار ولصلحة العمل المستقل » وكان « لسان سيمون » أتباع من بينهم جماعة « السانسينيين » الذين ساهموا في مشروع قناة السويس . مثل شارل فوريي Charles Fourier ، ولويس بلان Louis Blanc وبرودون Proudhon وكلهم من زعماء الفكرة الاشتراكية . . . وقد كانوا أول القائلين بأن رأس المال وملكية الصناعات الكبيرة ملكية من الأفضل أن تكون للدولة لا الى الأفراد ، واعتبروا أن الدولة هي التي يجب أن تتولى تمويل الشعب ورعاية الفقراء كما تحدثت عن التأمين ؟ ثم تطورت الحركة الاشتراكية ، وبدأت في فرض وجودها السياسي في ثورة فرنسا عام ١٨٤٨ ، تلك الثورة التي نجحت في تغيير النظام السياسي دون أن تنجح في تغيير النظام الاجتماعي والاقتصادي ؟ وقد ظلت هذه الحركة تتطور الى أن ظهر ماركس Marx وانجليز Engels فوجدت فيهما من يطور المبادئ الاشتراكية ويوجهها التوجيه الذي يتفق ووجهة نظره الخاصة ، ثم



طورها قادة الرأي من زعماء الفسك الاشتراكى فى فرنسا وتطور  
أيضا فى بريطانيا ، حيث قامت نقابات العمال واعترف بكيانها القانونى ،  
وهى نقابات لم تكن قد اتجهت بعد اتجاها اشتراكيا صريحا ، وظلت  
المبادئ الاشتراكية تتطور على الصورة التى تفصلها المراجع الخاصة  
بهذا الشأن والتى لا يسمح لنا المقام بالافاضة فى الحديث عنها ، فى هذا  
المؤلف ، تطورت هذه المبادئ فى المانيا وبريطانيا وفرنسا ، وكان طورها  
طبيعا ولم يكن ثوريا ، وكان أبرز من عمل على تطويرها فى بريطانيا  
جماعة تكونت اذ ذاك وعرفت بجماعة الـ « فيان » *Fabians* ،  
ثم جماعة أخرى عرفت بجماعة الاتحاد الاشتراكى الديمقراطى ، ثم بدأ  
حزب العمال البريطانى يظهر فى الوجود ، واشترك فى الدولية الثانية  
عام ١٩٠٧ ، وبدأت الحركة العمالية فى بريطانيا تحدد موقفها ازاء  
المبادئ الاشتراكية تحديدا واضحا عندما أقرت المبادئ التى انتهى اليها  
مؤتمر ستوتجارت ، وكان من أبرز تلك القرارات القرار الخاص  
بالسعى لمنع الحرب ، وأعلن حزب العمال البريطانى برنامجه ، فكان  
شيها بتلك البرامج التى أعلتها سائر الحركات الاشتراكية فى أوروبا .



ولما أعلنت الحرب العالمية الاولى ، لم يتجه حزب العمال البريطانى  
ذلك الاتجاه الذى اتجهته الحركات العمالية فى فرنسا لمعارضة الحرب  
صراحة ، بل ان حزب العمال البريطانى اتجه للسعى من أجل التخلص  
من المأزق الذى كان فيه ، فأعلن قاداته وجوب التفرقة بين الحرب الدفاعية  
التي يمين على اتباعها ، أن يخوضوها دون أن يكون ذلك اختلال بقرارات  
ومبادئ مؤتمر ستوتجارت أو الخروج عن برنامج الحزب وبين الحرب  
العدوانية التى « هى وحدها » يعارضها الحزب ولا يحق له الاشتراك  
فيها .

اعتبر حزب العمال أن الحرب العالمية الاولى حربا عدوانية من جانب  
المانيا وحلفائها ، وحربا دفاعية من جانب بريطانيا وحلفائها ووقف المستر  
رامزى ماكدونالد مستنكر الحرب ، وفى الوقت ذاته يبرر اشتراك بريطانيا

فيها ، ويدعو الى تأييد العمال لها ، وتأييد الحكومة القائمة وقتئذ كان موقفه غريبا ، موقف زعيم اشتراكي عمالي يستنكر الحرب ، ويستنكر الاسباب التي قامت بسببها ، ولكنه يؤيد اشتراك بلاده فيها ويبارك مضيها في خوضها .

كان حزب العمال البريطاني يقف هذا الموقف ، وكانت حكومة مستر أسكويث Asquith تحكم بريطانيا ، وهي من حزب الاحرار ، وكان من الطبيعي أن تسمى هذه الحكومة وقتئذ الى ضم حزب العمال اليها لتكفل تأييد الحركة العمالية بأسرها ، ونجحت الحكومة في مساعيها واشترك حزب العمال في الحكم بعدد معين من الاعضاء ، ولم يكن من بينه المستر رامزي ماكدونالد ، واستمر اشتراك حزب العمال في الوزارة التي خلفتها وزارة لويد جورج في ديسمبر عام ١٩١٦ .

ثم رأى حزب العمال أن عليه - وقد أصبح حزبا سياسيا مشتركا في الحكم - أن يحدد موقفه من المشاكل الكبرى ، فكان بجانب أهدافه في السياسة الداخلية حرصا كل الحرص على أن يوضح موقفه من المشاكل السياسية الكبرى وقتئذ ، فأعلن أول ما أعلن عطفه على اليهود حيثما وجدوا ، وعطفه على الدعوة الصهيونية وتجيده لانشاء دولة لليهود في فلسطين ، وعندما تعرض لوضع الدولة العثمانية والبلاد العربية الخاضعة لها ، قال حزب العمال الذي كان ينادى بالحرية ويقاوم الاستعمار ويمارضه : ان الدولة العثمانية والبلاد العربية غير جديرة بالتمتع بالاستقلال ، وان أقصى ما يمكن أن يكون لها أن تطمح اليه هو ألا تضم كمتلكات الى الدول الغربية على شريطة ألا تمتنع بالاستقلال ؛ وكفاه أن يكون لها كيان سياسي تحت اتدات واشراف ورعاية وتوجيه الدولة الغربية التي تشترك في تطويرها وفي تقدمها ورقيا . وكلنا يدرك مفهوم معنى الاشتراك في التطوير والتقدم ، ومما يبرز هذا المعنى وضوحا أن حزب العمال البريطاني الاشتراكي أعلن وجوب ضم البلاد التي تقع جنوب الحدود المصرية من ناحية ، وجنوب الحدود المراكشية من الناحية الثانية ، أي البلاد التي تضم السودان داخل حدوده التاريخية من البحر الاحمر والمحيط الهندي

الى المحيط الاطلسى وما يقع جنوبيه من اراضى ، وكان يقصد بذلك المستعمرات الالمانية . طالب بوضع هذه البلاد كلها تحت الادارة المشتركة للدول الغربية لتستثمرها وتستغلها لمصلحتها المشتركة مع اهل تلك البلاد التى يتعين على الدول الغربية أن تعمل على ترفيتهم وتوجيههم فى طريق الحضارة . ولم يضرف حزب العمال فى برنامجه بأن لصر أو لأى بلد عربى أو اسلامى الحق فى الاستقلال .

لقد وضع حزب العمال البريطانى موقفه من السودان ، وكان أول الداعين لفصل السودان عن مصر ، لأن النتيجة المنطقية لادخال السودان فى المنطقة التى حددها للاستقلال العربى المشترك فى فصل السودان عن مصر بل اخضاعه وجعله فى حكم المستعمرة ، ولقد زاد المستر رامزى ماكدونالد فيما بعد هذا الموقف ايضا وتحديدا ، كما سيدو فى تصريحاته فى هذا الصدد عندما تعرض اليها فى موضعها فى مؤلفنا هذا .



ان سياسة حزب العمال البريطانى كانت محددة ، وكان موقفه واضحا وضوحا تاما ، ولكن بالرغم من هذا ، فإن ساسة الشرق العربى عقدوا على هذا الحزب آمالهم دون أن يكون لهذه الآمال من الواقع ما يبررها أو يدعمها .

وكان للنهج الذى نهجته سياسة حزب العمال البريطانى خلال الحرب العالمية الاولى وفى الفترة التى تلتها ، أثر بالغ فى تكييف وتوجيه رأى العام البريطانى الذى بدلا من أن يجد نفسه أمام حزب اشتراكى يهدد بتصفية الامبراطورية البريطانية وجد أمامه حزبا ينادى بتحقيق العدالة الاجتماعية وتطبيق المبادئ الاشتراكية داخل بريطانيا والحرص فى الوقت ذاته على الامبراطورية البريطانية فى صورة متطورة داخل غلاف أكثر دهاء وأشد خطرا من الاستعمار الصكرى السافر ، وذلك التحول والتطور اللذين جدا فى رأى العام قد أفضيا الى وصول حزب العمال الى مقاعد الحكم فى عام ١٩٢٤ ، لا ليكون حكم هذا الحزب بمثابة ثورة من أجل مناصرة الحقوق والحريات ، بل لينفذ برنامجا أعلنه للشعب البريطانى

واطمأن له الشعب واطمأنت له المصالح الاستعمارية ؛ هكذا كان الوضع وكأنت الحالة فى بريطانيا فى نهاية الحرب العالمية الاولى التى تميزت بظهور قوى جديدة ويظهر عنصر جوهري جديد فى السياسة البريطانية بقيام حزب امتص حزب الاحرار وامتص الحركات الاخرى المناصرة له وأصبح الصراع السياسى محصورا بين قوتين ، هما : حزب المحافظين وحزب العمال ، وظل الصراع بينهما قائما الى وقتنا هذا .

\*\*\*

لقد أوضحنا هذه الحقيقة حتى يتبين الباحث فيما طرأ من أحداث كيف ولماذا كان موقف حزب العمال وموقف حزب المحافظين من المشاكل الكبرى التى هزت الشرق هذا فيما بعد ؟

\*\*\*

اتصرت فرنسا فى الحرب ولكن انتصارها كان بالنسبة للشعب الفرنسى انتصارا فى حكم الهزيمة . كانت فرنسا فى حداد على الملايين من ابنائها الذين استشهدوا فى المعارك ، فى حزن على الملايين من المشوهين والجرحى ، كانت ترزح تحت عبء قرض فادح بلغ ١٢ الف مليون جنيه وكانت تعاني التدمير والخراب الذى خلفته الحرب فى الجانب الاكبر من اراضيها ، كانت تعاني أزمة فى وسائل النقل والمواصلات جميعا ، ونقصا كبيرا فى الايدي العاملة بسبب ضحاياها فى الحرب وأزمة فى زراعتها وفى صناعاتها ، فلا غذاء ولا كساء ولا عمل . لم يجد الشعب الفرنسى فى نهاية الحرب من آثار الانتصار الا شعارات الانتصار ، والا طبقات استغلت ظروف الحرب فأتوت ، ثم طبقات محرومة - طبقات تائرة .

\*\*\*

وكان الشعب الفرنسى يتابع تطور الحركة الشيوعية فى روسيا ، كما كان يتابع الحركات الاشتراكية فى سائر بلاد اوربا ، ويتطلع الى الاحزاب الاشتراكية الفرنسية والى نقابات العمال لعلها تتحرك وتعمل .

ولكن قوى الحكومة وقوى الاحزاب الاشتراكية تضافرت لصد

الحركة الشيوعية وابعاد شبحها عن فرنسا ، ولكن هذا الاتجاه لم يكن ليحل مشاكل العمال ومشاكل الموظفين ، وراحت فرنسا تواجه القلاقل والاضطراب وعدم الاستقرار ، ورأت الحكومة أن تحول انظار الشعب عن المتاعب التي يعانيها والمشاكل التي لم تجد لها حلا ، وتحقيقا لهذه الغاية اعلن فوراً توقيع معاهدة الصلح والرجوع الى الشعب واجراء انتخابات جديدة لمواجهة الحالة والاضواغ التي جدت ، وكان محور الدعاية في هذه الانتخابات ، هو حماية الوطن والجمهور من الحركات المتطرفة في ظل برامج اجتماعية متطورة ، والزمام الماتيا بدفع التعويضات التي نستمكن فرنسا من القضاء على ماتعائه من متاعب مالية وصناعية مما يستتبع القضاء بلقائبا على المشاكل الاجتماعية .

وامامنا منها في التضييق على العناصر اليسارية ، عدلت الحكومة الفرنسية قانون الانتخابات ووضعت نظام الانتخاب بالقائمة في كل مقاطعة ولقد ترتب على هذا التعديل انتصار أحزاب الجبهة المحافظة وتراجع الاحزاب اليسارية. حتى المعتدل منها على الرغم من حصولها على اكرية نسبية ، وكان لهذا التعديل أثر بالغ في تلك النتيجة لأن أحزاب الجبهة المحافظة حصلت بسبب التعديل على ستين مقعدا كانت الاحزاب اليسارية ستحصل عليها لو لم يتم هذا التعديل ، ولجأت الاحزاب اليسارية الى السلاح الوحيد الذي كانت تملكه في ظل القانون ، وهو سلاح الاضراب . وبلغ عدد الاضرابات في عام ١٩٢٠ وحدها ١٨٢٠ اضرابا منطلما مما أدى الى شل الاقتصاد الفرنسي ودعا الحكومة الى سن تشريع يحرم الاضراب قبل استفاد جميع طرق التوفيق ، فأعلنت الاحزاب اليسارية برنامجا يقضى بتأميم الصناعة والمواصلات الحديدية وكل المرافق الاساسية في الدولة . وامتدت حركات الاضراب الى الموظفين وعمت الفوضى البلاد ، وتدهور سعر الفرنك بحيث أصبح الجنيه الاسترليني في ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ يساوي ٦٠ فرنكا ، بعد أن كان يساوي ٢٥ فرنكا ، وفي عام ١٩٢٢ أصبح الجنيه الاسترليني يساوي ٦٤ فرنكا ، ثم أصبح في عام ١٩٢٣ يساوي ٨٣ فرنكا ، وفي عام ١٩٢٤ صار يساوي ١١٧ فرنكا ، وعانت فرنسا الاضطراب

المالى والفوضى السياسية ، وعانت الصراع بين الطبقات ، وكان على الجبهة اليمينية أن تعمل على تدارك الموقف وتخفف من تحديها للحركات اليسارية وبخاصة المتدلة منها إنقاذا لنفسها ، وإنقاذا للنظام السياسى الفرنسى . وعلى هذه الصورة تولى بونكاريه Poincaré الحكم فى عام ١٩٢٤ واتجهت اليه فرنسا لانقاذها من محتتها ، كما اتجهت فى الوقت نفسه الى أسباب هذه المحنة ، الى النظام الحزبى . وقد كان بفرنسا تسعة أحزاب تتصارع على الحكم والسلطان ، وكان فى فرنسا من ينادى - اذ ذاك بالثورة على الأوضاع ليعاد بناء الجمهورية وتخلص البلاد من أدران الحزبية والفساد البرلماني ومن ينادى بتطوير الانظمة وتعديلها بما يلائم الاحداث والظروف .

كان هناك من يقول بأن النظام البرلماني أصبح صناعة وحرفة ومصدر رزق للأحزاب ، وبأن الأحزاب الحاكمة حلت محل الملوك فى تسخير البلاد وإرهاق الشعب وفقا لهواها ومصالحها ، وبأن الأمة هى المجنى عليها ولايد لهذه الأمة أن تثور . ولكن كان هناك من يقول ان فى ثورة الشعب قضاء على النظام الجمهورى .

وهكذا قام فى فرنسا صراع بين الأحزاب لم يخلف وراءه الا نتيجة واحدة ، هى فقد الشعب الفرنسى الثقة فى نفسه ، حتى دهمته الحرب العالمية الثانية بأحداثها . على أنه بالرغم من فقدان الشعب الفرنسى الثقة بنفسه وبحكومته ، فإن النزعة الاستعمارية فى سياسة فرنسا ازدادت تأصلا واشتدت صلابتها ، بل ان هذه الصلابة كانت الانعكاس الطبيعى لما كان يعاينه الشعب من صراع داخلى .

## الفصل العاشر الثورة التركية

« انهيار الدولة العثمانية - الحلفاء يحتلون البلاد - تمرد الاقليات - الفناء يهدد »  
« الاتراك - الصراع بين العناصر الوطنية والنصارى الوفاقي مع العدو المحتل - مولف »  
« السلطان - مصطفى كمال يعلن موقف تركيا ويحدد اهداف الثورة - مصطفى كمال »  
« والحماية الاجنبية - اتجاه مصطفى كمال الى الامة والجيش ودعوته للثورة ضد »  
« السلطان واعداء البلاد - مصطفى كمال والظلاله - وفوف القرب لي وجهه الثورة »  
« اتركية - جيوش الحلفاء تهدد الثورة - مصطفى كمال يقبل التسعدي وينشد عيون »  
« العرب والسليمن - الجبهة الداخلية ومصطفى كمال - مصطفى كمال والعون الروسى - »  
« معاهدة فرس في اكتوبر سنة ١٩٢١ - مصطفى كمال « وارمينيا » - اقتراح طلب »  
« الانتداب الامريكى على تركيا - مصطفى كمال ومصر السلطان ومصر الخلافة وموقفه »  
« من الجامعة الاسلامية - عصمت يهزم الجيوش اليونانية - اتفاقية مورانيا في اكتوبر »  
« سنة ١٩٢٢ - معاهدة لولان - مصطفى كمال يواجه مشكلة الخلافة »



استعرضنا فيما تقدم ما حل باوربا في نهاية الحرب العالمية الاولى وتناولنا الثورات والحركات الكبرى التى قامت فى سائر احوالها ، فالحجنا الثورة الروسية والحجنا الثورة فى المانيا ، وفى ايطاليا ، وتحدثنا عما طرأ من تعديل وتبديل فى خريطة اوربا بشأن قيام دول جديدة بها ، وتناولنا موقف الولايات المتحدة الامريكية من الحرب العالمية الاولى وتحدثنا عن بروز الاتجاه الاشتراكى فى بريطانيا واضطراب الأمور فى فرنسا والتقلقل فى احوالها السياسية وتنقل الآن الى الحديث عن الثورة التركية .



اتجلبت الحرب العالمية الاولى كما رأينا عن هزيمة الدولة العثمانية وارغامها على توقيع هدنة قاسية الشروط ، وانفردت عقد قواتها المسلحة . وأصبحت تركيا فى مهبط الرياح . وشعب أفقرته وأنهكتها الكوارث والحكام الذين تنسلطوا عليه واستماتوا بأحط الوسائل من أجل الاحتفاظ لانفسهم بسلطان الحكم ومظاهر السيادة ، لا على الاتراك فحسب ، بل وعلى سائر

المسلمين مستبدين فى ذلك الى خلافة مهترمة مترنحة ، وفى وقت كانت فيه الحكومة والخلافة تفتقران الى القوة المادية والشجاعة المعنوية والكرامة لمواجهة الاحداث التى كانت تجرى وقتئذ . فعلى رأى من الخصاله والحكومة كانت جيوش الغرب تحتل البلاد التركية فالفرنسيون فى أطنه وفى أورفه ومراس وعتاب ، والانكليز فى اضايا وقونية واستانبول ، والايطاليون فى مرزفون والجيوش اليونانية فى أزمير . كان العدو يحتل البلاد ويمتهن كرامة الامة التركية ، وكانت الاقليات تبث فى سائر البلاد روح الهزيمة والتخاذل والاستسلام للاجنبى ، وكان على رأس هذه الاقليات المعادية جماعة عرفت باسم ( مافريميرا ) وأخرى عرفت باسم ( بوتوس ) وتضافرت جهود الاقليات باشراف وتوجيه هاتين الجماعتين على نشر الفوضى والخلل فى سائر أنحاء البلاد واشاعة روح الهزيمة والتخاذل والاستسلام للعدو .



كان الشعب التركى يعانى محنة قاسية وأدرك هذا الشعب خطورة الموقف فاتجه الى رأى المستيرين فيه لاقاذا البلاد ، وتشاوروا فى أصلح الأساليب للعمل ، وهنا لابد أن نقف قليلا لنلقى نظرة فاحصة على الاتجاهات التى راح يتجهها هؤلاء المستيريون من قادة الشعب التركى ، تلك الاتجاهات التى ورثتها للشعب سياسة الغرب التى التزمها فى بلادهم خلال العديد من القرون ، فعلى سبيل خدمة بلادهم ، اتجه بعض هؤلاء القادة الى السعى لاثبات براءة الامة أمام الغرب من مساوى الحكم العثمانى والتوصل من تبعات هذا الحكم ، وتأكيذ استعداد الأتراك للتعاون مع الحلفاء ولو أدى الامر الى تقسيم تركيا ذاتها الى دويلات تنفصل عن تركيا انحصالا كليا ، وتستقل عنها ، أو دويلات تتمتع داخل تركيا بالاستقلال الذاتى .

رأى بعض هؤلاء القادة أنه لا سبيل فى الخلاص الا فى تعاون الأتراك مع الحلفاء وتساندهم معهم ومسايرة خططهم . وكان الى جانب هؤلاء من يرى أنه لا سبيل للاحتفاظ بتركيا باستقلالها وصيانة كرامتها



الا بمقاومة كل اتجاه يرمى الى تمزيق وحدة الأراضي التركية والوقوف  
فى وجه كل محاولة من هذا الطراز ولاسيما المحاولة التى كانت ترمى الى  
انشاء دولة « ارمينيا » التى كان انشاؤها يحتم اقتطاع ولايات تركيا لتكون  
أساسا للدولة المراد اقامتها •

وفى غمار هذه المحنة راجع الاتراك تاريخهم واستعرضوا أسباب  
مامر بهم عبر التاريخ من أزمات ومعن ، وتبين لهم أنهم كانوا فى كثير  
من الاحوال ضحية لتلك الاقليات التى كانت تسعى الى اقامة دولة قائمة  
بذاتها تقتطعها من جسم الدولة التركية • وقد نجح الارمن فى الحصول  
من مؤتمر الصلح على قرار باقامة دولة لهم ، وحذت اليونان حذو الارمن  
فاعزمت انشاء دولة يونانية فى الاناضول وفى تركيا الاوربية ، وكان أمرا  
حنما على العناصر الوطنية العلمية بأساليب الغرب أن تصر على الدفاع عن  
حقوق البلاد كاملة ومواجهة الحلفاء والحيلولة دون تمزيق أوصال دولتهم  
والوقوف فى وجه بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وحليفها اليونان ، وكانت هذه  
الدول قد صممت على تمزيق أوصال الدولة البشمانية والقبضاء على  
وجودها •



ويتحدث مصطفى كمال ( اتاتورك ) عن الوضع فيقول : « كان كل  
هم الخليفة » انقاذ حياته وتأمين مستقبله وكان الجيش مجرد اسم وشعار  
لا وجود لهما من الناحية العملية ، فما بقى من قواته كانت هياكل ودمى  
أنهكتها الحرب ؛ ولكن قلوبها كانت تنفطر أسى وحزنا للمصير الذى كان  
ينتظر البلاد •

لقد أدرك قادة الجيش التركي ، وأدرك المفكرون من أبناء الأمة  
التركية أنهم يقفون على حافة هاوية مظلمة عميقة لاقرار لها ؛ فاندفعوا فى  
يأس يبحثون عن سبيل الخلاص •

ويصف مصطفى كمال هؤلاء القادة فيقول : انهم كانوا حسنى الظن  
بالسلطان والخليفة الى حد أنهم لم يشكوا خيانتهم لقضية الوطن وان ولاهم

للمعبد الدينية والتقاليد المرعية كان يستبعد عن تمكيزهم وعن أذهانهم أن تكون هناك وسيلة لخلاص البلاد غير الخليفة ، وكان معلوما وقتئذ أن الوليل كل الوليل لمن يجرؤ على المظاهرة بنير هذا الرأي .

يقول مصطفى كمال : وانه كان فى مفهوم القوات المسلحة أن الدفاع عن وحدة البلاد يقتضى فى الوقت ذاته مسألة الحلفاء وتجنب الاحتكاك بأية دولة من دولهم ، فكان أى رأى يتجه الى الوقوف فى وجه الحلفاء يعتبر جهلا من صاحبه يحقائق الموقف ومخافة لاحكام كل منطق سليم ، وقد انقسمت اراء قادة الجيش ممن كانوا يعتبرون فى ذلك الوقت من صفوة الأمة التركية ، اختلفت آراء هؤلاء فمنهم من قال بأنه ليس أمام الأتراك للاحتفاظ بسلامة الدولة التركية الا اختيار واحد من سبل ثلاث ، الاول : المطالبة بحماية بريطانيا ، والثانى : المطالبة بحماية الولايات المتحدة الأمريكية ، والثالث : تحقيق استقلال الاراضى الضمائية ولو انتهى الامر من أجل هذا الغرض بتقسيم دولتهم الى دويلات مستقلة . ويقول مصطفى كمال : انه ازاء هذه الاتجاهات المختلفة تبين أن السبل الوحيد الصالح أمام الأتراك هو الثورة ، الثورة ضد الاوضاع السابقة لانشاء دولة تركية جديدة تتمتع بالاستقلال الكامل .

\*\*\*

ولنستمع الى مصطفى كمال وهو يشرح لقادة تركيا وجهة نظره فى هذا الشأن فيقول فى خطابه لهم : ان أهم هدف ينبغي أن تمتد كلمة الأتراك على تحقيقه هو انشاء هذه الدولة الجديدة بحيث تكون دولة مستقلة لأن الشعب الذى يحرم الاستقلال هو والعبيد سواء ، ويمضى مصطفى كمال فى خطابه فيقول : ان الحديث عن الحماية الأجنبية للبلاد انما هو اعتراف بتجرد الأمة التركية من كل مقومات الوجود واعتراف بعجزها وفشلها وضعفها ، وهل يوجد اعتراف بالضعف والعجز أبلغ وأصرح من المطالبة بالحماية الأجنبية ؟ وهل هناك ما يمكن أن يصم أمة بالضعف والحقطة أكثر مما يصمها بها اتجاهها للمطالبة بسيد أجنبي يسودها ويشرف على شئون بلادها ويسيطر عليها ؟

هكذا كان موقف مصطفى كمال ، وذلك كان الهدف الذى رأى  
أن يجمع أبناء البلاد حوله . وقد اختار مصطفى كمال لنفسه شعاره الذى  
راح ينادى به وهو ، الاستقلال أو الموت ، وقال ان هذا الشعار يجب أن  
يبلغ مبلغ الايمان الراسخ فى قلب كل من يسعى لاستقلال بلاده ويكافح  
من أجل حريتها ومستقبلها ، وان مضمون الشعار هو الواقع وهو الحقيقة ،  
لأن الوطنى المكافح اذا فشل فى كفاحه لا يجد فى انتظاره غير الرق وغير  
المبودية يفرضان عليه فرضا . ويقول الزعيم التركى ، ان الشعب الذى  
سحق فى غايته بعد أن يكون قد واجه الموت فى سبيل استقلال بلاده ليحس  
مع اخفاقه بالجزاء لايمانه بأنه قدم كل التضحيات التى تقتضيها كرامته ،  
ووجوده ولم يدخر فى ذلك السبيل جهدا ، خلافا لما تشعر به تلك الشعوب  
التي ترضى مختارة بقيود الرق والمبودية .



وقد اتجه مصطفى كمال كلية الى تحريك الامة التركية بأسرها لتركز  
جهودها فى حركة شاملة للثورة ضد حكم آل عثمان والحكومة الشمانية ،  
ويبحث تقف هذه الثورة فى وجه الاحتلال الاجنبى وتحقيق لتركيا الاستقلال  
ولم يشأ أن يتصدى للخلافة وقتئذ لانه كان لايزال يؤمل فى الافادة مستقبلا  
من وجودها . ويقول الزعيم التركى فى هذا الصدد ، انه كان شديد  
الحرص على اخفاء أهدافه النهائية من الثورة بل انه حرص على أن يكون  
تحقيق هذه الاهداف على مراحل ، وانه كان عليه أن يعمل على تهيئة  
لنفوس والأذهان لما يزعم اقدام على تحقيقه على ضوء الأحداث والتطورات  
كان عليه أن يوجه الثورة توجيها حكيما وأن يدفع الشعب الى تتبع مجرى  
الأحداث وأن يضمن تأييده للحركة الوطنية قلبا وقلبا . ولقد كان مصطفى  
كمال فى جميع هذه المراحل حريصا على تجنب كل عمل يمكن أن يثير  
الخلافة بينه وبين أعوانه ، ومن أجل هذا فقد كان يرجئ تنفيذ قراراته  
الشائكة التى تثير هذا الخلاف ، ويؤجل ذلك حتى تهبط له الاجداث  
والظروف مستقبلا ومبررات قوية تفرض تنفيذها دون اعتراض من أحد .

تجبع مصطفى كمال فى تكثيل الجهود وراءه ، لأن الشعوب التى غلب على امرها ويدوس المدو أراضيها على مرأى منها مهتأة دائما للتعاون مع من يثير مشاعرها ويدفعها للعمل الايجابى للذود عن كرامتها ، على أنه خلال الفترة التى كان دائما فيها على تكثيل جهود الشعب من أجل حركته ، وقبل ان تقوم هذه الحركة نقول : انه لم يقته فى هذه الاثناء ان يحدد للعناصر الوطنية ولقادة الحركة طريقهم المرسوم للنهوض بحركته ، وفى هذا كان الزعيم التركى يقول : عندما نبدأ الكفاح يصعب متعبنا علينا ألا نتخلى أبدا عن قضية بلادنا ، ويكون لزاما علينا أن نواصل التضحية من أجل مثلنا العليا حتى الرمح الأخير وحتى الملاذ الأخير الذى يمكن أن نلجأ اليه فى أرض الوطن ، وانه عندما يحين الوقت لمواجهة أعداء البلاد ينتهى العمل السرى ويتعين علينا الوقوف فى الميادين العامة ، لسمع الشعب كل صوتنا لنشره معنا فى كل حركة وفى كل معركة .



ولم تكن خطورة تلك الحركة التى تزعمها مصطفى كمال بخافية على الحلفاء وعلى حكام تركيا وقتئذ ، ولهذا أقالت السلطات فى تركيا مصطفى كمال من منصبه فى الجيش فى ٨ من يوليو سنة ١٩١٩ ، وعندئذ رأى مصطفى كمال أن الوقت قد حان ليخاطب الشعب ويخاطب الجيش والشعب معا ، ويناشد الجميع الثورة من أجل سلامة بلادهم وتأمين مستقبلها وأن الوقت قد حان للقيام بعمل ايجابى عسكري كان فى رأيه السبيل الوحيد للوقوف أمام مطامع الغرب وسياسته التى تعد للأتراك أظلم مصير .

رأى مصطفى كمال أن يعد الشعب للقضاء على عملاء الغرب داخل تركيا ذاتها ، وفى مقدمتهم الطبقة الحاكمة فى الاستانة ، وشرع فى العمل وراحت الدول الغربية تقاوم الحركة الوطنية مستعينة فى ذلك بالسلطان الخليفة وأعوانه ، وكان مصطفى كمال يواجه هذه المقاومة وفى الوقت ذاته يواجه خطر الدعوة التى ينادى بها - اذ ذاك - فريق من الانراك من أجل أن يلتزم الشعب التركى الصبر والتأبى ويخلد الى السكينة ، وأن يعتمد على عدالة قضيته التى تستهض الشهور الانسانية فى الدول الغربية وتحرك.

فيها ضمائرهما ، فقد كانت هذه الدعوة سواء قصد أصحابها أو لم يقصدوا  
تخدم سياسة الغرب ومطامعه ، ومن ثم كانت من العوامل التي لا بد من  
كفاحها ، وكان يواجه وإبلا من الفتاوى التي يسخر فيها الخليفة الدين  
الاسلامي لمناهضة دعوة الحركة الوطنية ، فراح الخليفة يصدرها تباعا  
ومن حين لآخر ، وكانت كلها تعادى الحركة الوطنية ، وتدعو الانترالكالى  
الاستسلام والخضوع للمصير الذى يمد له الحلفاء الغربيون •

هكذا كان مبلغ الدقة والخطورة فى موقف مصطفى كمال ، فالحركة  
التي يوشك أن يقودها كانت الريح كلها فى عكس اتجاهها ، وكان لزاما  
عليه - والحالة على هذه الصورة - ألا يتخذ أى قرار قبل أن يؤمن سلامة  
قراره وصحته من حيث التوقيت ومن حيث النتائج •

ولقد راح مصطفى كمال يعالج موقفه هذا ملتزما بجانب الصبر على  
مؤامرات الخليفة التي كان يماونه فيها - عن جهل - فريق من رجال  
الدين أخذوا على عاتقهم اصدار الفتاوى الدينية ضد الحركة الوطنية •



وقد تبين الحلفاء براعة مصطفى كمال فى توجيه الامور ، فأرأوا أن  
يحددوا موقفهم من الحركة الوطنية وأن يواجهوها مباشرة ، ومن ثم بادروا  
باحتلال الاستامة ، وبشنت واعتقال من كان بها من زعماء الحركة الوطنية ،  
وأعلنوا بياناً عقب احتلالها يقول : ان توقيع الدولة العثمانية لانفاقية  
الهدنة يفرض على الحلفاء العمل من أجل ارساء قواعد السلام فى الدولة  
العثمانية وتحقيق الرفاهية والتطور الهادئ للحياة الاجتماعية والاقتصادية  
لجميع سكانها دون تمييز أو تفرقة بين جنس أو آخر أو بين دين وآخر •

وقال الحلفاء فى بيانهم هذا ، بينما مؤتمر الصلح قائم ، ويعمل على  
تحقيق هذه الاهداف ، اذا بشئة تضم بعض رؤساء جماعة الاتحاد والتقدم  
وتزعم لنفسها حق التحدث باسم الوطن وتجاهل أوامر السلطان  
والحكومة المركزية ، تقوم بالدعوة الى حمل السلاح بين أفراد أمة قضت  
عليها الحرب بآثارها المدمرة • واستطرد-البيان يقول : انها فئة تعمل

على نهب أموال الامه واثرة الفتنة بين مختلف عناصرها ، فنه لا ترمى الى السلام ولكنها ترمى الى اشعال نار الحرب من جديد . ثم يمضى البيان قائلا : انه على الرغم من أن الحلفاء ماضون في تأدية واجبهم غير آبهين لهذه الاستفزات ، ومن أنهم جعلوا ادارة الأستانة المحلية بأيدي الاتراك على شريطة الا تعرض حياة المسيحيين في سائر الولايات التركية لأى خطر وألا يقع أى اعتداء على قوات الحلفاء ، على الرغم من ذلك كله ، فقد مضت تلك الجماعة فى انارتها للأمة ، بل أمنت فى محاولة اشراك الحكومة المركزية معها فى اتجاهاتها ، ولهذا فقد أصبح متصبا على الدول الحليفة أن تباشر الاجراءات الضرورية التى تكفل السلام ، ولم يكن هناك بد من احتلال الأستانة احتلالا عسكريا كاملا ، وقد تم تنفيذ هذا الاجراء ولكن مع هذا فان الحلفاء يعلنون بأن هذا الاحتلال مؤقت ، وأن هدفهم منه هو دعم سلطان الحكومة الشرعية فى البلاد التى سوف تبقى تحت ظل هذا السلطان من بلاد الدولة العثمانية القديمة .

ومضى الحلفاء فى تهديدهم فقلوا : ولكن اذا ثبت أن الاتراك لا يدركون سماحه الحلفاء ولا يكفون عن الاضطرابات ويقضون على أسبابها ، فان هذا القرار سيمد ، وان واجب المسلمين وغير المسلمين اليوم هو عدم الاستماع الى الاكاذيب التى يذيعها أولئك الذين يزعمون لانفسهم التحدث باسم الوطن ، فلا يخضعون الا لحكومة الأستانة مركز السلطان .



وعلى أثر هذا الاحتلال الذى قام به الحلفاء والبيان الذى أذاعوه ، قام مصطفى كمال بإرسال احتجاج الى جميع ممثلى الدول الأجنبية والمحايده والى المجالس النيابية فى بريطانيا وفرنسا وإيطاليا قال فيه : قامت جيوش دول الحلفاء باحتلال الأستانة وألقت القبض على العناصر الوطنية واستهدفت خلق تلك الحركة التى تنادى بتحقيق أمانى البلاد الوطنية ، وفى هذا الاجراء مساس بالبلاد وبحريتها السياسية ، واستطرد الاحتجاج يقول : « لقد عزمنا على الدفاع عن المبادئ المقدسة التى أقرتها الاساتانية

والحضارة ، ولقد صممنا على الدفاع عن حريتنا وديمقراطيتنا ، ان كفاحنا كفاح مقدس ، ولقد عزمنا أكيدا على القيام به للدفاع عن حقوقنا مؤمنين بأنه ما من قوة تستطيع حرمان دولة من حقها في الحرية وفي الاستقلال .  
لقد خدعت بريطانيا وفرنسا العالم عندما قبلت الدولة الشنخارية تسويق اتفاقية الهدنة بأسسها على مبادئ ولسن ، وانا لنسجل أمام العالم هذه المسئولية التي سوف تتحملها دول الحلفاء أمام التاريخ ، وان قضيتنا مقدسة ان قضيتنا حق مشروع وطالبها مقدس وذلك هو سندنا الوحيد بمد الله .

ولم ينس مصطفى كمال في هذه اللحظة الحرجة أن تركيا دولة اسلامية ، وأنها استمدت قوتها في الماضي من تأييد العرب والمسلمين لها فوجه رسالة الى سائر العرب والمسلمين قال فيها : انا ننمضي في الكفاح وسنكون جديرين بتقدير الحضارة والانسانية لنا ، لانا سنمهد بسبيل التحرير أمام العالم الاسلامي سنمهد السبيل لتحرير الخلافة الاسلامية من المؤثرات الاجنبية الغربية عنها ، سندافع عنها بايمان جدير بمسئوليتها وسندافع عنها ونحقق لوطنتنا الاستقلال ، والله معنا في كفاحنا المقدس الذي اعترمنا البدء به في سبيل الحرية والاستقلال .

وكان مصطفى كمال حريصا على أن تبلغ هذه الرسالة سائر المسلمين في العالم وكانت سياسته ترمي وقتئذ الى كسب عطف المسلمين ، ووجه خاص العرب لتأييده في كفاحه ، ولعزلهم عن مساندة بريطانيا وفرنسا ، تلك المساندة التي ظلت قائمة طوال مدة الحرب العالمية الاولى .



وفي ١٩ من مارس سنة ١٩٢٠ وجه مصطفى كمال دعوة الى عقد جمعية وطنية تجتمع في أنقرة وتحدث باسم الأمة التركية ، جمعية يواجه بها مملأة السلطان وأتباعه لبريطانيا وفرنسا واليونان ، جمعية وطنية تحدث باسم الشعب التركي ، وقد استجاب الانراك الى هذه الدعوة ، وفي الوقت نفسه رأى مصطفى كمال أن يرسم لقواده طريقهم في هذه المرحلة التاريخية التي تجتازها بلاده ، فأذاع عليهم بيانا قال فيه : على الفساد أن يؤديوا واجباتهم العسكرية بشرف وأمانة ، عليهم أن يستبسلوا ويستمتبوا

فى مراكزهم وأن يدافعوا عنها ضد قوات الاعداء الكيرة شبرا بشبر ،  
حتى آخر شبر يستطيعون الوقوف عليه من أرض هذا الوطن .

ولكن الجميع فى مستوى الامانة الموكولة اليهم والتي تحتم عليهم  
ألا يقفوا عند واجباتهم فحسب ، بل عليهم أيضا أن يواجهوا الضرورات  
السكرية التى تحتم عليهم الابتعاد عن أى مؤتمر خارجى ، والا ينسوا أبدا  
أنهم فى الوقت الذى يقذفون فيه بآبناء الوطن الى ساحة المعركة ضد العدو  
ويعرضونهم للموت فى سبيل هذا الواجب ، وفى الوقت الذى يسخرون  
فيه موارد البلاد من أجل كفاحهم هذا ، فانه يتعين عليهم أيضا ألا ينسوا  
يأن الأمة تطالبهم بأن يؤدوا واجبهم الوطنى بالنار والحديد والموت ، وعلى  
اولئك الذين لا تقوى أكتافهم وعقولهم على تحمل هذا العبء وتلك المسؤولية  
أن يتخلوا ويفسحوا الطريق للاقوياء والامناء ، وسوف يكون مصير هؤلاء  
الضفاف مصيرا رهيبا حتما . ثم يمضى مصطفى كمال فيقول : « واذا استنفد  
القائد وسائل الدفاع كافة ، وعرض حياته للموت دون جدوى ، فانه عندئذ  
فقط يكون له العذر اذا استسلم ، وان كان تاريخه الأتراك يسجل لقادة منهم  
ايثارهم لفناء جيوشهم امام عدو أقوى على الاستسلام . ثم ناشد مصطفى  
كمال الضباط والقادة الأتراك أن يستخلصوا مما تقدم العبرة والعظة التى  
سيسجلها التاريخ عن الثورة التركية لتكون تركة يخلفونها للأجيال  
القادمة .

ومضى يتحدث عن القيادة الثورية فقال : اذا كان سيكسب  
للأمة النجاح فى الوقوف فى وجه العدو ، فان الفضل فى ذلك يعود الى  
جهود ونشاط وتفانى عدد محدود من الرجال . ان الخطب يتلأشى أثرها  
فى الهتافات والصراخ ، وحياة الشعوب لا يترك مصيرها لهذا النوع من الكفاح  
وواجب المسؤولين هو أن يديروا - سلفا - وسائل الدفاع والحماية .

\*\*\*

ولقد حرص مصطفى كمال أشد الحرص على تقوية الجبهة الداخلية  
وفى هذا الصدد كان يقول : علينا أن نهىء الهدوء والطمأنينة ونعمل على  
تحقيق الوحدة والتضامن بين الشعب جميعه وتكتيله فى سبيل أمل واحد



هو الخلاص ، وقبل أن يتم تحقيق ذلك يتعذر التفكير في مواجهة الغزو الخارجي ، غير أنه اذا نجحنا في تحقيق وحدة الشعب وتكتله ، ثم قدر للمعدو بعد ذلك أن يحرز نصرا مؤقتا ، واستولى على جانب قل أو زاد من أرض الوطن ، فإن هذا النصر لن يدوم الا مؤقتا ، مادام أن الأمة قد حققت وحدتها وتمسكت بها وبقيت لها ارادتها قوية للتخلص من احتلال عدوها ، فهي بذلك كله لا بد مكرهة عدوها وفي أى وقت تشاء على الانحناء لها ، وعلى التدم لفسطرسه وتعاليه . ان الاهتمام البالغ الذى أولاه مصطفى كمال للجهة الداخلية فى تركيا ليدو واضحا من اتجاهه أولا الى تقوية هذمه «الجهة والاطمئنان على قوة بنيانها» قبل أن يبدأ فى مقاومة زحف الجيش اليونانى الذى نزلت كتابه فى الاناضول .

لقد تحدث أتاتورك عن الثورة بوصف أنها صراع ، وفى هذا يقول :  
 «ان الحياة تعنى الصراع والصدام ، والنجاح فى الصراع يعنى النجاح فى الحياة ، وكل شىء يستند الى القوة ، الى السلطان المسمى والمادى . وكل المسائل التى تشغل الانسان والاختلاف التى يتعرض لها وكل ما يحققه من نجاح ، كل ذلك ماهو الا ثمرة الصراع العام من أجل الحياة . فالصراع بين الاجناس هو الذى كتب صفحات التاريخ ، ولا بد أن يدرك كل قائد شعب بأن كل هجوم يدعو الى هجوم مضاد له ، والجهل بهذه الحقيقة هو اغفال المدة لها ينتهى دائما الى الهزيمة والى الهروب والى الدمار .

ويمضى مصطفى كمال فيقول : ان العوامل التى هبذمت الدولة العثمانية كان من أهمها انتفاضات العالم الاسلامى وانسدام التفاهم بين مختلف العناصر فى تلك الامبراطورية الواسعة ، مما جعل منها دولة متحدة اتحادا مصطنعا داخل حدودها ، ولهذا كفن التاريخ الدولة الشمانية ودفعها . ويقول : ان الاساس الوحيد للسياسة الخارجية هو التنظيم الداخلى للدولة ، وان النجاح رهن بالوصول الى تحقيق التوازن والتوافق بين السياسة الخارجية والتنظيم الداخلى .



ولقد رأى مصطفى كمال فى سبيل الدفاع عن وطنه أن يبحث له عن

حلفاء ؟ ولما كانت الحكومة البلشفية تمتد له حيث يدعها وتعرض عليه تعاونها معه فقد اغتيم هذا الاتجاه في سياستها وأودعته الى موسكو في مايو سنة ١٩٢٠ تمهد لاقامة علاقات بين البلدين ، وقد أعدت اللجنة مشروع معاهدة سلاح وقع بالحروف الاولى في ٢٤ من اغسطس عام ١٩٢٠ ، ثم تم توقيع الانذى النهائي بين مصطفى كمال وروسيا الشيوعية في ١٦ من مارس عام ١٩٢١ . وقبل مضي نصف عام على توقيع هذه المعاهدة وقع بين البلدين معاهدة أخرى في ١٣ من اكتوبر سنة ١٩٢١ وعرفت بمعاهدة « قرس » . وبموجبها سلمت روسيا الى تركيا مقاطعات أرددهان وقرس وارتيق ، واستردت روسيا لنفسها مقاطعة باطوم التي كانت تركيا استولت عليها قبل ذلك . وعلى الرغم من أن روسيا مدت التوراة التركية بالعون ، الا أن مصطفى كمال كان حربها كل الحرص على ألا يتخذ العون وسيلة للسيطرة على بلاده وربطها برباط التبعية لروسيا الشيوعية ، وقد تعرض مصطفى كمال بسبب مسلكه السياسى هذا فى علاقته بروسيا الى التحريج من جانب بعض رجال الدين والى مناوأة محترفى السياسة ، والى مناوأة الحلفاء وعرقلتهم لسيبله ، غير أن ذلك كله لم يشه عن عزمه ، فمضى فى طريقه ولا هدف له الا نجاح ثورته ، وما من شك نى أن سياسة الحلفاء التي كانت تتجه فى اصرار الى انشاء دولة ارمينيا ، وكانت هى من أهم البواعث التي وجهت مصطفى كمال وجهته السياسية فى علاقته بروسيا والارتباط معها ارتباطا وثيقا ، قال الحلفاء كانوا يرعون قضية الارمن ، ومن ثم كانوا يتبنون حركتهم لانشاء دولة أرمينيا ، ومن ثم فقد كان حتما على اتاتورك ان يتجه الى مصادقة المعادين لهذه الحركة فقد مكتته هذه السياسة من نصفة الحركة الأرمينية والقضاء على الجيش الذى كان الحلفاء قد ألغوه لاقامة الدولة الارمنية وكان هذا الجيش خلطا من الارمن ومن العناصر الاخرى المؤيدة لقضيتهم ، وقد أرغم على التسليم ، ثم على توقيع اتفاقية جومرو Gumru فى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وبذلك قامت الدولة الارمنية وهى حين لم يولد بعد .

\*\*\*

واذا كانت الثورة قد اتجهت الى روسيا لتستعين بصادقاتها فى سبيل،

احباط خطط الحلفاء وسياستهم لتحقيق أغراضهم ، فقد كان هناك فريق من أعوان مصطفى كمال وقواده يميلون الى الولايات المتحدة الأمريكية ويسعون من أجل أن يقوم على الدولة العثمانية انتداب امريكى • لا يمس كين هذه الدولة ، ودأب هذا الفريق على مسماء الى حد أن اتصل المتحدث باسمه بالسلطات الأمريكية ، ثم عاد فطلب - نتيجة لهذا الاتصال - الى القادة الاتراك أن يلقوا الرئيس ولسن وبلغوا مجلس الشيوخ والكونجرس فى الولايات المتحدة رغبة الدولة العثمانية فى انتداب أمريكا عليها • وفى الوقت ذاته طالب هذا الفريق القادة والزعماء الاتراك بأن يكون هذا الاتجاه مقرونا ببيان يصدره هؤلاء القادة والزعماء يوضحون فيه قبولهم اقامة حكومة عادلة تعمل على نشر التعليم وتكفل حرية المعادة وحرية الأديان ، وتطالب بإلغاء الامتيازات الأجنبية ، كما تطلب الى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قبول الانتداب العام على سائر انحاء الدولة العثمانية ، وقد عرض المندوب الأمريكى على القواد العسكريين الاتراك استعداده لنقل من سيتحدث باسمهم الى امريكا على مارجة حربية أمريكية •

ولكن مصطفى كمال قال للعسكريين الذين اتصلوا به فى هذا الصدد ان النقاط التى تناولها حديث المندوب الأمريكى يناقض بعضها بعضا ، وشرح لهم هذا التناقض ، وبين مدى ما ستورط فيه البلاد اذا ما اتجهت هذا الاتجاه • وذكر محدثيه بما بذلته الولايات المتحدة الأمريكية من المساعى لنيل الانتداب على دولة ارمينيا التى كان مزما انشاؤها ، كما نبههم الى ان اثاره موضوع الانتداب على الدولة العثمانية من شأنها ان تسبب لعاب بريطانيا التى لا تقبل لهفتها على هذا الانتداب عن لهما الولايات المتحدة الأمريكية • ولكن هؤلاء العسكريين قد تمسكوا فى حديثهم مع مصطفى كمال بوجهة نظرهم ، ولم يقتنعوا برأيه ، بل قالوا فى سياق حديثهم معه : ان الامل الوحيد للابقاء على الدولة العثمانية هو وضعها تحت انتداب الولايات المتحدة الأمريكية وان مصلحة تركيا تعين عليها أن تستجيب لاسعى امريكا فى هذا الشأن بغض النظر عن رأى الاتراك فى السياسة الأمريكيتين لأن الشعب الأمريكى هو وحده الذى يفهم نسبة الشعوب الأخرى ،

وهو الذى يقدر الأنظمة الديمقراطية حق قدرها ، وقد سبق له أن ساعد على خلق تلك الأنظمة وعلى تطويرها فى « الفلين » تطورا علميا حديثا . وإن رعاية الولايات المتحدة للدولة الشمائية تكفل لهذه الدولة أن تبلغ فى مدى ٢٠ عاما أو ما يقرب من هذه السنوات أعلى مستوى بين الأمم ، وقال هؤلاء فى حديثهم للزعيم التركى ان الدولة الشمائية ستكون فى حاجة الى صديق يكون سندا قويا يدرأ عنها الخطر ويؤمن مصالحها ، وفى حاجة الى صديق له الكلمة العليا فى المحافل الدولية ، وردا على ماتيه اليه الزعيم من اثارة مطمح بريطانيا فى الانتداب على تركيا قال هؤلاء الصكريون ، انه على الرغم من اتجاه السياسة البريطانية الى تمزيق أوصال الدولة الشمائية والقضاء عليها ، الا ان بريطانيا قد تعدل عن هذه السياسة وتوافق على الابقاء على الدولة الشمائية تحت الانتداب الأمريكى ، طالما كان هذا الانتداب هو الوسيلة الوحيدة لابعاد نفوذ فرنسا وإيطاليا عن الاناضول ، الا أن مصطفى كمال كان حاسما فى هذه المناقشة ، فأفهم المتحدثين اليه بأن الحل الذى يرضونه للابقاء على الامبراطورية الشمانية ، وكل حل فى هذا الصدد يجب أن يكون فى نطاق أمانى البلاد القومية ، وسألهم عما اذا كان قبول الانتداب الأمريكى يتفق مع هدف البلاد اذا ما كان هدفها هو الابقاء على وحدتها وسلامة أراضيها وتحقيق استقلالها وتأمين سيادتها وتأكيدها ؟ وفى نهاية الحديث وجه الزعيم التركى نظر محدثيه الى حق الأمة فى أن تكون هى - وحدها - صاحبة الكلمة الأخيرة فيما عرضوه عليه . وقد دعا مصطفى كمال الى مناقشة موضوع الانتداب الأمريكى على تركيا فى صراحة وعلانية فى مؤتمر وطنى ، وقد انعقد هذا المؤتمر فى مدينة « سيس » فى شهر أغسطس عام ١٩١٩ وكان من بين المتحدثين فيه من تحمسوا للانتداب الأمريكى وطالب بالعمل على وضع تركيا تحت هذا الانتداب ، فى حين أن البعض طرح الموضوع فى المؤتمر فى صيغة سؤال هو : هل فى استطاعة تركيا أن تعيش فى المستقبل معتمدة على نفسها ؟ أو أنها فى حاجة الى دولة تتدب عليها ؟ ثم ما هى الصورة التى يمكن أن تفهمها لهذا الانتداب ؟ ومن تكون الدولة المنتدبة ؟ ولكن مصطفى كمال طرح الموضوع على صيغة سؤال يبحث عن جواب آخر ، فكان السؤال

يقول : ماحل الموقف للتوفيق بين رغبة الدولة وتمسكها باستقلالها وسيادتها الداخلية والخارجية ، وعدم التفريط فى ذلك وبين حاجتها الى حليف يماونها أمام أجتائب خطرين عليها ؟ ولقد أثار هذا السؤال مناقشات فى المؤتمر الوطنى الكبير ، نرى ان لنا عندنا اذا ما توسعنا اليوم فى ايرادها وعرضها نظرا لما تضمنته من مبدى كانت لها وقتئذ أهميتها البالغة وما زالت لها هذه الاهمية الى اليوم بالنسبة للدول التى حصلت على استقلالها مقيدا ومشروطا فى الفترة الاخيرة من عصرنا هذا . فقد وقف فى هذا المؤتمر من يقول : انه لانمراض بين وضع البلاد تحت الانتداب وبين تمتعها بالاستقلال ، فنحن لانلجأ الى الانتداب الأمريكى لامن أجل التخلص من خطر الانتداب الانجليزى . ووقف من يقول : « ان الانتداب لم يمس استقلالنا » ، لاننا سنحقق استقلالنا بقوتنا التى لايمكن التعويل على غيرها لكفالة الاستقلال . فاذا وهنت هذه القوة الثابتة فينا ، فانه من الطبيعى أن يمس الانتداب استقلالنا ، وعندئذ يكون الضرر الذى يحق بنا ، ما هو الا نتيجة لضعف قوتنا الذاتية . لا نتيجة للانتداب علينا . وتساءل بعضهم : هل فى وسع تركيا وهى الدولة المهزومة أن تواجه جميع أعدائها ؟ وهل يمكن أن تسمح لها الدول المنتصرة أن تتصرف على هواها فى شئوننا الخاصة دون أن تتدخل هذه الدول لتملى رأياها على تركيا ؟ . اتنا نواجه تهديد بريطانيا واطاليا وفرنسا واليونان ، والانتداب الأمريكى يهين . لنا سبيلا أفضل للدفاع عن مصالحنا .

ان الانتداب الأمريكى يحميننا من الهلاك .

ووقف البعض يقول : ان الدول الصغيرة المثقلة بعبء الديون فى حاجة الى من يعاونها على تنمية مواردها وفى حاجة الى أجنبى يساعدها على تصحيح التنمية والتقدم والرقى فى حياتها حقيقة واقعة . ثم قام فى المؤتمر من يتحدث باسم السلطان والخليفة وحكومته فى الأستانة فيقول : ان امريكا وعدت بقبول الانتداب على الامبراطورية الشمانية فى حدودها القديمة ، ولكن الشرط الذى اشترطته لقبول الانتداب هو أن يكون هذا الانتداب استجابة لرغبة الأمة التركية وبناء على طلب الشعب .

وقد علق مصطفى كمال على بعض الكلمات التي أُلقيت في المؤتمر فقال: ان البعثات التبشيرية الأمريكية تسعى سعيًا حينًا في سائر أنحاء الامبراطورية العثمانية السابقة ، في سوريا وفي لبنان وفي فلسطين لاقترار مبدأ الاستفتاء على الانتداب واختيار الدول التي تنتدب ، وان الأمريكيين والبعثات التبشيرية الأمريكية تباشر نشاطها على أوسع نطاق في الأناضول فقامت بافتتاح خمسة وعشرين مدرسة في منطقة سييس وحدها ، وتضم هذه المدارس عددًا كبيرًا من الأقليات .

وأشدّ آخرون بما وصفوه بالمزايا التي يمكن أن تعود على تركيا من وراء الانتداب الأمريكي. ، وقالوا ان رموس الأموال ستدفق على تركيا متى قام عليها هذا الانتداب ، وان هذا السيل من المال سيمكن الدولة العثمانية الجديدة من إعادة بناء ما خربه الحرب دون أن يكون في ذلك مساس بمستقبل البلاد . وهكذا كان هذا المؤتمر بمثابة معرض كبير لمختلف الآراء والنظريات ، فبدت فيه أمام العناصر الوطنية القوية الصورة الصريحة الواضحة لأولئك المترددين في تحمل مسؤولية وأعباء الجهاد من أحمل حربة بلادهم واستقلالها .



وانجلي المؤتمر عن رفض الانتداب على تركيا ، وكان من الطبيعي أن ينتهي المؤتمر الى هذه النتيجة ، والى نتيجة أخرى هي : انارة السبيل أمام الزعيم مصطفى كمال بضوء من مناقشات المؤتمر مكنته من تحديد موقفه من هذه المشكلة تحديداً سليماً ، وكذلك تحديد موقفه من مناسري الانتداب والداعين له .

وجدير بالذكر أن بريطانيا كانت تقف للولايات المتحدة بالمرصاد فأفسدت عليها خططها ، لا في تركيا فحسب ، بل في سائر أنحاء الشرق ولا أدل على ذلك مما وقع في لجنة « كينج كرين » التي باشرت مهمة التحقيق الذي عهد به اليها مؤتمر الصلح كما جاء تفصيله في المرحلة الثانية من مؤلفنا .

ولنعرض الآن لجانب دقيق وخطير من تاريخ الثورة التركية وهو علاقة الثورة بالسلطان الخليفة ، فقد كان مصطفى كمال شديد الحرص على أن يهيئ للسلطان الفرصة للاعتراف بشرعية حكومة الثورة بحيث يتم هذا الاعتراف من جانب السلطان الخليفة رضاء واحتياراً ودون ارغام أو مناوئة تعرض البلاد الى هزة عنيفة بسبب ما كان للسلطان بوصفه خليفة للمسلمين من مكانة دينية فى طول البلاد وعرضها ، لأنه كان من بين الأتراك ذاتهم أغلبية كبرى تؤمن بالمركز الدينى للخلافة أقوى من إيمانها بذات السلطان ، وفى الوقت الذى كان مصطفى كمال يرى هذا رأى كان لزاماً عليه ألا يمكن للسلطان الخليفة من الوقوف فى وجه المطالب الوطنية أو التصدى لتلك الحركة التى تستهدف تحقيق الاستقلال والحرية للبلاد .

وفى ٢٨ من يناير سنة ١٩١٢ أعلن مصطفى كمال أنه اذا ما اعترف السلطان بالجمعية الوطنية وبشرعية حكومة الثورة ، فإن تركيا الحديثة فى هذه الحالة تسلم بالخلافة وبالنظام الملكى كأسس غير قابلة للتغيير فى النظام المقبل لتركيا ؟ وتوافق على أن يظل السلطان الخليفة فى الاستانة ، وعلى أن تتحمل الدولة مرتبات ومخصصات أتباعه وحاشيته ، ولما تلكأ السلطان فى الاستجابة الى هذه العروض ، وعاد مصطفى كمال فأعلن فى ٣١ من يناير سنة ١٩٢١ أن السيادة هى حق الشعب بلا قيد أو شرط ، وأن الشعب وحده هو الذى يملك تحديد مصيره ، وأن السلطين التمييزية والتشريعية تمارسهما الجمعية الوطنية التى تمثل الأمة كما تحكم الدولة .

وقد عمد مصطفى كمال الى هذا البيان الحاسم بعد أن حاول قبيل ذلك تحديد مكان الخليفة والسلطان فى الوضع المقبل للدولة ولاسيما عند اعداد النظام الاساسى للدولة فى اغسطس سنة ١٩٢٠ ، وعند النص فيه على أن الامة مصدر السلطات ، اذ رأى اذ ذاك أن ينص أيضاً فى هذا الشأن على ما يحتفظ للسلطان الخليفة بمكانته الى أن يتم تخليص البلاد من الاحتلال وتمارس تركيا سلطاتها كدولة مستقلة . وقد رأى أعضاء المجلس الوطنى وقتئذ أن ينص على الابقاء على صفة الخلافة مع استبعاد

صفة السلطنة ولقب السلطان ، ولما اعترض البعض على ذلك قيل للمعترضين ان الخلافة تشمل السلطنة وتشمل الاسلام بأسره ، ثم لما اشتد الجدل وطال بعد ذلك ، حول هذا الامر وقف مصطفى كمال فى اجتماع عقده المجلس الوطنى فى الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٢٠ وقال : انه ليس من اللائق للأمة التركية وبالمجلس الوطنى أن يطيل البحث لموضوع الخلافة والسلطنة والخليفة والسلطان فى الوقت الذى تناهض فى البلاد من أجل حريتها واستقلالها ، واذا كنا حريصين على بقاء ولائنا للخليفة السلطان اليوم ، فلنعلم بأن هذا الخليفة السلطان خائن ، ويعد أداة فى يد أعداء الأمة والوطن ، ونحن اذا احترمنا وجوده واعتبرنا خليفة وسلطانا كنا بحكم هذا الاعتبار ملزمين باطاعة خائن ، وبتتفيسد أوامر خائن يأتمر بأوامر أعداء البلاد ، واذا تكلمنا الآن عن عزله وخلمه كنا بهذا نضيق وقتا فى كلام لا نسمح به الظروف الآن ، فهذا السلطان الخليفة بعيد عن متناول أيدينا ، وهو فى كنف العدو وحمايته . واذا تجاهلنا وجوده واعترفنا بغيره فانه بدوره لن يشرف بوجودنا ، وسيبدأ عندئذ صراع داخلى يحول الأمة عن أهدافها الى البراك حول مشكلة الخلافة والسلطنة ؟ فهل تريدون أن يعيد التاريخ فى تركيا صراع معاوية وعلى ، اتركوا هذه المشكلة الآن الى أن يحين الوقت المناسب لحلها .

وبينما كان مصطفى كمال يعمل على ارجاء التعرض لهذه المشكلة وحلها ، كان الحلفاء ماضين فى تسخير الخليفة لاصدار الفتاوى الدينية . الفتوى تلوى الفتوى ضد الحركة الوطنية لزعة الروح المعنوية فى الشعب التركى . ويقول مصطفى كمال ان هذا الشعب التركى الذى طالما كافح لشرف ومجد الدين فلم يتردد يوما ما فى بذل دمه من أجل الدفاع عن الدين ، هذا الشعب رأى نفسه يساق باسم الدين الى محاربة الأهداف الوطنية التى هى من صميم الاسلام . . واستطرد مصطفى كمال فقال : ان الحلفاء خيل اليهم أن الخليفة سيكبل الشعب التركى فى أصفاد يصنعها من الفتاوى الدينية ، ثم يقدم لهم هذا الشعب مقيدا فى أصفاده ، ليكون على حد تعبيره - عبدا ذليلا .



ويمضي مصطفى كمال فيقول : - لقد أينا على روح الاسلام أن تخضع الى مثل هذه القيادة • ويشرح مصطفى كمال موقفه من الدعوة الى حركة الجامعة الاسلامية والجامعة الطورانية وأسباب اخفاق الدعوتين ، والأسباب التي يمكن أن تؤدي الى نجاحهما فيقول : ان هذه الحركات كان يمكن ان تتجح نجاحا حقيقيا لو تهأت لها الارض الخصبة الصالحة ، اذ لا يكفي أن تنافر الرغبة لحكومة ما في أن تقيم نظاما يجمع شعوبا مختلفة في اضاء وسواوة تامة ، وحملهم على نسيان عواطفهم وما بينهم من روابط خاصة ، ان مثل هذا النظام من الصير تحقيقه ، وهو يخضع في تنفيذه وفي وجوده الى شروط عامة تحكمه ، تلك هي لغة التاريخ ولغة العلم ولغة المنطق ولغة العقل السليم •

وقد ظل مصطفى كمال يكتم أفكاره وآراءه في هذه الناحية حتى يفيد من كل العناصر ولكن هدفه الحقيقي النهائي • كان إقامة دولة وطنية تركية وكان عليه أن يتجنب كل نزاع داخلي يمكن أن يؤدي الى انقسام الأمة بسبب الخلافه حتى يتم له النصر على الجيوش الغازية المحتلة لبلاده.



انتصر مصطفى كمال على الجيوش اليونانية الغازية وهزمها هزيمة ساحقة في الأول من ابريل عام ١٩٢١ ، وقوى مركز الثورة ، ولاحت بوادر النجاح في طول البلاد وعرضها ، ولكن الغرب كان له بالمرصاد ، فحاول أن يقضي على الثورة سياسيا ، ومن أجل هذا ، طالب بالدخول في مفاوضات سياسية مع حكومة الثورة ، فأرسلت وفدا لهذه المفاوضات كان على رأسه بكير سامي بك الذي أمكن للحلفاء استدراجه الى وجهة نظرهم ، فوقع بالحروف الأولى اتفاقيات من شأنها أن تخل بسيادة تركيا وتعارض أهداف الثورة ، وتفرض شبه وصاية غربية على تركيا ، ولما عاد هذا الوفد الى أنقرة استكر مصطفى كمال تصرفه واعتبره انحرافا على المبادئ الاساسية للحكم الوطني مما أحقق رئيس الوفد فبادر بالانشقاق عن الثورة ، واتهمها بالانحراف عن الطريق السياسي القويم وجهلها لمقتضيات السياسة الدولية ، وأذاع بيانا تناول فيه الاسلام والحرص على سلامته ومستقبله •

وربط فيه بين مستقبل تركيا ومستقبل الاسلام ، ونود بما يمكن أن ينتهي  
اليه الامر اذا آلت زعامة تركيا وزعامة الاسلام لمصطفى كمال ليصبح  
مجددا للاسلام ، وقال بياته : ان ما انتهى اليه في مفاوضاته انما هو السيل  
أمام تركيا لتجدد قواها . وهكذا بات على مصطفى كمال أن يواجه  
انشقاقا داخليا يهدد الثورة في الوقت الذي كانت جيوش الحلفاء تحتل  
البلاد ، وكان الجيش اليوناني برغم الهزيمة التي لحقت به في أبريل سنة  
١٩٢١ مازال داخل الانضول .

كانت الثورة تواجه فئة داخلية خطيرة ، تقوم أول ما تقوم على  
الاعتبارات التي حركها النزعة الدينية ، فجعلت من موضوع شكل  
الحكم المقبل أساسا للجدل ، وعارضت فكرة قيام الجمهورية ، وبدأت  
توجه النقد للتشكيل الإداري للحكومة التي أقامت الثورة . وعلى هذه الصورة  
باتت الثورة مهددة في صميم كيانها ، ولكن مصطفى كمال عرف كيف يعالج  
الموقف ، غير أن مرارة هذه المحاولات وأثر الزج بالدين من جانب  
الخليفة ومن جانب الغرب وعملائهم في المعركة ، كل ذلك قد خلف جرحا  
عميقا في نفس مصطفى كمال بدت آثاره فيما بعد .



نجح مصطفى كمال في تأجيل الحسم في المواقف الخاصة بالخليفة  
السلطان ، ارجأ حل هذه الازمة ليواجه العدو المحتل لبلاد ، وعبأ قوى  
الأمة التركية كلها ليواجه الجيوش اليونانية ، وتم له النصر على هذه  
الجيوش في معارك : «أفيوم قرى حصار» و «دمولينار» في ٣٠ من أغسطس  
م. ١٩٢١ ، ثم استمرت ملاحقة الجيش التركي لفلول الجيوش اليونانية حتى  
أنها في معركة كبرى في سكاريا في الثالث والعشرين من سبتمبر عام  
١٩٢١ ، وبانتصار الجيوش التركية اطمأن مصطفى كمال لتحقيق أول  
هدف للثورة ، وهو القضاء على جيوش أعدائها . وكان عليه بعد ذلك أن  
يمضي في سبيل تحقيق ما بقي من أهداف ثورته .

وفي ٣٠ من أكتوبر سنة ١٩٢١ وقع الحلفاء اتفاقية مع مصطفى كمال  
وقد وقعت هذه الاتفاقية بعد أن حدد مصطفى كمال موقف الثورة وقال :

«انا شعب نريد الحياة بكرامة وشرف ، ولا يمكن أن تنازل أو تتجرد من خصائص الكرامة والشرف » ولقد اجتمع أبناء الشعب الجاهل منهم والمتعلم -حول مبدأ واحد وعوه نما وارتضوا التضحية والبذل من أجله ، وهذا المبدأ هو الاستقلال التام الكامل الذى لا يتجزأ ، الاستقلال السياسى والمالى والاقتصادى والثقافى والعسكرى والقضائى ، فاذا لم يتوافر هذا الاستقلال لى أى من هذه النواحي ، فإن الأمة لا تكون قد أصابت النجاح فى تحقيق استقلالها ، وان السلام والهدوء لن يقوما طالما أن الشعب لم يحقق أهدافه -جميعا ، ونحن نأبى توقيع اتفاقيات تنص على الاستقلال شكلا ، فى حين أن تكون من الناحية الموضوعية بعيدة كل البعد عن تحقيق ذلك الاستقلال التام الذى ننتسده . وبهذا فإن هذه الاتفاقيات تجلب على الأمة عدم الاستقرار وتجردها من وسائل التحكم فى مصيرها ، والأمة التى تقبل هذا النوع من الاتفاقيات الشكلية إنما تتخلى بذلك عن كفاحها المادى ، ونرضى نفسها الضياع بحيث يصح كفاحها الذى بذلته وجهادها الطويل كفاحا موجها لا آخر لهما .

ولم يكن أمام الحلفاء الا التسليم بالأمر الواقع ، وتوقيع معاهدة صلح جديدة بدأت باتفاقية بين فرنسا وتركيا . ثم اكملت بتوقيع معاهد اوران فى اكتوبر سنة ١٩٢٢ .



ثم لمصطفى كمال تحقيق هدف الثورة الوطنى وبدأ يعمل من أجل تحقيق هدفها السياسى . فبادر فى أول نوفمبر عام ١٩٢٢ وأعلن فصل «الخلافة عن السلطنة فى الدولة العثمانية» . ولم يتضمن قرار إلغاء النظام الملكى والابقاء على الخلافة أى نص يحدد لهذه الخلافة اختصاصات ما أو سلطة بالذات ، وقرر المجلس الوطنى قيام دولة تركيا الجديدة ، وكانت الامة فى قراره هى مصدر السلطات وصاحبة السيادة . وعند مناقشة هذا النص أبدى بعض أعضاء المجلس الوطنى تمسكهم ببقاء السلاطين فى تركيا ، فأنبرى لهم مصطفى كمال قائلا : «أيها السادة ان سلطان آل عثمان استمد وجوده من القوة التى فرضته على تركيا فرضا لمدة ستة قرون ، والآن فإن الأمة

فى انتفاضتها ضد هذا السلطان تمرد على السلاطين وتحل هى محلهم وتسترد حقها الطبيعى ، وقد أصبح هذا الأمر حقيقة واقعة ، ولسنا هنا اليوم فى مجال مناقشة حق الأمة ، ولكننا فى مجال اقرار الأمر الواقع الذى سوف يتم برغم جميع الاعتراضات .



وبما كانت المداولات تجرى فى المجلس الوطنى حول مستقبل السلطان والخليفة ، اذ بالخليفة يلجأ لقوات الحلفاء فى ١٢ من نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، ويضع نفسه تحت حماية بريطانيا فنادر الأستانة على ظهر بارجة حربية بريطانية . فاعلن المجلس الوطنى تجريد وسقوط حكمه وأحل محله عبد المجيد افندى فى مركز الخلافة دون سواها على شريطة أن يقبل سلفا - وجهة نظر الثورة فيما يتعلق بالوضع المقرر والسلطنة . كما شرط مصطفى كمال على الخليفة الجديد أن يذيع بيانا على الأمة الاسلامية يصرح فيه بتأييده وبرضاء عما اتخذته المجلس الوطنى من قرارات ، ولكن عبد المجيد افندى الذى رشحته الثورة للخلافة رأى ان يكون لقبه « خليفة رسول الله » بدلا من اللقب « خليفة المسلمين » الذى قرره الثورة له ، وبهذا فقد انتقل الجدل حول اللقب الى المجلس الوطنى ، ورأى مصطفى كمال ان يضع حدا لهذا الجدل ، فقال ان الذى يناش الأمر هو الشعب التركى . وليس للشعب التركى أن يتحدث باسم المسلمين فى العالم كله فى أمر يعنى المسلمين كافة ، ولم يجاز مصطفى كمال بعض النواب الأتراك فيما ارتأوه من أن المساس بالخلافة سوف يحدث اضطرابات فى سائر أنحاء العالم الاسلامى . بل انه أصر - بالرغم من هذا - على وجهة نظره ، واعلن أن الخلافة لا يمكن أن تكون عقبة فى طريق الشعب التركى لتقرير مصيره وتنظيم حكمه الداخلى على الصورة التى يراها الشعب ، وأصبح لزاما على مصطفى كمال وقد انتهت من تحقيق أهداف الثورة الوطنية ومن تحديد شكل الحكم أن يواجه تلك المشاكل التى أثارها عبد المجيد افندى الذى رشحته الثورة للخلافة ، ويواجهه مع تلك الطائفة التى كانت تجعل من الدين مصدرا لرزقها ، ثم يواجه أيضا عديدا من المشكلات التى نشأت عن هذه المشكلة .

ونحن اذا نتبعنا آراء مصطفى كمال وتقينا تصرفاته مما هو مدون في مجموعة خطبه ورسائله ، بدا لنا في موقفه من الخلافة ومن الوضع الديني في البلاد ومن التقاليد التي نسبت الى الاسلام أن عقيدته تأثرت الى حد كبير بموقف العداء الذي وقفه من الثورة السلطان بوصفه خليفة ، وتأثرت بمواقف أولئك الذين كانوا يتحدثون باسم الدين ويقاومون الحركة الوطنية التي كان يقودها مصطفى كمال ويجعلون من الدين ومن الفتاوى الدينية أداة في يد الاستعمار لمحاربة الثورة الوطنية . لقد كان الأسلوب الذي اتبعه الخليفة وأعوانه الذين اتخذوا من الدين سلاحا لناهضة مصطفى كمال كل الأثر في تكييف سياسة مصطفى كمال النهائية ونحديد موقفه الأخير بعد أن تكونت في نفسه عقدة شديدة ضدهم جميعا فأبى أن يجعل الدين عنصرا أساسيا في نظام الحكم الجديد الذي أعده للدولة ، بل ان هذه العقدة كانت سببا مباشرا فيما بعد من اجراءات بلغت حد العنف ضد أولئك الذين حاربوا الثورة باسم الاسلام .



لقد توسعنا في وصف مراحل الثورة التركية ، وذلك لأن تركيا كانت إحدى دول الشرق ، وكانت دولة اسلامية ، بل كانت الدولة التي اتجهت اليها أنظار المسلمين طوال خمسة قرون باعتبارها مركزا للخلافة الاسلامية ، وكانت تركيا في نهاية الحرب العالمية الأولى تشاطر البلاد العربية والاسلامية محنة احتلال الجيوش الأجنبية لأراضيها ولا سيما جيوش بريطانيا وفرنسا ، وكان العرب يهدد استقلال تركيا ، كما كان يمتد على استقلال وكيان الدول العربية والاسلامية ، ولقد قامت في تركيا حركة ثورية كان جديرا بالعرب وكل الشعوب المغلوبة على أمرها أن تركز عليها النظر وتتابع مواقفها وأعمالها . كانت في تركيا قيادة رأى فيها الكثيرون من أبناء العرب رمزا للشجاعة والبطولة ، بل علق الكثيرون منهم أملهم عليها في التحرر من الاستعمار الغربي .

لقد حركت الثورة التركية عواطف العرب والمسلمين ، فطلعوا اليها من جديد آمليين في اقامة روابط جديدة تجمعهم بها . تطلع العرب الى

تركيا الحديثة بقلوب يملؤها الرجاء فى أن يجدوا منها مالم يجدوا من تركيا القديمة فتناصر قضايهم ، على أن العرب وان كانت آمالهم هذه فى تركيا الجديدة قد خابت ، الا انه كان لزاما عليهم أن ينفذوا وأن يلتسوا العظة من دروس وتجارب الثورة التركية ، فهل أفادوا منها ؟ هل وحدوا صفوفهم وهل اتفقت كلمتهم ؟ هل جندوا قواهم لمواجهة المستعمر الغاصب ؟ لقد كانت الأمة العربية كلها فى ثورة ، ولكن هل قامت فيها آنئذ زعامة من نوع الزعامة التى قامت فى تركيا وقتئذ ، والتى وصفها مصطفى كمال بقوله « ان التاريخ ليثبت بصفة قاطعة لا يرقى اليها الشك » انه لا بد للمغامرات الكبرى من وجود زعيم ذى مواهب واسعة وقوة وصلابة لا تزعزعها الأحداث ، وهاتان سفتان لا بديل لهما وبدونهما لا يكتب للمغامرة النجاح .

واستطرد يقول : فى الوقت الذى يخيل للكافة أن أملها قد ضاع ، فى الوقت الذى يعجز فيه أكثر الناس عن مواجهة الأحداث ، وتبدو فيه الأمة بلا قيادة تسيّر أمورها ، وبينما تبلغ الأمور حد الاضطراب وتختل القيادة ، يندفع أناس يزعمون لنفسهم الوطنية المخلصية ، ثم يتصرفون على عكس مقتضيات الوطنية والادراك الصحيح ، فهل من الممكن فى مثل هذا الوقت ومثل تلك الحال أن يتقدم شعب الى الأمام بدقة ، وفى أمن ويعزم واصرار ؟ هل يستطيع شعب تكون هذه حاله أن ينجح فى تحقيق ما نصب الأهداف ، فى حين أنه مزال يبحث عن الآراء والتوجيهات من هنا ومن هناك ويخضع للعديد من المؤثرات التى تجبره على مراعاة أحاسيس واعتبارات ومصالح ترتبط بالأشخاص ؟ هل سجل التاريخ لأية أمة النجاح فى ثورتها والشعب على مثل هذه الحال وفى تلك الصورة ؟ لقد طرح مصطفى كمال هذا السؤال على أعضاء الجمعية الوطنية وترك الاجابة عليه للسلوك الذى التزمه هو خلال مراحل الجهاد والثورة .



ما من شك فى أن نجاح الثورة التركية قام على توافر كل عناصر النجاح التى عينت لهذه الثورة وبها نجحت . فلقد أحجم الشعب التركى

كله على الثورة ، واجتماع الشعب شرط لازم لقيام كل ثورة ولنجاحها ، كما كانت ثورته قائمة على دوافع وأسباب عميقة قد تأصلت في نفسه ودفعته الى العمل من أجل تحقيق أهدافه ، وكانت أهدافا محدودة استخلصها من تجارب الماضي التي علمته أن ثورة عام ١٩٠٨ و ١٩١٩ كانت مجرد ثورة سياسية ضد الوضع السياسى الذى كان قائما اذ ذاك فاقصرت على هذا ولم تتعرض لنظام الحكم ولا للنظم الاقتصادية والاجتماعية كما فعلت الثورة التي قادها مصطفى كمال ، والتي استهدفت أول ما استهدفت حماية استقلال البلاد والدفاع عنه واستخلاصه من براثن عدو معتد ، ثم استهدفت تغيير نظام الحكم فكانت ثورة سياسية ، ثم اتجهت الى تغيير شكل المجتمع وتغيير نظامه الاقتصادى وكانت أيضا بذلك الاتجاه ثورة اجتماعية واقتصادية ولقد قبض الله لهذه الثورة فى شخص مصطفى كمال قيادة رشيدة نجحت فى توحيد كلمة الأمة ونجحت فى بلورة مختلف الأهداف التي سعت الى تحقيقها وفى المضى بالثورة وفقا لخطة مدروسة تجنبها الاخفاق ، كما أعدت هذه القيادة لنفسها أسباب الأمن ، وتحصنت ضد الانحراف والزلل على الأقل خلال فترة الثورة التي كان لا بد لها خلالها من هذه الحصانة .



من هذا الاستعراض للثورات فى العالم من ناحيتها النظرية والفلسفية والواقعية ومن تطبيقاتها فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، قصدنا ان تقدم للباحث تملك العناصر التي تمكنه من الحكم الصحيح على ثورة العرب سنة ١٩١٩ فى أنحاء الشرق وتحديد مكانها من الثورات جميعا وتكييف مواقف قادتها على ضوء المقارنة بمواقف من تصدوا لقيادة تلك الثورات ، على أن هذه الثورات ومن قادوها قد عاصروا جميعا أحداثا متشابهة ، وكان فى استطاعتهم جميعا أن يتابع كل منهم نشاط الآخر .

## الفصل الحادي عشر ثورة العرب

« نظرة الغرب للعرب - الأتراك في نهاية الحرب العالمية الأولى - لحظة من الماضي -  
 « العرب والخلافة - الخلافة لا توث - نوازل الإمامة هدم لقاعدة الشورى - فزوا انتترب -  
 « الفزوا التركي - الخلاف الإسلامي للدولة العثمانية مكن الأتراك من حكم العرب -  
 « الأتراك والخلافة - آل الشيوخ والأمراء في انزال البلاد العربية بعضها من بعض -  
 « الأمة العربية تدرك واجبها في مقاومة الحكم التركي - الفارق بين الدولة العثمانية  
 « الإسلامية والخلعة الإسلامية - انتقال العرب إلى الزعامة القوية الأمانة برسالتها  
 « - الحكم العرب يتقاسمون زمن الولاية للدولة العثمانية - آل الحملة الفرنسية في  
 « ثورة العرب - تنكر محمد علي للعرب - ثورة عرابي - خطر الوقوف بالثورة في منتصف  
 « الطريق - فشل الاستعمار في تحويل الأمة العربية من أهدافها - العرب في نهاية  
 « الحرب المالية الأولى وأصرار العرب على النضال - وحدة الثورة التركية - القادة  
 « الأتراك والقادة العرب - أسس النجاح في الثورة - العرب والقزامة الثورية -  
 « أساليب الغرب للقضاء على الثورة - المظاهرات كاسلوب للاستدراج - الزعامة  
 « وشروطها - الزعامة والوكالة .... »



### ثورة العرب

في نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبانهيار الدولة العثمانية في هذه  
 الحرب ، بدأت سياسة الغرب تتجه إلى العرب لتحديد لهم حاضرم الذي  
 ترضاء لهم ، ولتحديد لهم أيضا مستقبلهم الذي لا ترضى أن يكون لهم مصير  
 غيره . وكانت سياسة الغرب تحكمها في هذا التحديد مطامع الغرب الواسعة  
 في خيرات البلاد العربية ، وما حوت أراضيها من منابع الثروة ، فعلى الرغم  
 من تمارض هذه المطامع وتلك الوعود التي طالما بذلها الغرب للعرب في  
 أثناء الحرب ، فإن الغرب كان يرى أن تحقيق هذه المطامع يعتبر عنصرا  
 جوهريا لبقائه ، ولتفذية وجوده ومدته بالقوة التي تصده من الشيخوخة  
 إلى الشباب وتحكمها أيضا الرسالة التقليدية التي اضطلع الغرب بحملها  
 عبر التاريخ من أجل القضاء على تيار الحركات التي تهدف إلى بيمت القومية  
 العربية حتى يمكن لشعوب الغرب أن تحفظ بمصالحها وبالزاي التي تتم



بها دول الغرب فى بلاد العالم ، فى حين يحرمها أصحاب البلاد ، وبالحيرات  
التي لا يسلبها من يد الغرب الا تجاح الحركات التحررية العربية وظفروها  
باستقلال بلادها والتمتع - وحدها - بخيراتها المسلوقة وبموارد ثرواتها  
المغتصبة •



انهارت الدولة العثمانية ، وظن الأتراك أن بوسعهم أن يعيدوا تكوين  
دولة جديدة تضم العرب الذين عانوا ظلم الأتراك وعسفهم زمنا طويلا ،  
ولم ينس العرب للأتراك طغيانهم وظلمهم ايامهم وبشيم عليهم ، ولكن  
أمل الأتراك فى ضم العرب اليهم ظل قائما بعد الحرب العالمية الى حين ،  
وكان أملهم فى ذلك منطعا بالخلافة ، فقد سمعت الثورة التركية فى أول  
الأمر الى جمع كلمة المسلمين حول الخلافة فى تركيا المستقلة ، وظل هذا  
الأمل يداعب الأتراك الى حين ، ولو ان سياسة الأتراك رجحوا - اذ ذاك -  
الى الماضى البعيد أو القريب لما عاشوا بهذا الأمل يوما ما •

ولسنا فى مقام عرض تاريخ العرب ، غير أننا نمود فى شأنهم الى الماضى  
ليسهل علينا أن ندرك ما انتهى اليه أمر العرب على مر الزمن ، وليسنى  
لنا ان ندرك كيف كانت حالهم فى نهاية الحرب العالمية الاولى ، ثم لنعرف  
الأسباب العميقة لثورتهم •



كان العرب فى عهد الرسول عليه السلام أمة واحدة ، وقد نهج  
أول خلاف بينهم عقب وفاة النبی عليه الصلاة والسلام ، وكان هذا  
الخلاف بسبب الخلافة ، وأدرك عمر الفاروق الخطر الذى يهدد الأمة  
العربية من جراء تشاحنهم على الخلافة ، فبادر بمبايعة أبى بكر الصديق  
وبذلك جنب الأمة العربية خطر الشقاق والخلاف ، وما يتبعهما من  
تصدع كيانها والقضاء على وحدتها • وبعد وفاة أبى بكر الصديق بايع العرب  
عمر بن الخطاب ، ثم يايحوا من بعده عثمان بن عفان •

والخلافة والامامة الكبرى أو امارة المؤمنين طبقا لما رواه الماوردى  
وابن خلدون والامام ابن حزم وأيده فى عصرنا الحالى « فرج السنهورى »  
هى أعلى المراتب والولايات وأعظم المناصب فى الدولة ، وهى رئاسة عامة

في أمور الدين والدنيا وخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنها أن تحمل الامام مسؤولية عظمى ، وتلقى عليه التبعة في المحافظة على الدين وعلى أصوله ، كما تعين عليه حسن اختيار بطائته وأعوانه وعماله وحماية الحرمات ومنع الجور والظلم ونشر العدل والأمن لينصرف الناس الى حياتهم وأعمالهم امين مطمئنين ، كما تفرض عليه ان يعنى أتم العناية بموارد الأمة ومصارفها في غير جور ولا تقصير وفي غير اسراف أو تقتير ، وأن يحمي الديار ويحصن الثغور وأن يشحن المواقع الهامة بذوى الكفاية من الجند ، وان يهيئ لهم العدة الكافية ، وعليه أن يعمل جاهدا على اعلاء كلمة الله ، وان يجاهد في سبيل الله الاعداء المنيرين والمترصنين الذين لا تؤمن غوائلهم ، وعليه أن يمد الدولة بالمسونة الدفاعية ، بل انه لحق على الامام أن يبادر بها وأن يصلح بين طوائف المسلمين ، ويقدم اليهم ما يحتاجون اليه من مختلف المعونات .

وقد انعقدت الخلافة أول ما انعقدت بالبيعة ، وهي بيعة أهل الحل والعقد والولاء والقضاء والعلماء والرؤساء وسائر وجوه القوم من ذوى المكائات ... في عشائرهم وفي أسرهم ... فكانوا من أجل هذا يسمون الكلمة ، لما أوثروا به من الثقة وحسن الاختيار ، وكانت هذه الطريقة هي الأصل والأساس في قيام الدولة العربية الكبرى الاولى التي لم تقم الا على البيعة ، والتي كانت تجدد البيعة فيها كلما حزب أمر ، وكان يقوم بها كل من كان يدخل في الاسلام في أثناء حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وانعقدت الخلافة لأئبي بكر ببيعة أولى الحل والعقد من المهاجرين والانصار ، ثم تطور الأمر وانعقدت الخلافة بالاستخلاف وهو أن يعقد الامام الخلافة في حياته وفي أثناء ولايته الخلافة لآخر من بعده ، على أن يكون من تعقد له أكثر القوم احرازاً لشروط الامامة من غيره ، وان يبقى أهلاً للخلافة من وقت الاستخلاف حتى موت المستخلف ، وهذا الحق لم يثبت للامام المستخلف الا لأنه يندرج في ولايته ، فقد نصب لينظر في مصالح المسلمين الحاضرة ، فاذا قام بهذا فانما يقوم به نيابة عن أهل البيعة بما منحوه من الولاية الشاملة ، ومن هذا النوع كانت خلافة عمر بن الخطاب .

التي عهد بها اليه أبو بكر وقال في عهده مخاطباً العرب « اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب » فان بر وعدل فذلك علمي به ، وان جار وبدل فلا علم لي بالنيب ، والخير أردت » ولكن الاستخلاف كانت تأتي بعده .  
بيعه تؤدده ونسندة . وبيجماع الآراء الفقهية لم يكن من شأن البيعه ولا الاستخلاف جعل الخلافة وراثية ، وكانت الحكمة في ذلك واضحة .  
وهي تجنب العرب شر انشقاق والعنة على الصورة التي كادت تقع عند وفاة الرسول ، والتي جنب عمر بن الخطاب العرب شرها وقتد بيعه .  
أبي بكر .

لم يخل تاريخ العرب من حوادث الانقسام والفرقة فيما بينهم ، وكالمدبرها دسائس اعدائهم للاطاحة بسلاطنتهم ، ولكن قوة الاسلام وحيوية العرب ، وقوة أمتهم وشبابها حالت دون نجاح مؤامرات خصومهم فأخفقوا في النيل منهم .



غير أنه على الرغم من اجماع الفقهاء على أن الخلافة لا يورث ، فانه قد طرأ في هذا الشأن تحول ، فأصبحت الخلافة تنعقد بحكم الاستيلاء . وبحكم الغلبة ، أي بشيعة و دون استخلاف ، وعن طريق فرضها لمن يستطيع ذلك بقوة السلاح والجند أن يرغم بسيفه العرب على عقدها له . ارغاما ، وذلك خلافاً لدستور نفوسهم على الأمر الواقع ، وعلى عصيان المبادئ التي قررها الدين الاسلامي ، خلافاً حرص أصحابها على استخلاف ورتتهم ، وأبنائهم من بعدهم ، وبذلك ابتلى العرب بما ليس من الدين في شيء ، بل بما كان منافياً لاحكام الدين ، لأن الخلافة لا تنعقد الا لمن كان أهلاً للإمامة بشرط أن تبقى له أهليته لها ، ثم تصير لمن هو أهل لها حين يخلو منصب الإمامة ، وتحول الخلافة الى ملك يورث لم يكن بمثابة هدم .  
- فحسب - لقاعدة الشورى التي هي أساس النظم الدستورية ، بل ان هذا التحول أدى أيضاً الى افساح المجال أمام خصوم العرب الذين وجدوا السبل عندئذ الى اضعاف دينهم وفساد امرائهم وسلاطينهم ، وبهذا دب في أوصال الدولة العربية على مر الزمن الضعف والانهلال ، وتفرق العرب

برغم ما بينهم من روابط الجنس واللغة والدين ، ويعرنة العرب وبمساد  
سلطينهم وامراثهم زالت وحدتهم ، وفقدوا على مر الزمن استقلالهم  
وحريتهم ، وفقدت الخلافة المظاهر الاسبسية التى كانت تكفل القوة  
للدولة العربية ، فدهورت السلطة المركزية للخليفة وتدهور سلطان  
الدينى على سائر المسلمين الذين كانت الانقسامات الدينية قد فرقتهم ،  
وانتهى الأمر بتفتت الدولة العربية الموحدة ذاتها ، فقامت للعرب فى  
الأندلس دولة من الأمويين فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة العباسية  
قائمة فى بغداد ، وقامت فى المغرب وفى مصر دولتان للفاطمين .

وهكذا تفرق العرب فى ذات الوقت الذى كان فيه الغرب يعمل على  
توطيد كيانه وتوحيد كلمته وتعزيز مركزه ، وبمسد أن أخذ عن نظام  
الخلافة الاسلامية نظاما استمد اليه البابا لجمع السلطة الدينية والدينية فى  
يديه ، وأصبحت هذه السلطة سند الكنيسة وجزما لا يتجزأ من سياستها .



تفرق العرب ولم يبق للدولة العربية من مكانة الا تلك المكانة التى  
كانت تستند الى قيام ولاه وأمرأ أقوياء على رأس مختلف البلاد العربية ،  
ولكنها كانت مكانة وسلطنة على حساب مكانة وسلطان الخليفة ووجوده  
الذى أصابه الضعف والتضاؤل تدريجيا ، حتى انتهى الأمر بهؤلاء الأمراء  
والولاة والسلطين الى الانفراد بالسلطة تاركين للخليفة من مظاهر الحكم  
مجرد الدعاء له فى صلاة الجمعة ، ولا شئ غير ذلك .

وقد أفضت هذه الحال الى زوال تلك الوحدة التى كانت تجمع العرب  
جميعا وتحميمهم من طمع الاجنبى ، فعرض العرب الى عدوان الغرب عليهم  
بالحروب الصليبية ، ثم الى غزو المغول لهم .

ولما سقطت بغداد أمام غزو التتر فى عام ١٢٥٨ م نزح عنها الخليفة  
العباسى ولجأ الى القاهرة ، ولم يمد يد يدها لغير السلطة الدينية التى أصبحت  
أداة فى يد المالك ليستمدوا منها السند فى حكمهم وسلطانهم على أبناء  
مصر ، وأصبحت الدولة العربية تركة يتوارثها الطامعون وتنازعها المطامع .

وهبط العرب من مستوى أصحاب الرسالة الى درك الرعايا لسلطين وأمرء  
تمردوا على الخلافة وتناحروا فيما بينهم ، وآل اليهم حكم العرب فحكموهم  
للمصالحهم ومصالح أسرهم ، لا لمصالح العرب .

\*\*\*

ولقد قام بين هؤلاء الحكام جميعا صراع على الحكم والسلطان ،  
وكان لابد لهذا الصراع من أثر ينعكس على الحكم والسلطان وعلى  
الأمة العربية كالتأثر في كل الشعوب عندما تفقد الثقة في قادتها وحكامها ،  
ويدعو لها واضحا انصرافهم عن العناية بقضاياها الكبرى ، وبذلك دب  
الضعف والتخاذل في معظم انحاء الدولة العربية ، مما أطمع فيها أول  
ما أطمع الأتراك الذين بدت قوتهم عندما بدعوا يناهضون العرب في حكم  
المسلمين وتولى شؤونهم ، وسيطر الأتراك والسلاجقة على جانب من الدولة  
العربية ، وكان لابد لأوثلك الأتراك الذين كانوا قد خرجوا حينئذ من  
الظلام الى النور وبدعوا يشعرون بما تشعر به الدولة الفتية من القوة  
والثبات ، وأن يفرضوا وجودهم في الدولة العربية وبين العرب لا كأتراك  
بل كمسلمين يعملون من أجل رفع شأن الاسلام والدفاع عن المسلمين ،  
وقد تقبل العرب الأتراك في هذه المرحلة من تاريخهم بسبب ما كان للأتراك  
من قوة الدفع والحيوية التي كانت قد ضعفت بين الحكام العرب لطول المهد  
بانحراف الحكم في الأمة العربية عن الرسالة والمبادئ التي أرسيت في  
عهد الدولة العربية الأولى .

\*\*\*

وهكذا بدأ التسلل التركي الى داخل الدولة العربية وأصبح للأتراك  
من الحماس الديني ما كان من قبل للعرب ، بل ان الأتراك اندفعوا بحكم  
وحدة الدين الى تبني قضايا الاسلام والدفاع عن الدين ، فكانت الوحدة  
الدينية بين العرب والأتراك هي سند الآخرين في فرض سلطانهم على  
العرب الذين كانوا يعيشون على تراث الماضي ، وعلى الأمل في استعادة  
مجد الدولة الاسلامية على يد الأتراك ، وهكذا مهدت تصرفات الحكام  
العرب الطريق للأتراك لكي يتسلطوا على العرب ، وكان التركي وقتئذ

يمثل دما جديدا وجنسا كان يبدو أنه أقوى حيوية وأشد مراسا وأصلب. عودا ، وانه يحكم حداته هذه بالحضارة اهل اسحلالا وأقل ضعفا معنويا. من أولئك الحكام العرب الدين كانوا يتولون أمر الأمة العربية ، غير ان. الأمر تطور بالنسبة للأتراك الذين كانوا يطمعون فى تكوين دولة جديدة. يكون لهم فيها الصدارة والزعامة ، ومن ثم فقد سيطروا على بلاد العرب. وانتزعوا لقب الخلافة لأنفسهم ، واذا بالعرب يتسبون بعد فوات الأوان انهم. بالنسبة للأتراك قد أصبحوا شعبا مغلوبا يلقى من غلبه معاملة المنتصر للمهزوم ، وأصبح لا مناص للعرب من أن يعيشوا تحت سلطان تركيا . ويخضعوا لقوانينها ويقبلوا الأتراك كسادة يأنمر العرب بأوامرهم .



ولم يحاول الأتراك أن يندمجوا فى الأمة العربية برغم وحدة الدين . بل انهم ضربوا بينهم وبين هذه الامة سياجا سميكاً حتى تمكنوا من استغلال. العرب والانتفاع بخيرات بلادهم كسادة لهم . ولقد غلفت الدولة العثمانية الغازية اخضاعها وغزوها للعرب بغلاف الخلافة الاسلامية ، فمن هذه الخلافة. استمدت لنفسها شرعية حكم المسلمين ، ومن هذا اللقب ، استمدت حقها فى خضوع المسلمين لها ، ومنه اتخذت لنفسها منزلة السيطرة المشروعة. على سائر المسلمين . وكان من اليسير على العرب أن يتبينوا خروج الدولة. العثمانية عن واجبات الخلافة ، ونكوصها عن التزاماتها نحو العرب. والمسلمين ، ولكن الحكام العرب والشيوخ العرب وأمرامهم لم يكن لهم من مصلحة شخصية فى الكشف عن هذه الآثام . فكان من الطبعى والحال. على هذه الصورة ان تنزل البلاد العربية بعضها عن بعض ، وأن تضيف. الروابط بينها ، وان ينتهى الأمر فيصبح العربى فى بلده غريبا عن العربى فى البلد الآخر ، لا يحس احدهما بالآلم الآخر ، ولا يخلف بلده وراة. لينهض بالدفاع عن عربى فى بلد آخر ، وليؤدى حق العروبة أينما كان . هذا الحق فى انتظار الوفاء به . وبهذه القطيعة وتلك الروح الانزالية. لم يدرك العرب فى الشرق حق اخوانهم العرب فى الاندلس عليهم أيام محنتهم ، فلم يخفوا لتجدتهم ، فلقد كان حريا بساسة الدولة العثمانية.

نأن يدركوا أيام محنة العرب فى الأندلس أن أسباب هذه المحنة ستكون ذاتها أسباب محنة مثلها للدولة العثمانية وإن هذه الدولة هى التى هبأت الأسباب لمأساة عرب الأندلس ، وهى التى تمدحها بنفسها لنفسها يوما ما ، كان حريا بساسة الدولة العثمانية أن يفتنوا الى أن تسلطهم الظالم على العرب واضعافهم لهم قد كان من أهم الأسباب التى حالت دون انتقاذ الدولة العربية فى أسبانيا ، وساعدت على تقدم الغرب فى الأندلس ، وعلى محاولة دوله لغزو مراكش والجزائر وتونس المرة بعد المرة • كان جديرا بهؤلاء الساسة الأتراك أن يدركوا - سلفا - أن الحكام العرب فى شتى البلاد يسبقون من الدولة العثمانية حينما يهددها الغرب ، الموقف الذى رسمته هى لهؤلاء الحكام وألزمهم إياه حيال العرب فى الأندلس وحيال كل بلد عربى •

وإذا كان هذا هو موقف الحكام العرب ، فإن الأمة العربية قد أدركت بعد أن تكشف لها خداع الدولة العثمانية للعرب وانصرافها الى بناء مجد عثماني بحث يقوم على الفتح والبطش ، أدركت أنه لا خلاص لها مما وقعت فيه ولا سبيل الى استعادة مجدها الا بمقاومة الحكم التركى ، وسيطر على العرب هذا الشعور بعد أن تبين لهم ان الخلافة التى جعلت المسلمين يدينون بالولاء للدولة العثمانية لم تكن غير نقاب خداع للاستعمار العثمانى •



لا ريب فى أن الخلافة كان لها أثر فعال فى دعم دعوة الأتراك التى كانت تقول ان الأتراك ليسوا بأجانب عن العرب ، وإن الدولة العثمانية حلت محل العرب فى قيادة المسلمين داخل دولة اسلامية ، وبدلا من أن تكون هذه الدولة الاسلامية عربية ، أصبحت دولة عثمانية ، فهى على أية حال اسلامية ، وكانت هذه الدعوة لتخدير العرب ولمنعهم من الثورة بدافع قوميتهم ، وبدافع تاريخهم ، والتمرد على السياسة العثمانية وضد الجنس الطوراني • وقد كان من اليسير على قادة العرب وعلى شيوخهم ورؤساء المشائخ فيهم ، كما كان من اليسير على رجال الدين العرب أن يدحضوا هذا البهتان وإن يوضحوا للعرب الفارق الكبير بين الدولة العربية الاسلامية

وبين الدولة العثمانية الاسلامية والغرف بين الخلافة ؟ حين كان يتولاها العرب وبعد أن انتهت الى ميراث يتوارثه آل عثمان ، ولم يكن بالصير على هؤلاء القادة العرب ان يوضحوا للعرب والمسلمين خروج آل عثمان عن واجبات الخلافة نحو العرب والمسلمين ، ومن ثم كان فى امكانهم أن يدعوا العرب الى العصيان والى الثورة ، لأنه كما قلنا لابد لقيام الثورة ولتجاحها من زعامة سوافر لها . فالزعيم التائر هو القدير على تحريك الشعب ضد العادين على الشعب ، كان كل ذلك ممكنا لو توافرت للعرب تلك القيادة الروحية والدينية ، ولكن العرب لم يجدوا سبيلا الى زعيم يلهب شعورهم ويقودهم فى ثورة ضد حكم آل عثمان . فافتقار العرب الى هذه الزعامة لم يمكنهم من هذه الثورة الكبرى ، ومن استعادة أمجادهم ، وكل ما حدث فى ظل الحكم التركى انه كانت تقوم بين الحين والآخر فى مختلف بلاد العرب انتفاضات منزلة لأفراد تؤيدهم جماعات ، وكان مردها الى ظلم يحيط بهم أو عسف يصيبهم ، ولكنها بصفة عامة كانت حركات محلية ، ولم تكن حركات شاملة مما كان يسهل على الأتراك القضاء عليها .



ومن العوامل التى عاونت الاتراك على تثبيت حكمهم ، انهم استحدثوا للعرب رياسات من أمراء وشيوخ سواء كانوا من أصل تركى أو جركسى . أو رومى واعتنقوا الدين الاسلامى ، أو كانوا شيوخا من شيوخ العرب ذاتهم ، فأصبح هؤلاء حكاما محليين ، وعمل الاتراك على فرض الطاعة على العرب لهؤلاء الحكام المحليين الذين كانوا فى أغلب الاحيان من عملاء السلطان العثمانى ، وهم الذين عاونوا السلطان فى عزل العرب بعضهم عن بعض وحالوا دون اتجاه العرب الى القيام بأية حركة ترمى الى تحقيق وحدة تجمع شملهم وتوحد صفوفهم ، وقد كانت هذه الوحدة تشكل أكبر خطر يخشاه الاتراك ، وكان من الطبيعى أن يحاول أولئك الحكام فرض الولاء لأنفسهم على العرب الى جانب الولاء العام لسلطان الدولة العثمانى باعتبارها مركز الخلافة الاسلامية ، وقد نجحت الدولة العثمانية فى خفطها هذه ، وسائر أولئك الرؤساء التخطيط العثمانى لحكم العرب



ونقضوا التمن سلطنة ونفوذاً ، وبهذا تمكن الأتراك من حكم العرب دون .  
أن يواجهوا من حكمه انتفاضة قوية وشعورا عربيا شاملا يصل لصلب  
العرب ، حتى جاءت الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بوناپرت الى مصر ،  
فكانت هذه الحملة أول محك لنورة العرب ضد العدوان الغربي ، اذ .  
تكلت قوى العرب وتوحدت صفوفهم لمقاومة هذا الغزو ، ثم تأكدت  
للعرب قدرتهم على هذه الثورة حينما ثاروا ضد الحملة الانجليزية .  
الأولى .

وقد أدرك العرب بعد ذلك أن في امكانهم ، وقد بدأت الشيفوخة .  
دب في أوصل جسم الدولة العنصرية أن ينوروا ضدها ، وأن يسيّدوا  
أمجادهم لو توافرت لهم الزعامة ، وذلك لأن الأمة العربية بالرغم من  
المحنة التي أصابها ، وبالرغم من مرور عرون على فقدانها لاستقلالها ،  
وعلى تبعيتها للدولة العثمانية ، فانها كانت تشعر في أعماقها بأن القسوة  
وحدها هي التي كانت تحول دون استعادتها لمجدها وإقامة الدولة العربية .  
فضضوع الأمة العربية للحكم التركي لم يكن الا نتيجة لغزو الأتراك من  
ناحية ، ثم لتغير فادة العرب بالعرب ، وكانت الخلافة من بين أساليب .  
التغيير والتضليل .



بدأ العرب يدركون مدى الانحراف الذي انتهت اليه خلافة  
آل عثمان ، وبدعوا يدركون أنهم اذا ثاروا على هذا الحكم ، فإن نورتهم  
لا تكون تمردا على سلطان الخلافة ، وانما تكون من أجل حقهم المشرووع  
ولا سيما أن الحكم العثماني للأمة العربية طوال مئات السنين لم يكن  
ليجعل الأمة العربية تنسى عروبتها وأصالتها ، أو يسيب عنها تاريخها  
المجيد العريق ، فوسائل الاضطهاد وطرف التكتيل والتعديب التي فساها  
العرب على أيدي الأتراك ، لم تصرف المصري عن التطلع الى اليوم الذي  
تقوم فيه دولة عربية كبرى يتزعمها زعيم عربي ، ولعل هذا الشعور  
الصحيح الذي لازم العربي أيام الحكم العثماني كان من أهم العوامل التي

«احتفظت للأمة العربية بشخصيتها وبثقاليدها ولقتها فى ظل هذا الحكم ، فلم تنب شخصية هذه الأمة فى شخصية الدولة الحاكمة .

ولقد كافح العرب وجاهدوا للبقاء على هذا الشعور ، ولم يدخروا جهدا فى تغذيته من حين لآخر حتى لا تسى الأمة ماضيها التليد ، فكان احساس العرب بقوميتهم دائم التجدد ولم يكن من الممكن لهذا الشعور ، ولتلك الاحاسيس ان تبلور ما لم تتوافر للعرب الزعامة كما قلنا ، وكانت أعين العرب فى كل مكان تنجھ فى هذا الشأن الى بلدين ، مصر وسورية ، آمليْن أن يبرز من احداها ذلك الزعيم والقائد الذى يتولى قيادتهم ويكتل جهودهم ثم يدفعهم الى انتفاضة كبرى فى حركة شاملة تستهدف الخلاص من الحكم العثمانى ، فلما ظهر محمد على تطلعت اليه أعين العرب والمسلمين كافة على الصورة التى شرحناها فى المرحلة الأولى من مؤلفنا ، الا أن محمد على تخلى كما قلنا عن الرسالة التى كانت تنتظره ، تخلى عن العرب والمسلمين ، وآثر ان يظل تركيا .

تطلع العرب فى كل مكان الى قادة وزعماء ، فلم يجدوا الا شيوخا وأمرأا وحكاما فضلوا التبعة للباب العالى مقابل جاء ومزايا مادبة صرفتهم عن التطلع لتحقيق أهداف العرب .



وبدأ العرب يشعرون بمسيس حاجتهم لتنظيم أنفسهم وضم صفوفهم حتى يتسنى لهم القيام بالعمل الايجابى ، وبدأ يظهر بين العرب دى مصر وسورية وفى لبنان قادة وأصحاب رأى تزعموا ثورات ضد الحكم العثمانى وضد الغزو العربى الذى بدا خطره واضحا بعد أن نجحت فرنسا فى احتلال الجزائر ، ولم يجد الشعب العربى الجزائرى من يباخذ بيده وساونه فى كفاحه ضد الاستعمار الفرنسى ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل هذا الشعب يكافح وحده خلال تلك الفترة ضد غاصبى بلاده .



توالت الأحداث فى العالم العربى ، توالت المآسى واتسع نطاق

المظالم فيه ويقدر ما كان يشتد ضغط هذه المظالم وتلك الأحداث ، بقدر ما كان يشتد احساس العرب ، ويمتد شعورهم بحاجتهم الى الزعامة التي يمكن أن تقودهم ليرفعوا عن كاهل أمتهم نير المظالم ويستعيدوا لها أمجادها ، فالثورة المتملة في نفوسهم لم تكن لتجدى في كثير أو قليل ، وكان لابد من أن تستعل وتتحوّل الى عمل ايجابي ، ولا سبيل الى هذا التحول غير الزعامة القوية الرشيدة ، فالزعيم وحده هو الذي يستطيع أن يجمع الشعور الثوري السلبي في الأمة ويصنع منه شعورا ايجابيا اجتماعيا وثورة واقعية .



كان كل ما يحيط بالعرب يوحى اليهم بالثورة ؛ وكان من بين هذه البواعث نجاح الثورة على الباب العالي في لبنان ، فانهم على الرغم من أن زعامتها كانت زعامة طائفية ، وعلى الرغم من أن الغرب كان يساعد ، فان نجاحها كان في رأى العرب دليلا على امكان قيام ثورة ضد الحكم الشماسي تجبره - على الأقل - على ترك جانب من حقوق الثائرين المنتصبة والنزول عنها لأصحابها .



ثم انبثت الثورة العربية ضد الحكم التركي ، وكانت اولى ثورات العرب المنظمة الشاملة التي اعتمدت على ذاتها ، وقامت استجابة لرغبة الشعب وحاجته ، استجاب لها الشعب حينما قامت ، وكانت الثورة العربية ثورة وطنية هدفها التخلص من الحكم الاجنبي ، كما كانت ايضا ثورة اجتماعية قامت لترفع الظلم من كاهل الفلاح المصري والطبقات الكادحة ، غير انه على الرغم من ان هذه الثورة قد توافرت لها السمات الكاملة للثورة ، كما توافرت لها اسباب النجاح ، فانها انتهت بالفشل على نحو ما فصلناه في المرحلة الثانية من مؤلفنا ، وذلك بسبب ان زعماءها وقادتها قد رفضوا بانصاف الحلول لتحقيق الاهداف التي من اجلها قامت الثورة ، ولم يدركوا أنهم بهذا المسلك قد وقفوا بثورتهم في منتصف الطريق ، ومن ثم حفروا للثورة قبرها بأيديهم ، فالثورات تموت حتما اذا متوقفت في منتصف الطريق ، ومن أجل هذا فقد فشلت ثورة مرآسي فحسلا عسكريا وسياسيا ، ولم تنتج في تحقيق اهدافها الوطنية والاجتماعية .

ولكنه بالرغم من هذا الفشل ، لم ينجح المدو ولا الحاكم المستبد  
فى القضاء على روح الثورة بين المصريين •

كما نجح الاستعمار الفرنسى فى غزو تونس وادعى حكام تونس  
وقتئذ الحكم الفرنسى وتعاونوا معه ، ولكن ثورة الشعب العربى فى تونس  
ظلت متوقفة لا تخو نارها الا لتعود فتشتعل ، وهكذا بقيت روح الثورة  
سود العالم العربى ، تقذيتها الأحداث ويقوئها عدوان الغرب ومظالم الحكم  
الضامى فى البلاد التى كانت لا تزال تحت هذا الحكم ولم يحتلها  
الاستعمار الغربى بعد ، وبالرغم مما بذله الاستعمار بعد احتلاله للبلاد  
العربية من جهود لاستمالة العملاء ، فانه لم ينجح فى تحويل الأمة عن  
المسمى لتحقيق أهدافها والتطلع الى ذلك اليوم الذى توفى فيه الى القيادة  
الصالحة التى تمكها من تحقيق هذه الأهداف •

كانت الأمة العربية ما زالت فى حاجة الى عناصر واعية تعرف كيف  
ومتى تعمل • ظل العرب فى صراعهم وكفاحهم ضد الاستعمار الغربى  
تمثلا فى فرنسا وإيطاليا وبريطانيا ، ظلوا يكافحونه فى مصر وفى تونس  
وفى ليبيا وفى الجزائر وفى مراكش ، ويكافحون ضد حكم الدولة  
الضامية فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق وشبه الجزيرة العربية ،  
ولم تصرف الأمة العربية أبدا عن التطلع الى ذلك اليوم الذى تتحقق لها  
فيه الحرية والاستقلال •

ثم خدع الاستعمار العرب ومناهم برد حقوفهم لهم فى الحرية  
والاستقلال وبذل لهم الشئ من الوعود والمواثيق ، وبهذا  
كله أغرامهم فوقفوا فى صفه خلال الحرب العالمية الأولى يستخرجهم فى  
سبيل تحقيق أغراضه من هذه الحرب ، واستغل من أجل النصر فيها  
كل طاقات العرب وموارد أرضهم ، ولما تم له النصر تنكر لهم جميعا  
ووقف منهم موقف العدا فأمس فى البطش بهم فزاد شعور العرب بمرارة  
الحكم الأجنبى والتسلط الاستعمارى على بلادهم ، وازداد احساسهم بذل  
التبعية ، واشتد سخطهم عليها وانتهى مؤتمر الصلح عقب الحرب العالمية  
ومرجل الثورة يثلى فى نفوس العرب •

ولما قامت الثورة التركية ونجحت وأصبحت مثلاً واضحاً على ما يمكن أن يحققه ثورة أمة توافرت لها الزعامة الصالحة ، ولما كانت بواعث الثورة تحيى في صدر الأمة العربية بحيث أصبحت على أتم استعداد للتضحية والبذل والفساد والفناء في سبيل تحقيق حريتها واستقلالها ، فقد أجمعت على القيام بالثورة ، وكان من بين أبنائها اذ ذاك من تاضلوا الاستعمار التركي والاستعمار الغربي ، وعانوا في هذا السبيل النفي والتشريد ، ولكن الظروف لم تهيم لهم الوصول الى مراكز القيادة في شعوبهم ، بل طوردوا واستبدوا من بلادهم وحيل بينهم وبين العودة الى أوطانهم . كان من هؤلاء المجاهدين من كافح من أجل قضية بلاده وهو في برلين ، ومنهم من كان يفضل هذا وهو في باريس أو في أمريكا .

ولعل مما يبعث الأمل والألم في قصة كفاح هؤلاء الأبطال طريدى الاستعمار وخصومه : أن الحكام المحليين في بلادهم كانوا دائماً هم العقبة في سبيل عودتهم الى أوطانهم ، مما مكن لبعض العناصر في بعض البلاد العربية من أن تفيد من جهاد هؤلاء المجاهدين المستبدين ، وأن تتخذ من كفاحهم الوطني لبنات تبني بها لنفسها مكانة المكافحين الناضلين في أوطانهم ، فبرزت هذه العناصر وطفت على السطح وتقدمت الصفوف ، واعتقدت أمتهم أنهم أهل لثقة الشعب وجديرون بقيادة الأمة وتوجيهها الوجهة التي تكفل لها تحقيق أهدافها وحريتها واستقلالها .



نعود فنقول ان العرب كانوا يرون المثل أمامهم فيما حدث بالبلاد التي هيأت لها الظروف فرصاً لتحقيق أهدافها ، فلقد نادى الشعب التركي بالاستقلال أو الموت ؛ ونادت أيضاً الأمة العربية بالاستقلال أو الموت ، ولقد أجمع الشعب التركي أيضاً على التضال ، فالصورة من هذه الناحية صورة واحدة لم تختلف في الشين التركي والعربي ، ولكن هل كانت الصورة فيهما واحدة من ناحية الزعامة ؟ ذلك ما سيبدو لنا في استعراضنا لهذه الناحية من الصورة . فالشعب العربي وكل أمره في

نوجيه وقيادة اندفاعه الثورى الى قادة ارتضى زعامتهم له وقبل وكنتم  
عنه ، ليكون دورهم فى الكفاح امتدادا لكفاح وجهاد زعماء استشهدوا  
وأفنا حياتهم وبذلوا أموالهم فى سبيل الدفاع عن قضية الأمة العربية ،  
وأصبح هؤلاء القادة الذين ألفت اليهم الأمة بمسئولية القيادة فيها مقصد  
الأمل ومحط الرجاء ، وكانت العبرة ماثلة أمام أعينهم فيما حققته ثورة  
مصطفى كمال فى تركيا ، فرأوا النصر الذى يحققه اجماع الأمة كلها  
على الجهاد ، وكانت أمامهم العظة صارخة فيما عرفوه من عصر المساومة  
فى سياسة الغرب ، ومن عصر الاستدراج فى هذه السياسة حتى تغرى  
أصحاب الحقوق بالرضا بأصناف الحلول فتقضى بذلك على الاندفاعات  
الثورية فى الأمة النائرة ، وكانوا يعرفون ما سمعوه من زعماء الانترك  
فى أثناء جدلهم وحوارهم حول وعود الغرب ، وكيف كان العزم وكانت  
الصلابة فى تصميم مصطفى كمال على النضال والكفاح ، كان ذلك كله  
مثالا أمام أعين هؤلاء القادة العرب ، فهل التمسوا منه العبرة ؟ ثم الى أى  
مدى كان تجاوبهم مع عواطف الأمة وشعورها وأمانيتها الوطنية ؟ والى  
أى حد كان انفعالهم بثورة الشعب ، هل عاش هؤلاء القادة العرب الثورة ؟  
هل عاشوها وعاشوا من أجلها ؟ هل أحسوا انها ثورتهم قبل أن تكون  
ثورة الشعب ؟ وأخيرا كيف كان مبلغ طاقة وكلاء الأمة فى ثورتها على  
حمل الامانة فى هذه الوكالة ، لقد كان حريا بالقادة العرب أن يحتنوا  
بقادة الثورة التركية فى نظرتها لمفاوضات الغرب ليتحصنوا ضد هذه  
المفاوضات ، كما تحصن ضدها الانترك الذين رفضوا الدخول فى أية  
مفاوضات مع الدول الغربية المحتلة لبلادهم ، على الرغم من أن جيوش  
هذه الدول فى الاناضول كانت وقتئذ أضاعف ما كان لبريطانيا من قوات  
فى مصر والعراق وفلسطين ، كما كانت اضاعف ما كان لفرنسا من قوات  
فى سورية ولبنان وشمالى افريقية ، ومع هذا كله فلم تلن لمصطفى كمال  
قناة ، ولم يستدرج الى المفاوضات مع الدول التى تحتل بلاده .

ان النظرة الدقيقة لما مر بتاريخ العرب فى تلك الحقبة من الزمن  
تؤكد تماما ، انه بالرغم من الاندفاع الثورى الأصيل فى

الشعب العربي ، وعلى الرغم من تصميمه على الموت فى سبيل استقلال بلاده ، فإن موقف الزعماء العرب فى المفاوضات ، قد مكن الاستعمار من أن يعرف - سلفا - الحدود التى تمالج فيها مستقبلا قضايا العرب ، وعلى هذا الأساس تمكن الاستعمار من تحديد مصير الثورة فى كل بلد عربى ، وكان العون فى ذلك التحديد هو مواقف الزعماء أنفسهم ، ودون أن يدركوا أنهم يقدمون هذا العون .

وقد أدرك ذوو البصيرة من أبناء الأمة العربية أن ثورتهم التى فشلت لن تنتهى بل ستظل ثورة كامنة فى النفوس تعود للظهور وللعمل متى توافرت لها مقومات الثورة كاملة ، ومتى توافرت لها الزعامة الصالحة كما بدأ العرب يشعرون بأنه لا يكفى لنجاح ثورتهم ان يجمع الشعب عليها ويصمم تصميمًا أكيدا على تحقيق أهدافه ، بل لابد له من أن يطمئن الى اخلاص وتصميم زعمائه على خدمة قضيتهم ولو كلفهم هذا الاخلاص حياتهم وأموالهم ، ودون أن يخشوا فى ذلك التشريد والحرمان .



وكان لزاما على العرب أن يفرقوا بين القيادة السياسية للثورات ، والتى يتولاها ساسة محترفون ، وبين القيادة الثورية التى يتولاها زعماء أقوياء مخلصون ، والتى تبين للعرب أنها هى الشرط الأساسى لنجاح ثورتهم وتحقيق أغراضهم بصرف النظر عن الطابع الخاص لتلك القيادة ، سواء أكان طابعا مدنيا ، أم كان طابعا عسكريا .

كما أدركوا كيف ان الظروف فى الماضى وقفت فى وجه عناصر كان من الممكن ان تتولى القيادة الثورية ، فى حين هبأت هذه المكائنة لسياسة تولوا القيادة ، وكان ممكنا أن تدفعهم الأحداث فيتقصصوا شخصية القادة ، ويتشبهوا بالروح الثورى ، ولكن الواقع أثبت فى النهاية أنهم كانوا دون مستوى الثورة ، فلم يرقوا الى مكان الرسالة الثورية والزعامة الباثرة التى تمشدقوا بها .

تبين للعرب أن هناك ضوابط أصيلة تحدد حقيقة موقف وعقيدة

وسلوك الزعيم الذى يصلح لقيادة الأمة فى ثورة تنتهى الى نصر يحقق لها السيادة الوطنية ، ويدل ويضرب فى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما يتفق وآمال الشعب وبما ينصف الطبقات العاملة .

ولقد ظل الأمل فى قيام الثورة يراود نفس الأمة العربية ، فى حين كان العدو يرقب ويدرس بما له من امكانيات كثيرة . تطور هذا الشعور فى مختلف طبقات الشعب أملا فى تعرف حقيقة القوة الكامنة فى كل فرد وفى كل جماعة ليقوى على مواجهة الثورة وليقوى على مواجهة الزعماء . ولكى يحدد موقفه على ضوء هذه الدراسة ، فلذا دلته دراسته على أنه يواجه زعماء وطنيين على استعداد للموت والفداء ، كيف موقفه ، وقدر الثمن الذى سيطالب بأدائه اذا ما وقف فى وجه مطالب الأمة ، واذا تبين أنه يواجه مجرد ساسة فى صورة زعماء كيف موقفه تبعا لذلك .

فطبيعة الصراع الذى ينشب بين الثورة وبين الاستعمار أنه يرمى من جانب الثورة الى تحقيق أهداف الأمة واستخلاص حقوقها ، ويرمى من جانب الاستعمار الى السعى لؤاد الثورة والتخلص منها اذا تهيأت له السبل لذلك ، والى العمل على تحويل الثورة عن أهدافها واضعاف قوة اندفاعها ، وإن هذا الصراع ليدو واضحا فى كل المفاوضات التى جرت بين الاستعمار وبين قادة وزعماء الثورات والساسة الذين تقمصوا صورة الزعماء وتحدثوا باسم الثورات فى الشرق العربى والاسلامى .



ومن طبيعة الاستعمار أن يلجأ دائما الى سلاح المفاوضة عندما يواجه الثورات ، ومتى تبين له أن القضاء على الثورة بالنار والحديد يكلفه ما لا طاقه له به . والمفاوضة تكون غالبا أمرا محتوما لأن الأوضاع والمشكلات التى يخلقها الاستعمار عندما يحتل بلدا لا يمكن أن تصفى بين يوم وليلة ، ولا يمكن للاستعمار أن يفرط فى مغامره منها ما لم تلحقه هزيمة تامة ساحقة ، بل أنه حتى عند هذه الهزيمة تكون المفاوضة بين الثورة المنتصرة والمحتل المهزوم أمرا حتميا . ولكن هناك على أية حال فارقا بالنسبة لموضوع المفاوضة ذاته ، فالقيادة الثورية الواعية الآمنة هى التى



نحصر المفاوضة في تنظيم جلاء المستعمر ورد الحقوق الى الشعب ، أما القيادة الفاعلة فهي التي تسمح للمفاوضات أن تتناول حقوق الشعب ، ومن ثم تجعل هذه الحقوق موضوعا للمساومة ، وبهذا يهيئ المفاوض للمستعمر السبيل لايهام الشعب النائر بكسب حقوق نزل له عنهما المستعمر ، وايهام الأمة بأنها حققت في المفاوضات أهدافها ، وذلك بوضع عبارات وألفاظ في وثائق المفاوضات تتضمن التسليم الشكلي من جانب المستعمر بحقوق الشعب ، في حين يضمن المستعمر الوثائق نفسها صيغا وعبارات تمكنه من استرداد واستعادة الاوضاع التي تمس حقوق البلاد وسيادتها ، فكأنما أعطى باليسار ما أخذه باليمين .

ولقد أقدم على هذا اللون من المفاوضات ساسة ارتضوا مهادنة الاستعمار وسولت لهم أنفسهم تسخير كفاح الأمة وجهادها لصالحهم ، ومن هذا يتبين بجلاء الفارق بين القيادة الثورية والقيادة السياسية ، فالقيادة الثورية تخرص دائما على مكاشفة الأمة بحقيقة الموقف وبما يعترضها من صعوبات وما يقتضيه من توضيحات ، ثم ما يقابل هذا كله من الثمن ، كما أنها تراعى أبدا المصالح العليا للأمة ، ولا تنتهي الى قرار الا اذا اطمانت تماما الى انه يخدم المصلحة العامة .

والقيادة الثورية تسعى دائما الى تحويل أمل الأمة الى حقيقة وإلى واقع ملموس ، كما أنها تحاذر أبدا حتى لا تقع فيما قد ينصبها المستعمر من فخاخ لاستدراجها الى المساومة على حقوق الأمة مساومة قد يبدأ بها المستعمر ولا يفرض له فيها الا احداث التسقق والفرقة والتصدع في وحدة صفوفها والقضاء بهذه الوسيلة على الثورة وعلى زعماء الثورة . وان التاريخ ليسجل للاستعمار سجيته الدائب المتواصل خلال تلك الحقبة الزمنية التي تناولها في هذه المرحلة من مؤلفنا للتحكم في الثورات التحريرية واحباطها بجميع الأساليب والوسائل ، فلكم انخذ في سبيل ذلك العديد من المواقف لمواجهة الحركات الوطنية في صورها المختلفة بإجراءات وأساليب مستأولها كما تناول موقف الحركات الوطنية من الاستعمار فيما عى من قصور وأجزاله هذا المؤلف .

فى أبواب هذا المؤلف تحدثنا عن زعامة الشعوب والأمم بالقدر الذى تقتضيه الأحداث ، ويستجد هذا الحديث كلما دعت إليه المناسبة فى كل فصل من فصول المؤلف ، غير أنه نظرا لقوة الارتباط فى تاريخ البشر بين القيادات الشعبية والأحداث وبين الزعامات ومستقبل الأمم ، ونظرا لما للزعامة من أثر واضح فى تحديد مصائر الشعوب والدول ، فقد رأينا أن نغرد للزعامة هذا الحديث القصير .

لقد عرفت الزعامة منذ النظام القبلى ، ومنذ أن تكونت فى العالم مجتمعات بشرية لكل منها مصالح وأهداف مشتركة بين أفرادها الذين أصبحت عليهم واجبات بالنسبة لمجتمعهم ، كما أصبح لهم قبله حقوق ، فكان طبيعيا وقد تعددت هذه المجتمعات ذات المصالح المتشابكة والمتعارضة أن تقوم فى كل منها قيادة ترمى مصالح مجتمعها ، وتحمل العبء فى حمايته وفى الدفاع عنه ، وكانت هذه القيادة تقوم على أساس من ثقة المجتمع فى الزعيم والشعور بقدرته على النهوض بالعباءة التى يعجز غيره عن النهوض بها والايمان بقدرته على الابتكار والخلق والتنظيم والتنفذ .



وان القيادات الزعامية منذ أن كانت ؟ هى التى سطرت صفحات التاريخ ، وهى التى غيرت مجراه فى شتى مراحله ، وهى التى حددت أبوابه وفصوله ، بل هى التى قررت مصائر الشعوب وأدارت دفة السلام ودفة الحرب .

وان الأمم التى توافرت لها الزعامة الصالحة عرفت طريقها الى المجد والرخاء والسيادة ، وهذا على العكس من الأمم التى حرمت هذه الزعامة فحرمت المجد والسيادة والرخاء . وليست سير عشرات الزعماء الذين تحملوا أمانة قيادة الأمم والشعوب بعيدة عن ذهن القارئ ، وهى زعامات لم تنفرد بها أمة أو جنس دون الآخر ، بل عرفها العرب وعرفها الرومان واليونان ، وعرفتها سائر الشعوب العريقة فى تاريخها ولازمت كل نظام من

أنظمة الحكم ، بل ان إتجاه الأمم الى الزعامات التي تقودها كان السرفى .  
استحداث نظم الحكم التي فى ظلها تنشأ هذه الزعامات ويتسع لها ساء  
كفها ، وكان من بين هذه النظم : نظام الجمهورية الرئاسية فى التاريخ  
الحديث الذى ينتخب فيه رئيس الجمهورية بطريق الانتخاب المباشر  
وهى الصورة المصرية لنظام المبايع والشورى .

على أن أثر الزعامة الحقيقى لا يبدو - جليا - فى سمر الحياة  
المادية للشعب ، وإنما يسدو حين تلم بالشعب ملعة ، أو تنزل بالأمّة -  
كادنة عامة لتصف بحريتها وتتل منها على أى وجه من الوجوه ، فتدث  
وحينا يهتز كيان الشعب ويحدق به الخطر يبدأ دور الزعيم ، وتبدو  
خطورة المبدأ الذى يضطلع به لدرء الخطر وانتشال الأمة من كبوتها  
والدفاع عن قضيتها .



إن الزعامة - فى طبيعتها - هى قيادة للجماعات الإنسانية فى  
مراحل تطورها قيادة تثير الطريق أمام المجتمع ، كما تكون له بمثابة  
الحركة القوى الذى يحركه ويلهب شعوره ، وللزعامة دائما سمات  
لنفسية ومواهب ذهنية وخصائص خلقية ، لا يمكن أن تتوافر للانسان  
العادى ، ومن شأن هذا التكوين النفسى والخلقى والذهنى ان يربط  
شعور صاحبه أتم الارتباط بشعور أفراد مجتمعه بحيث ينفصل تماما -  
بأمال أمته وبآلامها ، وبحيث يخفق قلبه بخفقات قلوب أبنائها ، كما أن  
هذا التكوين بطبيعته - يؤهل الزعيم بالمديد من الامكانيات الذاتية التى  
ينفرد بها ، فتؤهله بالقدرة على تحرى العقائق فى كل الأمور ، وعلى  
تفهم الأسباب الجوهرية للمشكلات والسبيل الى حلها ، وتؤهله بالقدرة  
الخارقة على تحويل أحلام الشعب وأمانيه الى حقائق وإلى واقع ملموس ،  
وبالقدرة على تبين الاسرار والقواعد الخفية التى تحكم تصرفات الأفراد  
والجماعات ، وتوجه سير الأحداث فى العالم ، ومن ثم فقد كانت للزعيم  
موهبته الخارقة التى بها يمالج فى سر ودون عناء أشد المشكلات تعقدا  
أمام الانسان العادى ويبدو الحول اللازمة لها والتي لا يرقى الى ادراكها .  
غير الذين خصهم القدر بسميزات الزعامة ، وهو بهذا يجد فى نفسه  
القدرة التى تمكنه من مواجهة الصعاب بالفة ما بلغت شدتها ، وتحويل  
صعوبتها الى سهولة - ثم ان ملايح الزعامة الأصلية تتضح تماما فى قدرة  
الزعيم على التمييز بين الصعب من الأمور وبين المستحيل منها مما :

يجعله قادراً - تماماً - على انفاذ أشد وأخطر القرارات في أخرج  
الواقف دون تردد أو احجام وهو مدرك كل الإدراك أن كل قسراته  
ونتائجها .



وهذه الخصائص والمواهب الزعمية لا تطرأ على حياة الإنسان  
بولا يكتسبها ، والزعامة لا تأتي للإنسان بمجرد الاجتهاد والتحصيل ،  
فذلك هو المستحيل بينه ، والصحيح هو أن المواهب الزعمية تولد مع  
صاحبها الموهوب وتنمو في نفسه مع الزمن . والأحداث والمواقف  
الصعبة والحرجة هي التي تتولى كشفها ، وهي التي تشير إليها ليراه  
صاحبها في نفسه ، وليراه المجتمع في صاحبها . فالفضل في اكتشاف  
الزعيم يرجع دائماً للشدائد والمحن والأحداث التي تلم بالأمر وتنزل  
بالشعوب .

إن دور هذه الشدائد والأحداث لا يقف عند حد الكشف عن  
المواهب الزعمية ، بل يظل دورها قائماً في حياة الزعيم بعد أن تفسمه  
على المسرح ، فهي التي تشير إلى مدى طاقة هذه المواهب على الاستمرار  
في الصمود والثبات أمام الأحداث .



تناولنا في الحديث عن الزعامات الشعبية في العالم مقومات هذه  
الزعامة في ذات الزعيم وفي نفسه وفي خلقه وفي طبيعته وتكوينه ،  
وهذه الصورة المثل للزعامة ، نفرضها - كما قلنا - على الشعوب  
حاجة الشعوب إليها . بقي أن نشير إلى الفناء الذي يكتل للزعامة  
بقاها بعد أن تقوم إلى الزاد الذي يمكنها من الكف في الاصطلاح برسلاتها  
بعد أن يلقى إليها الشعب بالرسالة التي هي جديرة بحملها ، فإن ذلك  
الفناء وهذا الزاد إنما يبد الشعب وحده ، وأنهما على تعدد توانهما  
تجمعهما عبارة واحدة هي : العجبة الداخلية . فكما أن الزعامة تفرض  
على الزعيم واجباته نحو الشعب ، لكي ينهض بها فاتها أيضاً تفرض على  
الشعب واجباته لكي يطرده هذا النهوض ومن أجل أن يستمر الزعيم في  
إداء رسالته نحو الأمة ، ولابد في سبيل هذا الواجب من أن يحمل أفراد  
الشعب جميعاً الوبة رسائل صغيرة تندفع في موكب تخفق عليه راية  
الرسالة الكبرى التي يحملها الزعيم ، فلا بد من أن يعمق الإيمان

## بالسؤولية بالتفاني في العمل بحيث يسود هذا الايمان ويغمر جميع الستويات في الشعب



ولقد أشرنا في أكثر من فصل من فصول مؤلفنا الى حرص الغرب دائما على مراقبة مجريات الأمور في الشرق ، لكي يتسنى له أن يحول دون وصول الموهوبين بقدرات الزعامة الى مراكز القيادة والتوجيه في الشعوب ، لعلم الغرب بأن تبني مثل هؤلاء الزعماء حيثما كانوا لقضايا العرب يعتبر خطرا دائما على مصالح الغرب ، ومن الطبيعي أن هذا الخطر يمل على الغرب العمل من أجل التخلص من هذا الطراز من الزعماء مستعينا في ذلك بكل الوسائل ، ومن بين هذه الوسائل الاتجاه الى قوة السلاح عند الاقتضاء . وليست حرب السويس التي شنتها بريطانيا وفرنسا على مصر الا صورة واضحة لما يمكن ان يقدم عليه الاستعمار من المغامرات في سبيل أن يتخلص من زعيم قوى يرى الغرب في زعامته الخطر كل الخطر على كيانه وعلى وجوده في الشرق ، كما يرى في دعوته التحررية ما يهدد المصالح الاستعمارية في العالم كله .

ولكى يبعد الاستعمار بين الشعوب والزعامة القوية ، فقد حرص دائما على تشجيع الشعوب الخاضعة لنفوذه وسلطانه على ان يتبنى قضاياها ويتحدث باسمها وكلاء ونواب عنها ، لا زعماءها . ومرد هذا الحرص هو ان الغرب يعلم أن من طبيعة الوكالة والنيابة أن يكون من ينهض بهما مجرد وكيل يتحدث نيابة عن آخرين يقوم بتمثيلهم بموجب تفويض منهم ، وتنحصر مهمته في نطاق محدود معين ، ويكون حديثه في ذلك لحساب وباسم غيره ، وليس من شروط الوكالة ان يكون الوكيل أو النائب مؤمنا بقضية موكله وبمعنى آخر لا يمكن ان تنقل الوكالة ايمان الموكل بقضيته الى صدر الوكيل ، فدور الوكيل هو مجرد ترديد رأى الموكل ونقل وجهة نظره ، فان أخذ بها الخصم فيها ونصت ، وان رفضها أصبح على الموكل أن يدبر من جديد حلا لقضيته ، وان يواجه الموقف بمفرده وتحت مسؤوليته .

على ان وجه الخطوة فى الوكالة السياسية أنها ليست محدودة.  
باطار قانونى ، فهى بذلك ليست كوكالة المدينة التى لا تجيز للوكيل.  
الخروج عن حدود الوكالة ، وتحتم عليه أن يقدم حسابه عن وكالته. خلافا:  
للوكالة السياسية التى لا تلتزم بقيد من القيود ، فاذا اقرن عقدها بمسا-  
ئيرها بقيت الوكالة وسقطت القيود ، ثم انه لا مسيل لالفاء الوكالة  
السياسية الا بانتزاع ثقة الأمة من الوكيل ، والى ان يتم هذا الاجراء فانه  
يكون فى وسع الوكيل أن يتحدث باسم الأمة ، ويمبر عن قضية لا يؤمن  
بها ، وفى ذلك ما فيه من الخطر على مصالح الشعوب وحريةها واستقلالها .

## الفصل الثاني عشر

### الاستعمار والعرب في نهاية الحرب العالمية الأولى

« العرب وانهيار الدولة العثمانية - العرب يسمع الخطب التي يوجهه من خطر »  
« القومية العربية لأطول فترة ممكنة - نظرية العرب تقول إن الشرق فقد السلطة »  
« السياسية المركزية وفقد الزعامة - فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى أبعد الأثر في »  
« تاريخ العرب من الحقبة التي امتدت منذ الفتح العثماني من ١٤٥٣ إلى ١٩١٩ - العرب »  
« يدرك خطر المبادئ التي لادى بها على مصالحه - خطر الوحدانية - خطر الوحدة »  
« عناصر الوحدة السياسية والوحدة القومية - تريفيليسوف الفرنسي أراست رينان »  
« للوحدة - العرب يدرك طبيعة تطور الوحدانية ومدى غلظته من العرب - »  
« العرب يرى أن الثورات عندي - سياسة العرب أزاء العرب متعددة الجوانب والألوان »  
« ومختلفة في الهدف - العرب يفتش وحدة العرب المخلصين لمستعمر واحد - الميراث »  
« ليوني والجنسيات الإسلامية - الميراث ليوني يحذر سياسة العنف وينصح بالعمل »  
« السياسي - العرب يقدّر - سلطاً - فشله في القضاء على القومية العربية وعزلها عن »  
« الرابطة الإسلامية - العربي المسلم والعربي المسيحي يساهما في رأى العرب أطار »  
« سياسي مؤلف من القومية العربية والرابطة الإسلامية - العرب والعناصر الوطنية »  
« للتمسكة لم العناصر الرأبعية المختارة - لهم العرب أن العرب في حاجة إلى حماية - »  
« العرب والحركة الاشتراكية في الشرق - العرب واللغة العربية - العرب وخطر »  
« الروس على العرب - مؤلف العرب من سياسة العرب - » .



تأول الاستعمار بالدراسة والبحث موقفه من الحركات الوطنية في  
سائر أنحاء العالم العربي والإسلامي ، وذلك بعد انهيار الدولة العثمانية  
وزوال الخلافة الإسلامية ، ومن ثم زوال تلك الرابطة المنوية التي كانت  
تجمع المسلمين .

ويبقى على العرب عندئذ ، أن يأمن خطر بعث القومية العربية كحركة  
ذاتية وقوة دافقة يمكن لتيارها أن يجرف أممه كل ما يحوق نهوض العرب ،  
قوة تستهضئ العزائم وتلهب الشغور ، وتذكر العرب بأمجدهم ، وتكون

بمنابة اطلاقه قوية للأمة العربية لكي تضطلع بدورها الذى يفرضه التاريخ عليها .

ولقد نبهنا الى أن الغرب فطن الى مقومات القومية العربية والى بواطنها والى التربة التى تصلح لنموها والظروف التى تساعد على انبعاثها لقد درس الغرب ذلك كله ليحول دون قيام هذا الخطر ثم انتهت دراسته الى وضع مخطط يؤمنه الى أطول فترة ممكنة من خطر القومية العربية ، وقلنا فى التمهيد الذى قدمنا به الجزء الثانى من مؤلفنا عن مرحلة عدوان الغرب : ان سياسة الغرب قد نجحت فى نهاية الحرب العالمية الأولى فى تحقيق هذا الهدف ، وتمت له السيطرة على جميع البلاد العربية وكفل ولاء حكامها له وطوى الزمن دعوة القومية العربية ، وسكت الاصوات التى كانت تنادى بها ، واحتفى طيف هذه الدعوة ، اختفى من التاريخ منذ ذلك الحين بحيث لا نجد لها أثرا يملى على المؤرخ حديثا عنها ، الا حينما نلتقى بها فى نهاية المرحلة الثالثة من مؤلفنا .

وبما أننا نقدم للقارئ الجزء الأول من تلك المرحلة الثالثة التى تتناول ثورات العرب وجهادهم ، وبحث قضيتهم ، ولكى يسهل عليه تتبع الأحداث وتعرف مختلف الصور والأساليب التى طبقها الاستعمار وواجه بها القومية العربية والحركات الوطنية ، فقد رأينا أن نجعل - سلفا - فى هذا الباب ما انتهت اليه دراسة الاستعمار وما أعده من خطط لمواجهة العرب . والمجدير بالذكر أن هذه الدراسات تولتها الحكومات وتولتها المؤسسات ذات النزعة الاستعمارية ، وتولتها الجامعات فى حلقات دراسية ، وان ما تقدمه فى هذا الشأن انما هو خلاصة ما سمع بشره فلأحيط به الرأى العام الغربى من آراء قادة الاستعمار وفلاسفته وساسته أمثال المارشال ليوتى Lyautey، والجنرال فيجان Weygand، وكامبون Cambon، ورينيه بينون R. Pinon، والكونت دى مسانت أولير Saint-Aulaire، والمستشرق ماسنيون Massignon، وغيرهم فى فرنسا وإيطاليا وبريطانيا .





انتهت دراسة الغرب الى نظريات وآراء مسجلها تؤكد أن العرب قد فقدوا في مراحل تاريخهم السلطة السياسية المركزية التي تشرف وتهيمن على قضاياهم ومصالحهم وتدافع عن ديارهم دفاعا كاملا شاملا ، كما فقدوا الزعامة والقيادة التي توجههم وتصرهم بعواقب اغذالهم لحقوقهم وللمكانة التاريخية التي كانوا جديرين بها ، وقالت هذه الآراء ان سقوط الدولة العثمانية قد أعاد للعرب حريتهم المعنوية والدينية والسياسية ، تلك الحرية التي كانت أسيرة الدولة العثمانية والخلافة العثمانية ونتيجة لاسترداد هذه الحرية اندفع العرب تلقائيا - الى العمل للتحرر من كل استعمار والسعى الى تحقيق الوحدة بينهم ، وقالت آراء الغرب ان الجمود الذي أصاب العرب ، لا بد أن يزول في يوم من الأيام ان عاجلا أو آجلا لأنهم يحكم تاريخهم ويحكم تطورهم سيسلكون - حتما - الطريق الذي ينتهي بهم الى الحرية والاستقلال والتكامل وتحقيق الوحدة بينهم من جديد وإن الحقبة التاريخية التي تلى الحرب العالمية الأولى ، ستكون أبعد أثرا في تطور قضايا العرب من تلك الحقبة التاريخية التي مر بها العرب منذ الفتح العثماني لبلادهم في عام ١٤٥٣ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٩ .



وقالوا ان على الغرب أن يستمد لوجه جديد تطل به قضايا العرب ، لأن طابع قضايا العرب كان حتى الحرب العالمية الأولى ، طابع المضموع لسلطان الدولة العثمانية بحكم الولاء الديني للخليفة العثماني ، أما الآن فقد تعين على العرب أن يستعيدوا كيانهم القومي بعيدا عن الولاء السياسي والديني للدولة العثمانية التي اختفت .



وقالت آراء الغرب ان المبادئ التي نادى بها الغرب خلال الحرب العالمية الأولى ستكون هي ذاتها الأداة التي تحرك العرب وتلهب شعورهم القومي ، كما وأن سيطرة الغرب على العرب ستتحرك شعورهم الوطني

وتحرك فيهم المبادئ القومية في صورة جديدة منفصلة عن الاعتبار الدينى  
وستودى - حتما - الى ثورة العرب •



ثم تعود هذه الآراء فتقول ؛ فى الوقت نفسه ؛ ان إيقاف وتحريك  
الشعور القومى بين العرب لن يوفر لهم القوة التى هم فى ميسس الحاجة  
اليها لمواجهة بها الغرب ، فتوافرها لا يمكن أن يتأتى للعرب الا عن طريق  
تحقيق الوحدة بينهم ، والوحدة هى الخطر الحقيقى الذى يهدد مصالح  
الغرب ، بل يهدد حياته ووجوده فى الشرق ، وأكدت هذه الآراء أن  
تحقيق هذه الوحدة احتمال قريب الوقوع فى كل لحظة لو تراخى الغرب  
فى مقاومتها • وذلك لأن الأمة العربية كان لها بحكم التاريخ كيان ،

وكان لها وجود بحكم توافر العناصر الأساسية التى تكون الأمم وهى  
الأرض والجنس واللغة والدين ، بل ان آراء الغرب ذهبت فى هذا الشأن  
الى القول بأن الوحدة بين العرب قريبة ، وأن تحقيقها بينهم أقرب منه  
فى أية جماعة من الشعوب الأخرى وذلك متى توافر للعرب الوعى القومى  
لأن وحدة الآمال والأهداف تجمعهم ، وهى وحدة تفضى حتما الى تحقيق  
الوحدة السياسية والوحدة القومية • فان لوحدة الآمال ولوحدة الأهداف  
أثرا وشأنا يجعلانها أهم من وحدة الجنس واللغة • فوحدة الأهداف  
والآمال هى التى مكنت كلا من سويسرا والولايات المتحدة من تكوين وطن  
وأمة ودولة ، فى حين نرى دول أمريكا اللاتينية على الرغم مما بينها من  
وحدة فى الجنس واللغة والدين وهى العناصر الطبيعية التى تمكنها من  
تكوين أمة واحدة ووطن واحد ودولة واحدة ، قد عجزت عن تحقيق  
الوحدة السياسية والقومية بينها •



ولابد لنا من الوقوف قليلا امام هذه النظريات والآراء التى انتهت  
اليها سياسة الغرب ، لأنها فى تقديرنا جوهر قضية العرب ، وجوهر  
قضية الوحدة من حيث المبدأ •

وقد عالج هذا الموضوع الفيلسوف الفرنسى « ارنست رينان »  
Ernest Renan • فقال ان الأمة ليست مجرد كائنات حية ، بل انها أولا

وفيل كل شيء روح ومبدأ معنوي ... يستند في وجوده الى ميراث مشترك من الماضي ، ميراث هو عبارة عن ماض طويل متصل من التفاني والتضحيات والفداء . ومن الآلام والكوارث والمحن ... ماض مشترك من الآلام ... ومن سحر الأبطال والأفلاذ ... لأن ذلك كله ذخيرة مشتركة يخلقها الآباء والأجداد للأبناء جيلا بعد جيل ، فيعتزّون ويفخرون بها ويتركون اليها ليجنوا منها العظة والعبرة والسيرة الطيبة والقدوة الحسنة كلما حلت بهم الشدائد ، لأنها جهاد مشترك متواصل تستند التضحيات وتدعمه الآلام ، ولأن التضحيات والآلام المشتركة أقوى سند للموحدة القومية ؛ كما أنها تربى الواجبات والالتزامات ... وتعتم البذل والجهاد المشترك على الدوام . فالأمة في رأيه - ليست - مجرد جماعات منعزل بعضها عن بعض ، بل جماعات تشترك في الشعور بالتضامن مستندة الى مبادئها من تضحيات في الماضي ثم الى الاستعداد للبذل والفداء مستقبلا ... شعور مشترك يربط ماضيها بحاضرها وحاضرها بمستقبلها ... فمتى توافرت هذه الشروط وحدثت الجماعات وقامت الأمة ...

ويقول « رينان » لن تتحد الشعوب ذات الجنس الواحد والألفة الواحدة والدين الواحد لتكون أمة واحدة الا اذا توافر لها هذا الشعور ، وبصورة تمكنها من التجدد دائما لأن تجددها ودوامها هما التميز الأكيد عن الرغبة في مواصلة الحياة من أجل تحقيق أهداف مشتركة . ومتى توافرت الحياة المشتركة واقتربت بالمصالح المشتركة ، أمكن التطلع باطمئنان الى مستقبل كل وحدة تتم بين الشعوب ، لأن هذه الوحدة تطو على الحدود الإقليمية للبلاد ، وأقوى من الحدود السياسية لقبول فهي تحتاج هذه الحدود وتحطمها لتكون من الدول أمة واحدة .

والأمة الواحدة او الموحدة لها دورة للنمو والتطور تخضع فيها لجميع مراحل وقوانين التطور الطبيعي والتاريخي ، وعليها ان تواجه كل ما تصطدم به من عراقيل وعقبات في مختلف مراحل نموها .. وعليها ان تؤمن بوجودها وتؤمن بواجبها في صيانة هذا الوجود والدفاع عنه ، ولن يتم هذا الا بخلق الشعور القومي وتقويته وربطه بالحقائق التاريخية المتصلة بوجوده لأن الترابط الروحي عنصر من عناصر قيام الوحدة ثم بقائها ، بل انه لا يقل أهمية من المشاركة والترابط في المصلحة المادية .



ولقد كان الغرب يمي هذه الحقائق ويدركها تماما ، ويدرك أن العرب بطبيعتهم التاريخي قد نجحوا في الماضي في إقامة دولة تميزت عن سائر الدول بطلابها الجماعي والتضامني الذي جمع العرب ، كما امتاز

العرب بحضارة خذصة بهم انفردوا بها ، وأنهم لهذا وبحسكم تاريخهم أقرب من أية جماعة أخرى الى تحقيق الوحدة بينهم •

أدرك الغرب أن اتجاه العرب الى الكفاح والجهاد ضد الغرب من شأنه أن يخلق الجو المناسب والملائم لظهور وبلورة الوحدة ، وكان على الغرب أن يؤمن نفسه من هذا الخطر الذى يمكن العرب من تهديد مصالحه ، بل ومن تهديد وجوده فى آسيا وأفريقية نظرا لوقوع البلاد العربية فى الطريق الى آسيا وأفريقية ، ولما كان للعرب من القدرة على بسط نفوذهم الروحى فى مناطق شاسعة عبر آسيا وأفريقية •

وكانت سياسة الغرب تحتم عليه ألا يكف عن البحث والدراسة من أجل التحقق من أمرين : الأول - طبيعة تطور الوعى الوطنى ومدى تطلعه داخل الحدود السياسية لكل بلد من بلاد العرب • والآخر - اتجاهات هذا الوعى الوطنى ومدى اندفاعه نحو تحقيق الوحدة الشاملة بين العرب ، وذلك لأن الغرب كان يرى أن تطور الوعى الوطنى وتطلعه داخل الحدود السياسية فى البلاد العربية ، يفضى - حتما - الى ثورات ضد سيطرة الغرب ، ومن أجل الحرية والاستقلال ، ثورات تدفع السوعى الوطنى من شعب الى آخر ، كما كان يرى أن الاستقلال فى البلاد العربية بمثابة عدوى تنفشى ، فاذا تحقق الاستقلال لبلد عربى انتقلت عدواه الى بلد عربى آخر وهكذا الى أن ينتشر بين سائر العرب ، وأن الخطر الأكبر الذى يهدده هو تحقيق الوحدة بين العرب ، بحيث تكون لمصلحة العرب وهى وحدة لن تتم الا متى استقلت الشعوب العربية وتحررت من ربة الاستعمار •

\*\*\*

وعلى هذه الصورة رتب الغرب مختلف مراحل تطور قضايا العرب ومستقبلها •

رأى الغرب كل هذه الآراء ، ثم وضع القواعد الأساسية لمخططه الاستعمارى ، ازاء العرب ، ذلك المخطط الذى التزمت به بريطانيا وفرنسا

وايطاليا متضامنة فى هذا الالتزام ، ثم واجه العرب بسياسة بتعدد الجوانب والألوان ، ولكنها متفقة فى الهدف . فمن الناحية المادية كان المخطط الاستعماري يهدف الى تقسيم أمة العرب فى جماعات سياسية متفرقة كل منها عن الأخرى حتى وان كانت فى الأصل وحدة سياسية واحدة ،

فقام الغرب بمقت المجموعات السياسية الإقليمية التى كانت قائمة فعلا بين العرب وكثرت تخضع لمستعمر واحد ، وقد بدأ التطبيق العملى لهذه السياسة الاستعمارية كأوضح ما يكون فى سورية ولبنان وفى العراق وسببه الجزيرة العربية ومصر والسودان وشمال أفريقيا وغربها ، وكان فى تطبيقه لسياسته حريصا على القضاء على الوحدة المادية والسياسية والتاريخية التى كانت قائمة فعلا بينها ، ولم يكف فى هذا الشأن بعزل العرب بعضهم عن بعض بل عمل كذلك على فصل المسلمين بعضهم عن بعض ، كما أنه لم يكف بالفرد المادى فأضاف اليه نوعا من الفزوى المنوى والفزوى النفسى الذى كان دوره اضعاف الوعى الوطنى وقتل الشعور الوطنى .

وفى هذه النظريات والآراء الاستعمارية يقول المارشال ليوى : انه على الغرب أن يجعل العربى المراكشى أجنبيا عن العربى الجزائرى ، أجنبيا عن العربى التونسى وعن العربى الليبى ، والعربى المصرى ، أجنبيا عن العربى السورى ، وعن العربى العراقى . بل ان المارشال فى هذا الشأن قد ذهب الى أبعد من ذلك فنادى بضرورة خلق جنسيات جديدة بين العرب تتميز بالخلاف فى المذاهب الإسلامية فى كل بلد عربى ، وندى بضرورة إبراز هذه المذاهب وتطويرها بحيث تحول العرب من القومية العربية والرابطة الإسلامية الى طوائف إسلامية متنافرة متخاصمة .

كما نبه ليوتى ، الغرب الى الخطر الكامن فى خضوع مجموعة من بلاد العرب الى سيطرة وحكم دولة غربية واحدة وبالذات فى أية بقعة من آسيا وأفريقية ، لأن وحدة الاستعمار - فى مثل هذه الحال - قد تكون بدورها وسيلة تؤلف بين قلوب العرب فى هذه المستعمرات وتمكنهم من تحقيق وحدة بينهم فى ظل هذا المستعمر الواحد ، وبهذا الرأى كان المارشال ليوتى يعارض قيام أية وحدة بين العرب حتى ولو كانت وحدة

من ذلك النوع الخاضع للاستعمار الذى يرحب به المستعمر ولا يضار به استعمارهم • وحذر ليونى الغرب من خطر الافدام على أى أمر يؤدى الى عكس النتائج التى يسعى الى تحقيقها ، وكانت سياسته تقوم على محاربة استقلال العرب ، ومحاربة وحدة العرب ولكنه فى الوقت نفسه ، حذر الغرب الالتجاء الى الوسائل العسكرية العنيفة ، بل انه نصح بالعمل السياسى لأن العنف كان فى رأيه يفضى - حتما - الى المقاومة التى من شأنها أن تكون مصدرا يمد العرب بالقوة حتى لايتسبب أمرهم الى الفناء • ويقول ليونى : ان هذه المقاومة هى التى يمكنها أن تدفع العرب - تلقائيا - الى تطوير قضيتهم والسعى الى تحقيق استقلالهم ، كما نبه الغرب الى ان نجاح العرب فى تحقيق اهدافهم يوما ما رهن بالسياسة التى يتبعها الغرب ازامهم وان المسؤولية فى تحقيق هذا النجاح اذا تحقق يوما ما تقع على سياسة الغرب تجاه العرب •



ولقد تطورت بحوث الغرب بالنسبة للوسائل الواجب اتباعها فى مقاومة خطر القومية العربية واتجاه الغرب الى تحقيق استقلالهم ووحدهم ورأى الغرب أن أول ما يجب اتباعه فى هذا الشأن هو عزل العرب تماما عن الرابطة الاسلامية •



ولا يعوتنا أن نشير الى أن هذه الآراء وتلك البحوث الاستعمارية كانت سابقة على تطبيق الغرب لسياسته ، كما أنها لم تكن مستخلصة من الأحداث التى تناولتها الآراء والبحوث فحسب ، بل وعلى أساس افتراض وقوع أحداث كان ساسته يفترضون وقوعها ، ثم يفترضون كل ما يترتب على وقوعها من آثار ونتائج ، ثم على ضوء هذا كله يضعون الآراء والنظريات الاستعمارية التى أسلفناها ، فهم حينما افترضوا بذل مساعيهم لعزل العرب عن الرابطة الاسلامية وجدوا أنه لكى يكتب لهذه الخطة النجاح لابد من الدعوة الى القوميات الوطنية ، وأن من شأن هذه الدعوة أن تدفع الوعى الوطنى وتطوره - تلقائيا - بين العرب ، ولكنهم رأوا أن هذا الوعى الوطنى

لا يمكن أن يقف - مستقبلا - موقف العداء من الإسلام كما كانوا يرغبون بل هدام البحث والدراسة الى ان الرابطة الاسلامية ستظل سندا للقومية الوطنية تعصدها ونشد من أزرها ، ومن ثم انتهى بهم البحث في حسنا الشأن الى أن هذا الاتجاه لا يمكن أن يضمف من عقيدة العرب ، بل إن وعيهم الوطني والسياسي سيقوى ويتزز .

ولقد لمست فرنسا أكثر من أية دولة استعمارية أخرى خطوات المشكلة التي يواجهها الغرب في كل محاولة بذلها لفصل الوعي الوطني والقومي عن الرابطة الاسلامية . وأدرك من تصدى لهذه المشكلة من المفكرين منذ نهاية الحرب العالمية الأولى أن كل خطة يضمها الغرب في هذا الشأن ما آلتها - على طول المدى - الى فشل محقق ، وجاهروا بمجز الغرب عن القضاء على الوعي الوطني والرابطة الاسلامية ، بل عجزه حتى عن مجرد عزل الرابطة الاسلامية عن الوعي الوطني . والقسومي وحذروا الساسة ونهوههم الى أنه من الصير عليهم تجاهل هذه الحقيقة التي سينصطدم بها الغرب اذا أصر على هذا الاتجاه ، تلك الحقيقة التي ظلت عبر التاريخ العباد الأساس للقومية العربية لأن القومية العربية حتى بالنسبة للمسيحيين من أبناء الشرق قد جعلت العربي سواء كان مسيحيا أو مسلما يذوب في تلك التقاليد والتعاليم التي أرسيت قواعدها الدولة العربية الأولى . والتي كان من شأنها ان انتظمت شؤون العرب كافة في إطار موحد . ولقد صبح ما توقعه أولئك المفكرون وأدركت فرنسا على مر الزمن استحالة القضاء على الوعي الوطني والرابطة العربية والزايلة الاسلامية بين العرب في شمالي أفريقيا .



ونحن اذا استعرضا مواقف الغرب المختلفة أمام الحركات الوطنية في الشرق العربي واذا راجعنا السياسة التي التزم الغرب تطبيقها بدلا كيف كانت وما زالت سياسة الغرب الاستعمارية تنهج في كفاحها ضد حرية الشعوب ، ومن أجل الابقاء على استعمارها في الشرق . لقد زعم الاستعمار في أول الأمر أن الحركات الوطنية ليست الا انفعالات سطحية في الشعوب

سيجده لشعور أولئك المتعصبين الذين لا يضرون بما للمستعمر من الفضل فيما يهيء لهم الترب من الحضارة ، ودان يجد له أعوانا يستميلهم هذا الزعم من الطبقات الحاكمة التي لم يكن يعنياها غير مفدع الحسك ومن الطبقت الرأسمالية والافطاعين وقفة من الساسه والذئب المأجورين ، ثم زعم الاستعمار لنفسه الحق فى الدفاع عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى أقامها فى الشعوب المطالبة بحريتها بوصفها النظم المشروعه باعتبارها وحدها كفيلة بتطوير الشعب التطور الملائم ، تلك النظم وتلك الأوضاع التى كان من شأنها فى الواقع أن تؤيد وجوده ، فلم يكن دفاعه عنها الا دفعا عن وجوده .

وزعمت سياسة الاستعمار فى مقاومتها للحركات الوطنية : أن صلاية العناصر الوطنية المتمسكة بحق بلادها فى الحرية تعتبر عقبة أمام الطبقة الراقية المختارة من أبناء البلاد الذين لا يميلون الى التطرف فى وطنيتهم والذين يعملون على أن يكون تطور بلادهم تطورا هادئا وبطيئا حتى لا يصطدم بمصالح الأوروبيين وتفوذهم وربطتهم بالغرب صلة السود والولاء ، هؤلاء - بالذات - كان المستعمر يرى فيهم عدته وساعده الأيمن كان يوليهم مراكز القيادة فى حكم البلاد ، وكان يفض عيني عن موافقهم الوطنية المصطنعة التى يبدون فيها أمام الشعب ، لأنه يعلم تماما أنه يستخدم فى النهاية لمصلحته كل نجاح يحققونه لأنفسهم ، فازدواج موقف هذه الطبقة ازدواج متنافر للغاية . لم يكن يرى فيه الاستعمار ما يمس مصالحه بل كان يرى أن هؤلاء هم خير من يعمل من أجله . . وأنهم لذلك أولى - دائما - برعايته وحمايته فهم فى رأى المستعمر أو أنهم فى زعمه العناصر الوطنية المتطورة العقولة والمتحررة من التعصب ، والقديره - فى رأيه - على حكم البلاد وعلى تطوير الشعب واعداده لتحمل مسئولية الاستقلال والحرية .

لقد كان الاستعمار وما زال ، يطمش الى هذه الفئة من أبناء الشعوب فى الشرق فهى طبقته المختارة التى تفتن فى خدمته وفى الوقت نفسه تتفنن دورها حينما تواجه الجماعات الوطنية بحماس وطنى تصنعته لتجارى



به اندفاعات الشعب وعلى المستوى الذى تكون عليه تلك الاندفاعات من حيث القوة والعنف .

\*\*\*

لقد افتن الاستعمار فى أساليبه السياسية لمهاجمة الحركات الوطنية فى البلاد التى يحكمها ، فدأب على اتهام هذه الحركات - أبدا - بما هى براء منه ووصفها دائما بما يناقض طبيعتها وهدفها ، أملا فى التقليل من شأنها وصرف المواطنين عنها ، كان وما زال يتهم الحركات الوطنية بأنها حركات لم يقصد زعمائها بها الا حجب المشاكل الحقيقية التى يعانيها الشعب ، ولم يرد القائمون بها الا صرف أنظار أمتهم عن تلك الحاجات والضروريات التى حرمتها أنبائها بسبب ضغط الطبقات المستغلة فيها ، وتوجيه انظار الشعب نحو أهداف أقل أنرا فى حياتهم ، وحتى يحجب قادة هذه الحركات الوطنية تلك الأهداف الضرورية فى حياة الشعوب ، وراء أهداف سياسية تعتبر بالقياس الى حاجات الشعوب أهدافا كمالية . لقد تعرض - دائما - قادة الحركات الوطنية فى الشرق الى اتهام الغرب لهم بأنهم يوجهون وعى الشعوب الى المطالبة بالاستقلال حتى لا يتجه هذا الوعى الى حقه فى رفع مستوى معيشة الشعب وحتى ينحلى عن القادة والموجهين من اتجاه شعوبهم الى المطالبة بتحقيق الرخاء لهم ! .

\*\*\*

ويمضى المستعمرون فى مزاعمهم وفى حججهم ، ويذهبون فى ذلك شتى المذاهب فيقولون : انه لم يعد فى العالم مكان للحركات الوطنية المتصبة فقد طواها تطور الزمن ، واصبح العالم كله يمشى فى عصر بكل الجبهات والقارات ، ويزعمون بأن الشرق وأفريقية سواء أراد الغرب ، أو لم يرد يدخلان فى نطاق مصالح الغرب ويستبران قاعده من قواعد الدفاع ضد التوسع الشيوعى السوفيتى ، كما يعتبران وسيلة للاحتفاظ بنوع من الاستقلال عن الولايات المتحدة الامريكية ، وفى هذا يرى ساسة الغرب أن الشرق وأفريقية قد أدمجا فى مشكلة شاملة ترتبط بمصيره اقتصاديا وسياسيا .

ان الغرب لم يتخرج فى المناطلة المكشوفة التامبا لما يؤيد بقاءه . . .  
لقد غالت فى حجبها وفى منطلقة ، الى حد أن زعم ان استقلال البلاد فى  
افريقية وفى الشرق من شأنه أن يفضى الى وقف تطويرها اقتصاديا واجتماعيا  
فقال دعاة الاستعمار : ان الاستقلال لا ينفع ولا يفيد مادام ان كيانه  
الاقتصادى ضعيف وبناء الاجتماعى لم يتم بعد ومستوى معيشته منخفض ،  
وتسائل الاستعماريون ما قيمة الحرية ، وما قيمة الحياة النيابية فى بلاد  
يخيم عليها الجهل وينقصها التصحج السياسى وتعوزها الخبرة الفنبسة  
فى جميع شئونها .

.. وهكذا يفضى الغرب فى مزاعمه وفى فلسفته الاستعمارية ليقنع  
الشعوب المنكوبة باستعمارهم بضرورة حاجتها الى وجوده ، وبأنه لاسيل الى  
حمايتها من المطامع الدولية حولها غير سبيل واحد ، هو ان ترتضى هذه  
الشعوب حماية الغرب ورعايته لها ، وليقرر فى روعها بأن اى استقلال  
يمكن ان يتاح لها بعيدا عن هذه الحماية وتلك الرعاية انما هو استقلال  
زائف موقوت .

وفى كل حال وفى كل موقف فان الغرب ثبت دائما على عقيدته ورأيه  
فى انه اذا استطاع الاستعمار ان يتخلص من الاندفاعات والحركات  
المنبثقة عن القومية العربية ، استطاع التخلص تماما من مشكلة الحركات  
الوطنية فى الشرق وفى افريقية ، اذ ان الغرب فى مثل هذه الحال ، لن  
يواجه الا بلادا منفردة ومنزلة .



.. لقد واجه الغرب اتجاهين للحركة الوطنية ، اتجاها كان يسؤيدم  
اولئك الذين يعملون على هدى المبادئ التى دعا اليها المفوق له جمال  
الدين الافغانى . والشيخ محمد عبده ، تلك المبادئ التى كانت تدعو الى اعادة  
تكوين المجتمع الاسلامى فى العالم بأسره بحيث يصبح مجتمعا قويا متحدا  
قادرا على استعادة أمجاد الاسلام عن طريق بث العقيدة والحوافز الوطنية  
القائمة على القومية العربية كأساس ، وعلى دفع المسلمين كافة للوقوف كلة

متحدة في وجه العالم الغربي بوصفها القوة الوحيدة القادرة على رد عدوان الغرب .

وكان سياسة الغرب يرون أن هذا الاتجاه أو أن هذه الدعوة ستهوى المتصيين من المسلمين وتجذب مفكرهم الذين يدركون ما يمكن أن يكون عليه الاسلام من قدرة على الاتحاد والوقوف في وجه الغرب حتى أمكن تحريك شعور الجماعات الاسلامية للتصدي للغرب بماطة الدفاع عن الاسلام ، كما كان هؤلاء الساسة يؤكدون أن مثل هذه الدعوة تعتبر اخطر ما يهدد الغرب ، وأنها كانت الخطر الذي يحرص الغرب دائما على تفاديه ، وعمل أبدا على منع تجنيد قوى الاسلام ضده .

أما الاتجاه الثاني الذي كان على الغرب أن يواجهه فإنه يمثل في الحركات الوطنية المستندة الى التأيد الشعبي الذي لا يخفى عطفه على الحركات الاجتماعية ذات الطابع الاشتراكي ، وتستند هذه الحركة الى القوة التي تستمدتها من تاطف الجماهير المهضومة الحقوق والمحرومة من المزايا الاجتماعية والاقتصادية .

ولقد ربط سياسة الغرب بين مبادئ هذه الحركة المتطورة وبين الاسلام ، ذلك ان الاسلام في رأيهم يستوعب سائر المذاهب والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان تعاليم الاسلام وفلسفته تسلمها جميعا . ثم يقول هؤلاء الساسة ان الدعوة الى الأخذ بهذه النظم والمذاهب وان كانت ذات طابع مدني حديث ، إلا انه نظرا لأن القائمين بها مسلمون ، ونظرا لأنها من روح الاسلام وفلسفته ، فإنها ستكون في النهاية مرتبطة به أشد الارتباط ، وسيسيطر عليها كل السيطرة ، ومنه نستمد قوتها وبقاها .

ومن ثم فإن تلك المذاهب والنظم المتطورة لا مفر لها من الاخلاص والخضوع في النهاية الى ذلك المصدر الروحي الذي سوف تعتبره مركز انبثاقها ، وسعمل قادة هذه الحركة على استخلاص خير هذه النظم وأنفع تلك المذاهب للمجتمع الغربي والاسلامي وأنسبها لطبيعة أهله ، وعلى أية صورة ، وبأي أسلوب وبأية دعوة طبقت بها هذه المذاهب وسادت هذه

النظم ؟ فانه فى النهاية لابد ان يلتقى الغرب بالقومية العربية ، لان تطبيق هذه المذاهب ما هو الا تطبيق للنظرية والفلسفة الاسلامية ، سواء اقام هذا التطبيق على دعوة ذات لون اقتصادى ام على أخرى ذات لون اجتماعى ، اذ أن المجتمع العربى عندئذ سيشعر أن بنيانه قد قام على تساليم وأسس استمدها واستوحاها من روح الاسلام وشرائعه ، هذا الشعور الذى بعث فيهم قوة فنية قد تغضى بدورها الى بعث القومية العربية •

ولمكافحة هذه الحركات الوطنية سوف يبحث الغرب عمن يمكن أن ينشق عليها ، غير انه سوف يجد أن العقول التى استمالتها تعاليم الغرب ما زالت قليلة العدد ، كما أن أصحابها يتميزون بالخوف والتردد ولا يجرمون على الانفصال صراحة عن المجتمع العربى والاسلامى ، واهم يطلبون لمجرد ظهورهم فى مظهر المساند للغرب حماية وتأييدا من الغرب أمام خصومهم ، وسوف يعمد الغرب الى مهاجمة اللغة العربية باعتبارها الاداة الثقافية للعرب والمسلمين ، والوسيلة التى بها تسيطر القومية العربية على سائر الشعوب الاسلامية ولا سيما فى افريقية ، ومن شأن انتشار العربية خلق وعى سياسى بين الشعوب العربية يجعلهم فى موقف العداء للغرب ولا سيما ان للغة العربية فى نظر المسلمين فى شتى انحاء العالم قدسية خاصة ، جاءت من كونها اللغة التى أنزل بها القرآن •

ومن أجل ذلك فقد حمل ساسة الغرب دعوة ترمى الى حمل الشعوب الاسلامية فى انحاء العالم على ان تتخذ لنفسها لغة وطنية خاصة تتميز بها ، وما من شك فى ان الهدف من هذه الدعوة كان اضغاف وحدة اللغة التى تربط الشعوب العربية والاسلامية •

كما حارب الغرب القومية العربية والاسلام ؛ فدعا الى فصل العقيدة الدينية عن شئون الحكم ؛ لانه كان يعلم أثر القومية العربية والاسلام فى السياسة ، ومن ثم فقد كان هدفه من هذه الدعوة هدم نظرية التضامن والترابط القائمة بين العرب والمسلمين ، ليحل محلها النظرية الوطنية الانزالية التى يسعى الى غرسها فى مختلف الجماعات العربية والاسلامية

\*\*\*

غير أن الغرب فى الوقت الذى كان يقوم فيه بهذه الدعوة ، كان يدرك مدى الخطر الذى تنطوى عليه دعوته للتحرر الوطنى ، الا انه كان يجد نفسه مضطرا لمواجهة قضية استقلال الشعوب التى يحكمها ، وهى قضية تفرعه ، ومن ثم فقد اتجه الى دفن هذه القضية وهدم أركانها بشتى المزايم فزعم أن الاستقلال السياسى للشعوب التى يحكمها ينطوى على خطر تسلط الطبقة الجاهلة ، التى سماها بالدعماء ، على شئون الحكم والسياسة اذ يتسع لها السبيل الى الوجود فى علم لم تهأ له بعد ، وهو عالم السياسة ومتى تحركت هذه الجماعات ، فانه يتعذر وقفها ، وان النهايه الحتمية ، للخطيرة التى يجب أن يحسب المستبشرون مفتيها فى بلاد تدين بالاسلام ولا سيما اذا نحييت عنها العناصر المتطورة والطبقات المتوسطة ، مما ينتهى بشئون الحكم ليد شمع جاهل تسيطر عليه طبقة من المتحصنين .

وعلى هذا مضى الغرب فى سياسته ، فلم يفتأ يحاول اقناع العناصر الوطنية بأن الاستقلال الذى يطالبون به لن يجلب لهم خيرا ، وانما سيكون باعث شر وخطر على مصالحهم .

وبينما كان الغرب يخاطب العناصر الوطنية وقادة الحركات الوطنية فى الشعوب المحكومة بهذا الاسلوب ، كان يبدى رثاءه - سلفا - للطبقات الفقيرة المتخلفة فى الشعوب المحكومة نظرا لما يجلبه الاستقلال على هذه الطبقات - حسبما يرى الغرب - من شرور ومآس ، فراح يعمل من أجل أن تناشده العناصر الفقيرة الجاهلة ان يبقى سيذا ووصيا عليها . وفى هذا الصدد زعم ساسة الغرب ان المبادئ العصرية قد وصلت فعلا الى كل مكان وصلت حتى أقصى الواحات والى أبعد اركان البلاد العربية ، ولكنها لم تصل على حقيقتها ، وانما نقلت مشوهة ومحرقة .

\*\*\*

وفى هذا الصدد أيضا ، قال ساسة الغرب كثيرا ، وزعموا كثيرا ليقروا وليضللوا . قالوا ان العرب والمسلمين يتوهمون أن فى رحيل الأجنبى عن بلادهم خلا كافيا لجميع مشاكلهم ، اذ تصبح بلادهم مستقلة ويحكمون انفسهم حال انهم لا يدركون ان حرمانهم من الخبرة ومن رأس

المدل الأجنبي ومن المستبادين الأجانب في شئون المال والحكم ؛ كل ذلك من شأنه أن يعرض بلادهم للقوضى بسبب حرمانهم من العناصر الفنية التي تحل محل الاجانب ، الأمر الذي يفضي بترك البلاد الى التعرض لاستغلال من نوع جديد ، لأن فوائد استقلالها ومزاياه ستكون وفقا على طبقة خاصة ، في حين يحرم سواد الشعب من ذلك كله ، ويتهى الى مصير أسوأ مما كانت عليه قبل أن تسمح بلاده الاستقلال . وإذا ما زعمت هذه الشعوب بأن من حقها ان يستقل ابتاؤها خيرات بلدها ، فإن هذا الزعم مجرد وهم ، لأنها لا تدرى من الذى سيكون المستقل لها بعد استقلالها ، فريما كان المستقل لها بدلا من الأجنبي ، أجنبيا آخر ، لأن هذه البلاد بشرواتها الطبيعية الوفرة لا بد أن تنير مطاعم الدول .



ويقول الغرب انه لو فرضنا أن عصر الاستعمار السافر سينتهى الى زوال ، فمن المؤكد أنه سيحل محله نوع آخر لا يقل عنه شرا ، وهو الاستغلال الاقتصادى والتجارى الذى لا يمكن لهذه الشعوب أن تتجنبه . وتأسيسا على هذه المزاعم فى سياسة الغرب ، يرى ساسته أنه يتعين على الشعوب التى يحكمها ان تنحضر وان تتطور ، فى أمانها السياسية وفى مفهومها للوطنية ، على ان يكون ذلك كله داخل نطاق التعاون مع الغرب . بوصف ان هذا هو الوسيلة الوحيدة لكفالة أمنها ولرفاهيتها .

وقد حرص الغرب على تنفيذ هذه السياسة فى سائر البلاد العربية . والاسلامية ، فإذا لم تجد استجابة فى بلد من هذه البلاد ومنيت فيها بالفشل . لم يكن ذلك مدعاة للأس والقنوط ، وانما كان فيه حافز على الاصرار والمتسلك بها والدعاية لها فى البلاد الأخرى . ولا سيما فى شمال أفريقيا . وصفة خاصة فى تونس ومراكش ، نظرا لما للغرب من مصالح جوهرية فى أفريقية تدعو الى تمسكه بتحقيق هذا الهدف السياسى . فى تلك المنطقة



لقد ادعى الغرب ان المستقبل السياسى والاقتصادى للشعوب الصغيرة أنسى أشد تعرضا للاخطار مما كان عليه حاله من قبل ، وانه على الرغم من

هذا فإن تلك الشعوب لا تكف عن التحدث عن التحرر السياسى والتمتع بالحكم الذاتى ، فى حين أنها تعمل لتمكين مختلف القوى الدولية من أن تضع فى قدميها قيودا اقتصادية أشد خطرا على حريتها وعلى مستقبلها من وضعها القائم الى جانب وجود الغرب فيها ، وإن ذلك الوضع أنسب لتلك الشعوب لكي تذيب مصالحها ومستقبلها فى وحدات اقتصادية وجغرافية أوسع مدى وأكثر قوة وأقدر على حمايتها من التسلط والسيطرة التى سيعمل الغرب على فرضها على تلك الشعوب •

وقد مضى الغرب فى كفاحه للوطنية الى أبعد الحدود وبأسلوب أكثر وضوحا ، فأعلن أن الاتحاد السوفيتى يهدد العرب ويبحث بمصالحهم ، لأنه يعمل على التسرب الى العالم العربى والسيطرة عليه ، وإن هذه غاية طالما سعى السوفيت الى تحقيقها ، فإذا ماتم ذلك لروسيا مهد الطريق امامها للسيطرة على الشرق وعلى أفريقية ، وبهذا سيكون من شأن التعصب الاسلامى ومن شأن الدعوة الى القومية العربية أن يجعلا من العرب والمسلمين - مختارين أو مكرهين - حلفاء للعالم الشيوعى بدلا من ان يساندوا سياسة الغرب ليقطعوا السيل على تيار المذهب الشيوعى •

وقال ساسة الغرب : بأن ليس للعالم العربى ان يختار - فى هذا الصدد - لأن مصيره مرتبط بالعالم الغربى ، برغم أنفه وسواء أراد العرب أم لم يزيدوا ، وإن على العرب أن يؤمنوا بتأييد الغرب لهم ، وعلى هذا الأساس فالتحالف مع العرب وبين الغرب أمر حتمى ، وعلى العرب أن يسلموا للغرب بالنزاي والحقوق والأوضاع التى تمكنه من الدفاع المشترك عن مصالح الغرب والشرق العربى ، وأنه فى هذا التوافق وحده يسمح الغرب للعرب أن يتكلموا وأن يتصانموا تحت الوصاية والحماية الغربية ، لا من أجل أن يجعلوا من أنفسهم كتلة قوية فى ذاتها يمتد بها لاصحابها ، بل ليكونوا حاجزا فى وجه التيار السوفيتى ، وفى ظل هذا الوضع وحده كان الغرب وما زال على استمداد لأن يمكن الاسلام والقومية العربية من تحقيق أمنية طالما دأبت أحلامهم ، وهى قيام وحدة ولو كانت وحدة جزئية تجمع بينهم • على ان يتقاضى الغرب ثمنا لذلك لا يقل عن

تنازل الشرق العربى والاسلامى تنازلا ولو جزئيا عما يطالب الغرب  
بالتنازل عنه .

\*\*\*

أما فرنسا فقد كانت حريصة على أن تدمج نزعها الاستعمارية بطابع  
خاص ، ففى بالإضافة الى كل هذه الاعتبارات والمبررات والحجج التى  
يخلفها الغرب لتأييده ، راحت تزعم أن الحركات الوطنية فى شمالى  
افريقيا لاتقوم الا بتأييد من الشرق العربى الذى عمل على خلق المتاعب  
فى شمالى افريقيا ، بتأييده للزعماء المتطرفين فى شمالى افريقيا وتجاوبه مع  
إبناء هذه البلاد ، كما راحت تقنع العناصر الوطنية فى تلك البلاد بحمل  
يستند الى النظريات الحديثة التى كان الغرب قد بدأ فى الدعاية لها بين  
العرب والمسلمين ، وهى كلها تهدف الى الحد من النفوذ الوطنى فى هذه  
البلاد لمصلحة سلطة أعلى يشترك فيها وسيطر عليها الغرب .

لقد زعمت فرنسا انه لو تم الاعتراف للمسلمين فى افريقية بالحقوق  
السياسية التى يتمتع بها المسيحيون واليهود ، فان ذلك سينتهى بوقوع  
مفالم سياسية واقتصادية واجتماعية من حيث الواقع ، وانه لذلك يمتنع  
ان تنظم هذه الجماعات فى تنظيمات سياسية واجتماعية خاصة بهم ، وتميز  
بطابع خاص ، وتحقق من حيث المبدأ المساواة فى الحقوق ، وأن تقوم  
سلطة فى تلك البلاد تملو السلطة الوطنية ، مهمتها الحرس على احترام  
الحقوق المعترف بها ، لمختلف الجماعات والاقليات فى البلاد ، ومنع  
اصدار أى تشريعات ترمى الى بث التفرقة العنصرية والدينية بين هذه  
الجماعات . وذهبت فرنسا الى القول بأنه سيكون لكل جماعة أساس  
جنسى وتاريخى وثقافى يختلف باختلاف الجماعة دون التقيد بالاعتبارات  
الجنسية التقليدية وان هذا النظام لكفيل بتأمين مصالح الأوروبيين والمسيحيين  
واليهود فى افريقية .

\*\*\*

تلك كانت النظرية الاستعمارية الغربية فى جعلتها عند تطبيقها فى  
البلاد العربية والاسلامية ؛ وهى نظرية جمعت بين استعمال الضبط-



والاكراه والقوة الى محاولة تقديم الترضيات ومحاولة الاستجابة الى المطالب والأمانى الوطنية ، ولكن بقدر وفي نطاق الحدود التي تسمح بها الدولة المستعمرة •

وهكذا عمل الغرب على عزل الحركات الوطنية في البلاد العربية والاسلامية ، لتصبح حركات منفردة ومنعزلة ذات أهداف محددة ، وبذلك يتمكن الغرب من السيطرة على تلك الحركات ومواجهتها ، والقضاء عليها عند الاقتضاء •

### \*\*\*

ولكن هل استسلمت الامة العربية ؟ هل نامت عن حقها الطبيعي ؟ هل خضعت لمشيئة الغرب الذي لا يريد لها الحرية ولا الاستقلال الا بالمفهوم الذي يفرضه على عقول أبنائها فرضا ؟

هذه أسئلة تترك الجواب عليها لكفاح العرب •

عندما سيطر الغرب على الشرق العربي والاسلامي خيل له أن ما حل بهذه البلاد من نكبات كفيل بأن ينسبها حقها في الاستقلال والحرية ، وفات الغرب أن تعاليم العرب لا تسلم بأن الحرية والاستقلال وقف على شعب معين أو على جنس بالذات ، بل تؤكد ان الله سبحانه وتعالى خلق الشعوب سواسية والافراد سواء ، لا فارق بين شعب وشعب ولا فرق بين فرد وفرد •

فات الغرب أن الوطنية شعور عميق في النفس لا يمكن خنقه ؛ ولا يمكن ازالته بأية صورة ؛ فانه أن وجود جنوده في الشرق لن يحول — كما توهم — دون قيام الحركات الوطنية بل انه يبعث على اثارة السوعي الوطني في البلاد •

وكان على الغرب أن يكتشف أنه — على عكس خبرته التي ادعاها — يواجه مقاومة متزايدة تحول حياته الى جحيم ، وتشيع الفوضى في الشرق وتحمل الغرب أعباء مالية كبيرة في سبيل الابقاء على سيطرته ونفوذه •

وكان على الغرب أن يدرك خطأ سياسته ، وأن الشرق لا يمكن أن يبقى على ذلك الهوان ، الذى أراد له الغرب ، وأن لغة القوة والارهاب يمكن أن تؤخر الانفجار فى الشرق ، ويمكن أن تؤجل ثورته وتؤجل حريته ، ولكنها لا يمكن ان تمنع وقوع ذلك كله ان عاجلا أو آجلا .

وكان على الغرب أن يلمس أن موقفه فى الشرق يتحول من سبىء الى أسوأ ، وأن مشكلته أصبحت معلقة بالزمن الذى يمكنه الصمود خلاله أمام الوعى فى الشرق ، وأمام الحركات الوطنية ، وبالإمكانات التى يستطيع بها الصمود أمام شعوب الشرق .



ان الاستعمار كان يعمد - دائما - الى البحث عما يطيل فى عمره فى الشرق لأطول زمن ، وكان كلما عمد الى وسيلة لتحقيق هذه الغاية تبين له فى النهاية انها موقوتة الأجل وقصيرة الأمد أمام كفاح الشعوب من أجل الخلاص من الاستعمار ومن أجل التحرر ، وفى هذا الشأن كان الغرب يضطر بين الحين والحين ، ومن أجل كسب الوقت ، الى تمكين الشعوب من بعض حريتها ، والسماح لها بحريات مجزأة مع الزمن ، أملا منه فى تفادى مصيره فى الشرق ، وحتى لا يجعل بهذا المصير ولكى يتبع لنفسه فرصة البقاء والتربص فى الشرق انتهازا للفرص التى قد تمكنه من استرداد ما انتزع منه قهرا .



لقد كان من وسائل الغرب كى يبقى فى الشرق ما زعمه لوجوده فى هذه المنطقة من حرصه على مد العون الفنى والمالى للشعوب العربية .

ان الاستعمار أتبع له أحيانا أن يتجسس فى كسب التعاون من جانب عناصر كانت تقف منه موقف الصلابة والشدّة ، فما زال بها حتى استمالها الى جانبه بعد أن تبطل عزائمها ومن ثم أخذ يميز مكائنها ويساندها ويرفع قدرها بين أبناء أوطانها فيسلم على أيدي هذه العناصر لأوطانهم ببعض الحقوق التى كان قد سلبها واعتصبها ، لكى يعلى من شأن قادتهم الذين

استعمالهم فى صفه ، وليبقى على وجودهم ، ويفيد هو من وراء هذا الوجود ولم يكن الاستعمار بهذه الوسائل كلها وتلك الجهود التى بذلها ، لم يكن بقادر على أن يؤيد وجوده فى الشرق ، وأما كان بذلك كله يطيل فترة احتضاره ويمد فى سنوات النزاع التى كان يسلم خلالها الروح .

فإن تيار القومية العربية والحب الوطنى بين العرب كان يجرف أمامه شعور الجميع فى استماتة وساله ، للمطالبنة بسيادتهم كاملة وباستقلالهم بآما ، بحيث لا يتوقف نضالهم من أجل هذه الغاية ، قبل أن تتحقق لهم على أكمل وجه ، وما من شك فى أن القادة والزعماء السياسيين قد بدا لهم أنه قد أصبح أمرا حتميا عليهم أن يقيموا الوزن كل الوزن لأمانى شعوبهم فى الحرية والاستقلال ، بعد أن أصبح الشعب العربى قادرا على تفهم فضاياء تماما ، وبعد أن توافر له الوعى التام لادراك الصورة الحقيقية لسياسة الغرب فى الشرق ، والصورة الحقيقية لقادة الشرق وزعمائه .

وحبذا لو أدرك الغرب الحقيقة التى لا مفر منها ، وحبذا لو فطن ساسته الى أن كل عقبة يقيمها الغرب فى سبيل تحرر العرب ، لن تؤدى فى نهاية الأمر الا لزيادة اصرار هذه الشعوب العربية على استرداد حقوقهم المنهوبة ، واستخلاص حريتهم المسلحة .

إن لامة العربيه كفاحا ضد الاستعمار وجهادا باسلا من أجل حريتها منفصله وسنوفيه حقه - ما وسما الجهد - فى هذا المؤلف ، وعسبدنذ سنرى كيف أن هذه الأمة استمرت فى كفاحها ضد الاستعمار الغربى وكيف صبرت وصابرت فى نضالها ، واستعذبت فيه التضحيات ، وكيف عقدت نيتها على الجهاد أبدا ، وعلى الماضى فى سبيلها - برغم ما يحاك لها من المؤامرات وما ينصب لها من شرك - حتى تتمم بذلك اليوم الذى يخفق فيه علم الحرية والاستقلال والوحدة فوق بلاد العرب .

وسنرى ، كيف أن كل حاكم فى الشرق سيدرك أنه متى ما تناقض مسلكه السياسى مع أمانى وحقوق الامة العربية ، فإن مصيره هو متعرض - حتما - الى أسوأ ما تتعرض له المصاير بالناس ما بلغت الوسائل التى يحتمى بها ، ومهما طال الزمن .

( تم الكتاب )

# فهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد .. .. .	٣
الفصل الأول :	
مؤتمر الصلح .. .	١٣
الفصل الثاني :	
الحرب ومسئوليتها .. .	٢٢
الفصل الثالث :	
اشعوب المهزومة والشعوب المحكومة .. .	٢٨
الفصل الرابع :	
الثورات .. .	٣٩
الفصل الخامس :	
الثورة الروسية .. .	٥١
الفصل السادس :	
الثورة في المانيا وعماليم لودندورف .. .	٥٩
الفصل السابع .	
الثورة الايطالية .. .	٧٣
الفصل الثامن :	
الولايات المتحدة والحرب العالمية الاولى .. .	٨٧

الموضوع	الصفحة
<b>الفصل التاسع :</b>	
التيارات السياسية في بريطانيا وفرنسا في نهاية الحرب	
العالمية الاولى .. .. .	١٠١
<b>الفصل العاشر :</b>	
النور التركية	١٠٩ .. .. .
<b>الفصل الحادي عشر :</b>	
نور العرب	١٣٤ .. .. .
<b>الفصل الثاني عشر :</b>	
الاستعمار والعرب في نهاية الحرب العالمية الاولى .. ..	١٥٧



## مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبّيد - روش الغريج

تليغ } ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٤  
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤





# مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع ميسيد - روض الفرج

تلفخ { ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٤  
٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨ }